منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

سلسلة الكتب المترجمة - 5

تأليف: د. كولا فولايان

ترجمة: د. عبد القادر مصطفى المحيشي

مراجعة: د. صلاح الدين السوري

ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرهمانلي

منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

سلسلة الكتب المترجمة - 5

تأليف: د. كولا فولايان
ترجمة: د. عبد القادر مصطفى المحيشي
مراجعة: د. صلاح الدين السوري

أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي



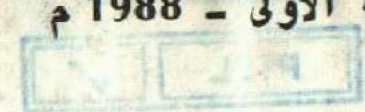


مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

طرابلس - ص . ب 5070
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

كتاب ليبيا اثناء حكم يوسف باشا القرمانلي
رقم الايداع 466 / 88 / دار الكتب

الطبعة الاولى - 1988 م



« الفهرس »

تقديم

يسرنى ان اقدم الى الاخوة القراء هذه الترجمة العربية للكتاب الذى الفه الدكتور كولا فوليان استاذ التاريخ بجامعة ايفى فى نيجيريا ، ولا اريد فى هذه المقدمة السريعة ان اتعرض جملة او تفصيلا للموضوعات الشائقة التى عرضها ، ولا للمعلومات الهامة التى اوردها ، ولا للملاحظات الطريفة التى ابرزها ، وما مرد ذلك الا للحرص على ان يتناوله القراء بأنفسهم ، ويتنقلوا عبر فصوله وحدهم ، دون تقديم خلفية ، اولفت انتباه ، او اسباق حكم .

فيكفى ان اذكر هنا ان الكتاب يتناول فترة حاسمة من تاريخ هذا الجزء من الوطن العربى الكبير وهى الفترة التى تبدأ بتولى يوسف القرمانلى مقاليد الامور فى البلاد وتنتهى بانتهاء حكم الاسرة القرمانلية وبداية عهد عثمانى جديد ، وان تركيزه كان على الجوانب السياسية والاقتصادية التى وجهت الاحداث دون اهمال للادوار التى لعبها الاشخاص ، وانه وفق من خلال هذه المنهجية فى القاء الاضواء على تلك الفترة ، وما تميزت به من احداث كبيرة ، وعلاقات عربية وافريقية ودولية صاخبة ، وتحركات داخلية مثيرة ، وقد قدم فى الاصل كبحث لنيل درجة الدكتوراه من مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية من جامعة لندن سنة 1970 ، ثم اعيدت مراجعته فى ضوء ماجد من ابحاث ، وما اعد من دراسات ، وطبع فى سنة 1979م باللغة الانجليزية ، ضمن سلسلة دراسات ايفى التاريخية ، التى تصدر عن جامعة ايفى بنيجيريا .

ومؤلف الكتاب نيجرى عمل استاذاً للتاريخ فى جامعة ايفى بنيجيريا ؛ وقد حاول استقصاء مادة اطروحته من مختلف الاراشيف المتعلقة بموضوعه ، كالارشيف الانجليزى والفرنسى والمالطى والليبى وايضا من مختلف المؤسسات والمكتبات المتخصصة فى اماكن

متعددة فى افريقيا واوربا وحاول بقدر استطاعته التزام الموضوعية العلمية ، والابتعاد عن الاحكام المطلقة مستخدما فى كثير من الاحوال اسلوب التشكيك والترجيح ، مستدرجا القارىء للاشتراك معه فى التفكير وتكوين الرأى ، تاركا القطع والحسم لما قد تسمح به الظروف مستقبلا من الجديد من المعلومات والمزيد من الدراسات .

ونظرا لاهمية الكتاب وتعميما لفائدته فقد قرر مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى تعريبه ، واسند هذه المهمة للزميل الدكتور عبد القادر مصطفى المحيشى لخبراته السابقة فى هذا المجال ، فحاول ان ينقل محتواه نقلا امينا ، جمله بجملة وفقرة بفقرة ، فأحسن واجاد ، واسند الى انا مهمة مراجعته ، فقمت بضبط بعض المصطلحات التاريخية ، وبعض اسماء الاماكن والاعلام ، علاوة على بعض التغييرات فى الصياغة بالقدر الذى به يسلس الاسلوب ، ويتبسط فهمه ، وتسهل قراءته وذلك دون ان يلحق ادنى مساس بالمعنى المتضمن فى النص الاصلى .

وفى النهاية ، فهذا الكتاب المعرب انما هو عمل متكامل لجهود ثلاثة مع البون الشاسع بين مداها ـ جهد المؤلف ، صاحب الكتاب اولا واخيرا ، فى لغته الاصلية او باية لغة اخرى ، وجهد المعرب صاحب الترجمة العربية للكتاب ، وجهد المراجع الذى قارن الترجمة والاصل وادخل مارأى ادخاله من تصويبات وتعديلات دون اخلال بالترجمة او خروج عن النص ، فنرجو ان نكون قد وفقنا فى تقديم هذا العمل الى الباحثين والدارسين بوجه خاص ، والقراء بوجه عام ، ونأمل ان يكون فى ملاحظاتهم وتصويباتهم اضافات من شأنها ان تثرى هذه الدراسة وتخرجها مستقبلا على الوجه الافضل .

الدكتور صلاح الدين حسن السورى
عضو هيئة التدريس بكلية التربية
جامعة الفاتح

الفصل الاول .

ليبيا فى أواخر القرن الثامن عشر
وصول يوسف باشا القرمانلى للسلطة

لقد ميز العقد الثانى من القرن الثامن عشر، بداية عهد هام فى التاريخ السياسى لطرابلس الغرب . إذ شهد ظهور أسرة محلية، بعد مائة وستين سنة من الحكم التركى[1]، استمرت تحكم البلاد لاكثر من قرن . وكان ظهورها الى حد ما، من نتاج ذلك الحكم، ذلك أن السلطان العثمانى فى سعيه للمحافظة على سلطانه فى تلك الآياله حرص على تعيين باشا يتولى امورها ويساعده فى ادارة شئونها مجموعة من ضباط الانكشارية للاشراف على الادارة المحلية . وبدأ الانكشاريون فى التزاوج مع السكان المحليين، وبهذا فسح المجال أمام قيام قوة جديدة صاغت تاريخ طرابلس منذ بداية القرن الثامن عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر - حيث أن التزاوج - التركى العربى، قد انتج تدريجيا طبقة الكول أغلية[2] . وبدأ تعيين أفراد هذه الطبقة خاصة خلال القرن السابع عشر، فى مراكز ادارية وعسكرية، وبهذا أضحوا من ضمن القلة المحلية الحاكمة، وأصبحوا على نحو متزايد من أصحاب السلطة والتأثير فى شئون المجتمع وفى سياسة البلاد . وكان من بينهم أحمد الذى أسس الاسرة القرمانلية .

1 - بدأ حكم الأتراك في طرابلس ، بتعيين مراد آغا Murad Agha باياً عاماً (Govrner-General) في سنة 1551 . انظر : Ettore Rossi in Encyclopaedia of Islam, Vol.iv,p.815 and in Storia di Tripoli e della conquista araba al 1911, Edizione postuma a cura di Maria Nallino (Publicazioni dell Istituto per l'Oriente Nr. 60, Roma 1968,pp.143-219.

2 - تعني كولوغلية Kologlu "من اصل رقيق" في اللغة التركية . و قد حرفت فيما بعد فاصبحت " كرغلي " جمعها كراغلة و أيضا كوارغلية . انظر : P.Roset in Encyclopaedia of Islam, Vol. iv,p.1114; and also Ettore Rossi,ibid;p.816 and in Storia...,p.173.

مازالت حياة أحمد القرمانلى الاولى غامضة مثلما كانت سيرته فى الجيش ورغم ذلك لايوجد أى شك خلال تلك السياسة المضطربة التى أتسمت بها نهاية القرن السابع عشر فى طرابلس[3] ، فى تميزه كرجل ذى كفاءة ادارية وبراعة عسكرية فائقة . ولابد أن شهرته قد جاءت على وجه الخصوص ، من خلال الطريقة التى ترفع بها عن مكائد الجماعات الكول أغلية وصراعهم على السلطة فتمكن من استمالة السكان العرب . ويقال بأنه قاد بنجاح حملات لاحباط حوالى عشرين تمردا أندلعت فى جميع أرجاء البلاد ، مع نهاية القرن السابع عشر كنتيجة لرفض السكان العرب ، فى الدواخل لدفع أية ضرائب للسلطة المركزية فى طرابلس وكانت تلك النجاحات سببا فى رفع مكانته عاليا فى الادارة العسكرية وجعلته ممثلا للباشا محمود أبوأميس أثناء غيابه فى القسطنطينية فى بداية القرن السابع عشر[4] .

لم يعط غياب الباشا المؤقت ، لاحمد القرمانلى السلطة التى يتوق اليها ، كقائد أعلى للحامية التركية فى طرابلس ، وكأعلى ممثل سياسى للسلطان فحسب ، ولكنه أتاح له فرصة تحقيق طموحه الشخصى فى ادارة شئون طرابلس بالكيفية التى يريدها ، وبدون أى - تأثير مقيد من السيد الغائب السلطان العثمانى . أما لماذا كان لأحمد مثل هذا الطموح ، فانه ليس من السهل معرفته على نحو دقيق . وعلى الرغم من ذلك ، فانه من الممكن تقديم تفسيرين لذلك الدافع ويكمن التفسير الاول ، فى انه لايمكن أن يكون هناك شك فى أن لأحمد القرمانلى دافعا شخصيا فى الرغبة للاطاحة بالحكم التركى . وهذا يتضح من نقله للسلطة العسكرية والسياسية العليا لطرابلس الى عائلته مباشرة والتى نصبها كأسرة حاكمة للبلاد عقب ازاحة

---

3 . Ettore Rossi, Encyclopaedia of Islam,Vol.iv,p.816 and Storia...,pp.221-26.

4 . F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822; Rene Basset, Encyclopaedia of Islam, Vol,II,p.746; Ettore Rossi,Storia...,pp.224-26.

السيطرة التركية[5] . أما التفسير الثانى فيتضح فى انه كانت له ايضا
رغبة حقيقية لتحسين الاحوال السياسية والاقتصادية للبلاد . ويبدو
ذلك من نظرة الى سياسته التى بدأت تتجلى للعيان تدريجيا اثناء
حكمه[6] .

قدم غياب الباشا ، بصرف النظر عن الرغبة المهيمنة ، الفرصه
اللازمة لاحمد القرمانلى : لقد خطط ونجح فى ازاحة الحكم التركى ،
ولم يثق الا فى عدد قليل من الضباط الكبار من الطبقة الكول أغلية ،
التى ينتمى اليها نفسه . وأقام وليمة دعا اليها الضباط الاتراك ـ
حوالى 300 ضابط منهم قتلوا فى الممر المظلم للقلعة ، حيث كانت
ستقام المأدبة ـ وأحاط مؤيدوه المسلحون بالفرق الكول أغلية
الباقية ، وأستولوا على مستودعات الاسلحة ثم قتلوا بقايا القوات
التركية بدون تمييز[7] واستطاع أن يهزم فيما بعد ، وبدعم شعبى ،
القوات التركية التى أرسلت تحت قيادة خليل باشا ، للاطاحة به .
وتمت رشوة محمد باشا ، الذى قاد حملة ثانية للغرض ذاته ، واعقب
أحمد ذلك بهدايا سخية للسلطان العثمانى نفسه (أحمد
الثالث) . وبهذا ضمن فرمانا مؤيدا له يتولى باشاوية طرابلس[8] .
وعقب انقلابه مباشرة ، نصب ابنه محمداً فى منصب الباى ، أى
قائداً للقوات العسكرية وولياً للعرش . ورسخ بيان آخر الخلافة فى
الاسرة على نحو دائم . وكانت جميع هذه الاحداث ، فى سنة 1711 ،
وهى السنة التى تؤرخ بداية قيام الاسرة القرمانلية[9] لقد رفع حكم

5 F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822; F.O.161 /9,"Notes" by Anthony Knecht, C1767.

6 See pp. 3-4 below.

7 F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822; E.Blaquiere, Letters from the Mediterranean (London, 1813), Vol.ii,p.24; Miss Tully, Letters Written During A Ten Years' Residence at the Court of Tripoli (2nd edn,London, 1957),pp.65-6.

8 Rene Basset, op.cit.,p.746;Ettore Rossi,Storia..., pp.225-6.

9 F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822; E.Blaquiere,op.cit.,p.85; L.C.Feraud, Annales Tripolitaines (Tunis and Paris,1927),p.207.

أحمد ، الذى دام حوالى 34 سنة طرابلس الى درجة عالية من العظمة ، لم يسبق لها أن شهدت مثيلا لها ، حيث زادت تحسيناته البحرية والعسكرية قوة البلاد ، على نحو ملحوظ . وكان برنامجه الداخلى توحيديا ، وقاد الى سلسلة من حملات القمع لثورات السكان العرب بالدواخل ووجهت حملاته ، على وجه الخصوص الى اخضاع برقة وفزان ووضعهما تحت سيطرته . وعند وفاته ، فى سنة 1745 كانت فزان فى قبضته ، واتم بنجاح تهدئة بقية أجزاء البلاد[10] .

لقد صاحب برنامج احمد السياسى ، الانعاش الاقتصادى للبلاد ، ذلك أن احد الانتقادات الخطيرة التى يمكن توجيهها للاتراك ، بصرف النظر عن الضرائب ، انهم لم يقوموا بشىء تجاه تحسين الاحوال الاقتصادية للبلاد خلال الـ 160 سنة مدة حكمهم[11] . وربما كان أحمد مصمما على تصحيح ذلك . ففى البداية ، كان اخضاعه للبلاد سببا فى استقرار سياسى كبير حيث ضمن الأمن اللازم الذى سبب رواجاً منتظماً للتجارة عبر الصحراء ، والتى تشكل المصدر الرئيسى للدخل فى طرابلس[12] تبع ذلك وكاجراء اقتصادى ، دعوة الباشا وتشجيعه الاتراك الشرقيين للاستقرار فى طرابلس[13] .

---

10 F.O.161/9,'Notes'by Anthony Knecht,C1767;E,Blaquiere;op. cit.,pp.84-5;Miss Tully,op.cit.,p.46;and Ettore Rossi, Encyclopaedia of Islam,Vol.iv,p.816 and Storia...,pp.227-231

11- يعتبر هذا النقد صحيحاً أيضاً بالنسبة للحكم التركي في الايالات الأخرى كتونس و الجزائر .

12- فيما يتعلق بأصل و تطورات تجارة عبر الصحراء أنظر: A.Adu Boahen, Britain, The Sahara and the Western Sudan (Oxford, 1964), pp.103-4; and R.C.C.Law,'The Garamantes and trans-Sahara enterprise in classicaltimes' Journal of African History VIII (1967),pp.181-200.

13- F.O.161/9,'Notes'by Anthony Knecht,C1767 استخدم اصطلاح الاتراك الشرقيين في هذا الكتاب كاصطلاح شامل ليشير لكل المسلمين في الشرق الاوسط مثل المصريين و السوريين أو أى رعايا عثمانيين آخرين.

ساهم هؤلاء الاجانب بحصولهم على حوافز خاصة ، فى الكثير من التحسن الاقتصادى للبلاد وتم توجيه بعض هؤلاء المستوطنين الى الفلاحة ، حيث قاموا بزراعة محاصيل الغذاء والتصدير . وبزيادة الانتاجية الزراعية اكثر مما يحتاجه السكان لغذائهم اثناء سنوات الانتاج الوفير امكن تخزين الفائض لمواجهة سنوات الجفاف ، بالاضافة الى أن زيادة انتاج محصولات التصدير مثل القمح والشعير والتمور ، تعنى زيادة فى دخل البلاد ، والى جانب الزراعة ، شجع بعض هؤلاء الاتراك الشرقيين للمشاركة فى التجارة فساعدوا فى زيادة حجم تجارة طرابلس الخارجية عموما ، وفى التجارة عبر الصحراء على وجه الخصوص[14] . كذلك ساعد بعض من هؤلاء المستوطنين ، فى ادخال مايمكن أن يسمى اليوم "بالصناعات اليدوية مثل صناعة الحوالى من الصوف والصناعات الجلدية من جلود المواشى والماعز .... الخ[15] وعلى هذا ، فقد ساهم الاتراك الشرقيون عموما ، فى الانتعاش الاقتصادى الذى عرفت به جيدا فترة حكم احمد باشا .

وعلى هذا ، فبحلول وقت وفاته ، فى عام 1745 ، نجد أن أحمد قد قام بالكثير نحو وضع طرابلس على اساس متين ، تمثل فى الاستقرار السياسي والانتعاش الاقتصادي .

بيد أنه ولسؤ الحظ بالنسبة للبلاد ، فان كل هذه المنجزات السياسية والاقتصادية لم تعمر طويلا بعد أحمد باشا ، وخلال الخمسين سنة اللاحقة ، حيث كانت طرابلس الغرب تسير تدريجيا نحو الانحطاط ، ووصلت الحضيض اثناء تسلم يوسف باشا مقاليد الامور فى سنة 1795 (16) .

ويمكن ارجاع انحطاط طرابلس فى منتصف القرن الثامن عشر تقريبا ، الى ثلاثة عوامل رئيسية . يتمثل العامل الاول فى شخصيات الباشاوات ، الذين حكموا البلاد اثناء تلك الفترة . لقد حكمت طرابلس لمدة نصف قرن ، لسؤ الحظ ، وحتى تولى يوسف باشا مع

-14 F.O. 161/9,'Notes'by Anthony Knecht, C1767.

-15 ibid.; E. Blaquiere, op.cit.,p.85.

-16 See p. 21 below

نهاية القرن ، من قبل رجال من ذوى المنزلة والجدية المتدنية . فقد كان حكم ابن أحمد وخلفه المباشر محمد باشا ضعيفا[17] ، حيث لم يتمتع بأى من قدرات والده - فلم يعط الا اهتماما ضئيلا لشئون البلاد خلال حكمه القصير ، الذى دام تسع سنـوات من 1745 - 1754 . وورث ابنه وخليفته على الذى أصبح باشا 1754 - 1793 ، كثيرا من ضعف والده وكسله . حقيقة أنه حاول بعد توليه بعامين خلال سنة 1756 ، أن يقوم باتخاذ بعض الاجراءات فى محاولة لاصلاح تحصينات المدينة ، وأن ينظم البحرية ، ومع هذا فقد ضاعت كل اهتماماته بشئون ادارة البلاد تدريجيا فيما بعد[18] . لقد أهمل الباشا ، واجباته خلال أواخر ستينيات وسبعينيات القرن الثامن عشر لدرجة أن أصبح السلطان العثمانى قلق البال حول مصير البلاد . ولذا فانه ارسل فى عام 1778 مبعوثا خاصا لتنبيه الباشا من أجل صرف اهتمامه نحو مسئوليات الولاية - مثل القيام بالاصلاحات الضرورية اللازمة للدفاع ، وتحسين البحرية ، ودفع رواتب الجنود على نحو منتظم - وممارسة سلطاته حتى لايكون مضطرا للتدخل الشخصى[19] . ولم يلاق أمر السلطان اذنا صاغية من الباشا الذى استمر فى تكاسله واشباع رغباته ، وكرس خلال العقد الاخير من حكمه معظم وقته الى احتساء الكحول ومعاشرة الحريم ، مثل اليهودية استر فى حين تخلى عمليا عن شئون الدولة لابنه الاول الباى حسن[20] .

ولامناص من أن تنعكس تأثير شخصية الباشاوات على السلطة المركزية فى وضع كانت تترك فيه مقاليد الامور السياسية والعسكرية فى يد - الباشا . بيد أن العامل الذى ساهم بشكل أكثر فى "وهن

-17 F.O. 161/9,'Notes'by Anthony Knecht, C1767.

-18 F.O. 76/1, White to Fox, 27 July 1756; and F.O. 76/3 ; Cooke to Weymouth, 6 December 1777; Miss Tully, op. cit. pp. 19, 72-3.

-19 F.O. 76/3, Cooke to Weymouth, 8 April 1778.

-20 F.O. 76/3, Cooke to Weymouth, 6 December 1777; Miss Tully op.cit.,p.19; Ettore Rossi,Storia...,pp.249-50.

الحكومة الحالية لطرابلس"[21] ربما يتمثل فى النزاعات الاسرية والتى استمرت فى ازعاج الحياة السياسية فى البلاد ، منذ حوالى منتصف القرن الثامن عشر وحتي نهاية العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، لانه وعلى الرغم من أن أحمد قد ثبت مسألة الوراثة فى عائلته ـ العائلة القرمانلية ـ على أساس البكورة فى الابناء ، غير أن الطموحات الشخصية فى الوصول الى السلطة ، داخل الاسرة لم تسمح بالاجراءات الاسرية أن تعمل على نحو هادىء ، بل على العكس كانت موضوع خلافات واعتراضات دائمة .

يبدو أن خلافة محمد ، وفترة حكمه ، قد مرت دون أى مشاكل أسرية خطيرة[22] . وربما يرجع هذا الى أن شهرة حكم أحمد[23] ، مازالت ماثلة فى ذاكرة السكان . ومع هذا فقد ظهرت المشكلة فى عهد على ، بأبعاد خطيرة . وكانت خلافته محل جدال قوى من قبل بعض أعمامه بزعامة مصطفى الذى أدعى بحقه فى العرش[24] . ويبدو أنه لم يوافق على مبدأ أحمد فى تولى الخلافة على أساس البكورة فى الابناء . وتم حل المشكلة حلا مؤقتا بتعيين مصطفى بايا واعطائه ادارة بنغازى . وعلى الرغم من ذلك ، فبعد حوالى خمس سنوات ، أى فى عام 1760 ، كانت هناك دلائل على تنامى قوة "الامراء" الباقين فى طرابلس ، وأنهم كانوا يخططون لدعوة مصطفى لقيادتهم مرة أخرى ، ضد على باشا . وعلى هذا فقد كان هناك خوفه من أن يقود مصطفى قواته من بنغازى للهجوم على طرابلس ، بعد أن يرفع الامراء الاخرون لواء العصيان داخل المدينة . واستبق الباشا الحركة بأن أرسل قوة تتكون من حوالى 3,000 شخص الى بنغازى ،

-21 F.O.161/9,'Notes'by Anthony Knecht, C1767.

-22 Ettore Rossi, Encyclopaedia of Islam,Vol,iv,p.816 and Storia...,pp.239-43;Miss Tully,op.cit.,p.66.

-23 لقد أضفت شعبية أحمد عليه لقب " الكبير "The Great" . أنظر Miss Tully, p. cit.,p.46;and L.C.Feraud,Annales Tripolitaines, p.246.

-24 F.O. 76/1, White to Pitt, 25 September 1760; Miss Tully, op.cit.,p.148.

ولم تكن علنا ضد الباى ، ولكنها بحجة أن العرب هناك كانوا يخططون للقيام بالثورة[25] . وقبل أن يعلم الباى بحقيقة أمر وجود القوات فى أقليمه ، تم اعتقال الامراء ومؤيديهم ، ثم قتلوا بناء على أمر الباشا .

لم تنه هذه العملية المشاكل الاسرية فى طرابلس . فقد هرب الباى ، فيما بعد الى تونس . وظل مصطفى المدعى العرش ، خلال سبعينيات وثمانينيات القرن الثامن عشر ، يمثل من هناك تهديدا متواصلا للامن السياسى لنظام على فى طرابلس[26] . فقد دعم فى محاولته للاستيلاء على العرش من على باشا ، بجنود واسلحة وذخيرة من باى تونس الذى أراد أن يثأر من على باشا ، على دعمه ، فى وقت سابق ، للمدعين للعرش الحسينى فى تونس . وتمثل هذا فى حرب حدودية مع تونس ، استمرت حتى نهاية ثمانينيات القرن الثامن عشر[27] . ورغم أن هجومات تونس لم تكن حاسمة فإنها كانت سببا فى إيجاد شعور عام بعدم الاستقرار السياسى ، فى البلاد .

إن مازاد فى خطورة التهديد من تونس ، فى سبعينيات وثمانينيات القرن الثامن عشر على الرغم من ذلك ، تفاقم مشكلة سياسية أخرى داخلية ، واجهت نظام على باشا وهى الثورات الداخلية .

لقد كانت احدى انجازات أحمد باشا السياسية البارزة ، كما اشير آنفا ، تتمثل فى اخضاع البلاد ، وبهذا تم وضع الاقاليم الداخلية مثل بنغازى وفزان تحت السيطرة الكاملة تقريباللسلطة المركزية فى طرابلس . غير أنه بزوال شخصيته القوية وجهوده الفعالة ، الى جانب الوضع السياسى ، الذى كانت فيه الاسرة الحاكمة منغمسة بأنتظام فى خلافات وصراعات سياسية شجع .

-25 F.O. 76/1, White to Pitt, 25 September 1760.

-26 Miss Tully, op. cit., p.148 ; F.O. 76/3, Richard Tully to Weymouth, 7 November 1779.

-27 F.O. 76/3, Richard Tully to Weymouth, 5 November 1779. R. Brunschvig in Encyclopaedia of Islam, Vol.iv, p.854;

السكان العرب على قطع ارتباطاتهم السياسية بطرابلس ، وعلى الاصرار على أستقلالهم المحلى مرة أخرى عن طريق الثورة . فشكل ذلك الوضع العامل الثالث والرئيسى للتدهور السياسى فى طرابلس خلال القرن الثامن عشر .

كان التمرد محدودا في بداية حكم على باشا ، وفى ستينيات القرن الثامن عشر عموما بيد أن هذه الثورات زادت فى مدى تكررها وقوتها فى سبعينيات القرن الثامن عشر ، وعلى الخصوص ، فى آخر عقد من حكم على[29] ، كنتيجة لتناقص سيطرة الباشا على شئون البلاد الى حد ما ، بالاضافة الى تنامى المشاكل الأسرية . وهكذا شجعت تلك الخلافات القبائل على الثورة فى الدواخل وعرضت البلاد الى خطر غزو خارجى من تونس والى امكانية احتلال عثمانى ثان حيث ان الخوف بدأ يدب الى السلطان العثمانى ، خلال سبعينيات القرن الثامن عشر من ان فقدان الباشا مقاليد الامور فى البلاد وانشغاله بصراعات الاسرة على السلطةسيطمع بعض الدول «المسيحية» مثل فرنسا أو

28- لم تستخدم كلمة " قبائل "Tribes هنا بالمعنى الازدرائي الذى ربما يقصده الكتاب الأوروبيون الاستعماريون و لكن لكونها أكثر ملاءمة اجتماعيا لوصف وحدات المجموعات العرقية بين سكان شمال افريقيا على وجه العموم . Miss Tully,op.cit.,pp.148 and 226-7.

29- ان بيانات بالأسباب و الدوافع لانتفاضات سبعينيات القرن الثامن عشر مدونة في F.O. 76/3, Richard Tully to Rochford, 25 September 1772; ibid., Cooke to Weymouth 6 December 1777; ibid. Cooke to Rochford, 12 May 1777 ibid., Richard Tully to Weymouth, 5 November 1779.
أما بالنسبة لانتفاضات ثمانينيات القرن الثامن عشر أنظر : Miss Tully,op.cit.,pp.51,82,187 and 198.

بريطانيا فى العمل على احتلالها ([30]) .
وزاد خوف السلطان فى نهاية سبعينيات القرن الثامن عشر ، حيث لابد وأن التقارير قد وصلته حول تزايد اندلاع الثورة فى الدواخل ، وحول امكانية هجوم مصطفى المدعى للعرش ، مع دعم تونسى[31] ولذا نراه يحذر على باشا ، بأن البلاد مازالت تابعة له ، وأنه باستطاعته استعادتها فى أى وقت .
وكان نقل ذلك الانذار جزءً من مهمة البعثة التى أرسلها السلطان الى طرابلس فى عام 1778[32] ومع هذا ، فقد أخفق الباشا فى حل المشكلة الاسرية ، ولكن ويسبب اتخاذ بعض الاجراءات الطفيفة ضد الثورة[33] التى كانت مستمرة آنذاك ، لم يستطع أن يحرك ساكنا حيال تنظيم الامور الداخلية . وعلى هذا يبدو أن السلطان قرر احتلالها عند وصول تقارير أخرى الى القسطنطينية ، حول تفاقم المشاكل الاسرية فى طرابلس .
وصلت طرابلس تقارير ، عن طريق تونس ، فى شهر يونيو عام 1786 ، بأن كابودان باشا حسن الاول قد أبحر من القسطنطينية مع آخرين ، ومعه أوامر من السلطات لخلع باشا طرابلس[34] وللاستيلاء على البلاد نيابة عن السلطان . وعم الذعر عقب اعلان على باشا فى اجتماع طارىء للديوان بأنه سيتخلى عن العرش ويهرب الى تونس . وكان من الممكن ان يكون سقوط طرابلس أمرا هينا ، غير أن كابودان باشا حسن الاول قد قرر أن يقوم ببعض الاعمال فى مصر ، قبل أن يعود فى النهاية لاحتلال طرابلس ولكنه قبل اتمام ذلك أبطل الموت الفجائى للسلطان عبد الحميد الفرمان الاصلى ، الذى

-30 Miss Tully, op.cit.,pp.40 and 149

31 تصل التقارير حول أحداث طرابلس أو غيرها من دول شمال أفريقيا بسهولة الى القسطنطينية عن طريق التجار الاتراك الذين يجوبون البحر المتوسط خلال ذلك الوقت .

32 أنظر ص 4 أعلاه .

-33 F.O. 76/3, Cooke to Weymouth, 8 April 1778

-34 Miss Tully, op.cit.,p.149

يخوله احتلال لطرابلس[35] .

ولم يتخلَّ سليم الثالث ، خليفة السلطان عبد الحميد ، عن فكرة استعادة احتلال طرابلس طالما كانت المعارضة مستمرة فى الاسرة الحاكمة[36] ولذا قرر فى عام 1791 ، مرة أخرى احتلال طرابلس عن طريق حامية تركية ، وتنصيب باشا تركى عليها . وكان هناك بعض التأخير ربما يرجع الى اندلاع بعض التململ السياسى ، فى تونس ، فى عام 1792 . بيد أن التأخير لم يكن طويلا ، فقد تم لعلى برغل فى شهر يوليو عام 1793 ، الاستيلاء على طرابلس ، نيابة عن السلطان العثمانى[38] .

أن السهولة التى أحتل بها على برغل طرابلس ، فى عام 1793 ، لا يمكن تبريرها على نحو مقبول ، الا بالشلل السياسى الذى عَمَّ البلاد كنتيجة لاحياء مشاكل أسرية اضافية داخل الاسرة القرمانلية ، فى العقد الاخير من عهد على باشا . وكانت الشخصية الرئيسية التى لعبت دورا فى هذه المأساة ، والتى أدت فى النهاية الى اندلاع حرب أهلية فى طرابلس ، ثم الى احتلال أجنبى ، تتمثل فى سيدى يوسف الابن الثالث والاصغر للباشا . لم يبلغ يوسف العشرين من عمره فى تلك الاثناء ، ولكنه كان عنيفا يصعب ضبطه ، متقد الذكاء ومتطرف الطموح[39] وأدرك تماما حقيقة حب والده الباشا له ، وتفضيله على أخويه ـ الباى حسن وسيدى أحمد ـ فأحسن استغلال شيخوخة والده ، الذى كان يميل الى توليته مباشرة الباشاوية بدلا من أخيه الباى صاحب الحق الصريح فى تولى العرش . بالاضافة الى ذلك فأن

-35 Miss Tully, op.cit.,p.150

-36 المصدر السابق ص 149 .

-37 أنظر : المصدر السابق صفحات 297 299 ـ 300 من أجل البيانات حول هذه الاضطرابات السياسية .

-38 أنظر : المصدر السابق صفحات 348 ـ 352 . وأنظر أيضا :Ettore Rossi,Storia...,pp.255-7.

-39 فيما يتعلق بعمر يوسف أنظر : Tully,op.cit.,p.241;and F.O.76/5, Lucas to Portland, 26 July 1796. On his character see Miss Tully op.cit.,p.21; and F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822.

طموح أحمد الشخصى كان له أثره على الوضع السياسى القائم . فلم يقتصر عزوف الباشا عن ادارة شئون الدولة فى خلق المجال للانقسامات والمكائد داخل القلعة فحسب ، بل أوجد أيضا وضعا اصبحت فيه رغبة يوسف فى الاستيلاء على السلطة أمرا لا يقاوم . لقد بدأت الامور السياسية تفلت من الباشا الى الباى منذ أواخر سبعينيات القرن الثامن عشر ، بسبب تراخى الاول واعتلال صحته[40] .

وأصبح الباى يترأس اجتماعات الديوان احيانا ، وكان فى الغالب الشخص الذى يقوم ـ بالمعاملات مع القناصل الاوروبية المقيمة ، الى جانب أنه يشغل منصب قائد القوات العسكرية وغالبا ما كان يقوم بمساعدة الكيخيا الكبير فى الاعمال القضائية فى أحياء مختلفة من المدينة[41] وكان للباى قواته البحرية الخاصة ، ومواضع ترميم السفن وتجهيزها ، كما كان يتلقى عائدات طائلة من قراصنته .

لقد آثار مركز الباى السياسى ، وما يصاحبه من قوة تأثير ومزايا أقتصادية غيرة يوسف وبدأ طموحه فى خلع أخيه ، على وجه الخصوص خلال 1785 ـ 1786 لان نجاح الحملات التى قام بها ضد قبائل العرب قد دعمت شهرته ، على نحو كبير[42] وبهذا بدأ تسليح خدمه داخل القلعة واستخدامهم فى حراسته . ويعتبر ذلك العمل مخالفاً لنظام حمل الاسلحة داخل جدران القلعة ، غير أنه نظرا لضعف الباشا ولميوله نحو يوسف فأن تلك الممارسات استمرت دون مساءلة .

لم يكن أمام الباى خيار سوى تسليح خدمه أيضا ، وكذلك فعل سيدى أحمد الاخ المباشر ليوسف . ومن ثم فصاعدا دأب الامراء الثلاثة مع جنودهم المسلحين حضور اجتماعات الديوان . وأصبح

40- F.O. 76/3, Cooke to Weymouth, 8 October and 6 Dec.1777.

41- بالنسبة لوظائف الباى و الكيخيا الكبير و غيرهم من موظفى الدولة بالاضافة الى تكوين الديوان (مجلس الدولة) عموما أنظر : الفصل الثالث أدناه .

42- Miss Tully,op.cit.,pp.20,108,110 and 154-6.

سباق التسلح » والمكائد داخل القلعة من الامور التى تقلق راحة الباشا المسن وعندما مرض الباشا مرضا خطيرا فى نهاية سنة 1787 ، أشتد التوتر فى جميع أرجاء المدينة حيث كان يتوقع الجميع بأن موته ستكون بداية لانفجار العداء على نحو ظاهر بين الفريقين الرئيسيين المتصارعين[43] .

ومع هذا فقد شفى الباشا من مرضه فيما بعد ، وحفظ البلاد من تورطها فى حرب اهلية بيد أن هذا لا يعنى اعادة الاستقرار الكامل فيها بل كان على العكس فرصة ثمينة ليوسف ، الذى تزايد طموحه لتولى السلطة ، فبعد سنتين أى فى سنة 1789 قام بمحاولتين غير ناجحتين ، للقضاء على الباى الذى ظل العقبة الرئيسية فى طريق توليه السلطة[44] .

وسنحت فرصة هذه المحاولة مع ثورة قبائل أولاد سليمان ، تحت أمـــرةِ قائدهم الشهير الشيخ سيف النصر . ذلك الرجل الذى كان لمدة طويلة مصدرا قويا للمعارضة ضد النظام القرمانلى والذى أتبع حلفاؤه نفس تعاليمه ، كما ستبين فيما بعد .[45] وأعلن الشيخ نحلله الكامل من أى دفع إضافى للضرائب ، فى أواخر سنة 1788 ، منتهزا الخلافات داخل الاسرة القرمانلية ، وقاد منطقته بكاملها فى ثورة عنيفة ضد طرابلس[46] وكان على الوالى ، لاخماد هذه الثورة ، أن ينظم قواته داخل المدينة بسرعة وقاد الباى هذه القوات بدعم من عرب ورفلة من بنى وليد ، وتعزيزات أخرى تحت قيادة الشيخ اللافى ؟ ضد الشيخ سيف النصر[47] ومع هذا أصبح اخضاع الشيخ أمرا صعبا ،

43 ـ المصدر السابق صفحات 154 168 و 179 .

44 ـ المصدر السابق ص 233 .

45 ـ بالنسبة لمعارضته ضد أحمد القرمانلي أنظر : E.Blaquiere op.cit.,p.85 , اما بالنسبة لمعارضة خليفته أنظر : الفصل الثالث والفصل الخامس .

46 Miss Tully, op.cit.,p.207; F.O. 76/4,Richard Tully to Sydney, 10 November 1782; ibid., Tully to Sydney, 31 March 1789; ibid.,Tully to Nepean, 8 December 1788.

47 ـ كانت جميع قوات الباى المضادة لسيف النصر حوالى 500 7 فارس وحوالى 000 6 من المشاة .

حيث أستخدم وسيلة جيدة فى استدراج قوات الباى أكثر فأكثر الى الداخل ، وقام بتدمير جميع المحاصيل الغذائية المتوفرة فى أعقاب تراجعهم مستهدفا تجويع العدو واضطراره الانسحاب من الحملة .

وبالرغم من الصعوبة التى أصبحت تتطلبها أخماد الثورة ، فأن ما بعث القلق أكثر بين صفوف القادة العسكريين والمدنيين فى طرابلس اقدام يوسف على استغلال هذه المناسبة فى تدبير مكيدة لاغتيال الباى[48] حيث أذا ما اذا أزيح الباى ، سيصبح من المستحيل على طرابلس حقا هزيمة الشيخ سيف النصر ، فى تلك الحملة . غير أن اخلاص حرس الباى ، والقوات المحاربة عموما ، قد أحبط محاولتى الاغتيال التى نظمها يوسف .

ومع هذا ، لم يحفظ هذا الفشل حياة الباى الا مؤقتا ، حيث دبر يوسف فى السنة اللاحقة مكيدة أخرى كللت بالنجاح . فقد تلقى الباى رسالة عاجلة ، يوم 20 يوليه 1790 تطلب منه أن يقابل أخاه يوسف ، فى بيت والدتهما بالقلعة ، من أجل تسوية نهائية لخلافهما . وبعد تردد حول صدق هذا التحرك المفاجىء من جانب يوسف ، قرر الباى أخيرا أن يذهب لامه غير مسلح . وهناك أردى قتيلا من قبل يوسف فى مشهد دموى ، أدهش البلاد بكاملها ، ورسم لنا على نحو جلى فى رسائل توللى[49] .

يبدو أنه بقتل الباى قد ازاح يوسف العقبة الرئيسية فى طريقه نحو السلطة اذ من المؤكد أنه لا أخوه أحمد ولا والده الباشا ، يستطيعان الوقوف فى طريقه . بيد أنه عرف أيضا من ردود فعل السكان ، أنه فى حاجة الى دعم أكثر فى المدينة والبلاد عموما ليتمكن من الاستيلاء على العرش . ففى المدينة ، وعقب اعلان موت الباى رسميا ، سلح السكان انفسهم بالبنادق والمسدسات والسيوف والخناجر ، واندفعوا فى الشوارع بأعداد كبيرة مطالبين بالثأر لمقتل بايهم المحبوب[50] . ولقد كان غضب السكان شديدا لدرجة أن أمر

-48 Miss Tully, op.cit.,pp.223 and 237.

-49 Miss Tully, op.cit.,pp.242-50;also Ettore Rossi,Storia... ,pp.254-5; and F.O. 76/4, Richard Tully to Grenville, 20 July 1790.

-50 Miss Tully, op.cit.,pp.250 and 252.

الباشا باخلاء الشوارع قد تم تجاهله تماما ، وكان على يوسف ومؤيديه المسلحين أن يهربوا من المدينة على جيادهم بأقصى سرعة[51] .

ويبدو أن يوسف قد تبنى ثلاث اجراءات ، ليبطل ردة الفعل المعادية لدى السكان وليوسع قاعدة مؤيديه . أولا ، يبدو من المحتمل جدا أن يوجه مناشدته للحصول على دعم من كثير من المجندين الاوروبيين الاصل المتذمرين ، والذى يستطيع أن يقدم لهم امكانية الترقيه الى ضباط فى الدولة وكان على النابولى ، أحد أولئك المتذمرين قد عينه مديرا لمقاطعة الساحل[52] . لقد كانت نقلة حكيمه فى سياسته استبداله المؤيدين له ببعض موظفى الدولة ، حيث أن الكثير من أولئك الموظفين مثل سيدى حسين وسيدى بورقا كانا من مؤيدى الباى السابق[53] بالاضافة الى ذلك فأن رئيس الوزراء مصطفى الكاتب وكبير القضاة عبدالله ، كانا فيما يبدو معارضين ليوسف . وكذلك كانت معاداة الكيخيا الكبير ليوسف على نحو واضح جدا حيث أن يوسف قتله فور اغتيال الباى [54] . ثانيا حاول يوسف تغطية طموحه الحقيقى فى العرش من أجل تلطيف العداء الشعبى نحوه . وعلى هذا ، فقد جعل الجميع يعرف ، أن ما قام به ضد الباى السابق ، هو بسبب نزاع شخصى بين الاثنين وليس نتيجة لطموحه فى الوصول لمنصب الباى ، أو العرش فأسرع بأبداء موافقته على تنصيب أخيه أحمد فى منصب الباى معبرا عن حسن نواياه[55] أما الاجراء الثالث الذى أتخذه يوسف ليكسب دعما أكثر ، فهو أن يعمل من خلال المرابطية «الذين كان لهم تأثير فى حياة السكان

-51 Miss Tully, op.cit.,p. 250.

-52 المصدر السابق ص283 .

-53 المصدر السابق صفحات 250 255 . و يبدو أن الأثنين كانا ضابطين عسكريين عاليى الرتبة و مسئولين عن بعض أقسام القوات الطرابلسية و التي كانت في مجموعها تحت القيادة العامة للباى

-54 Miss Tully, op.cit.,pp.243-50;Ettore Rossi,Storia..., p.247.

-55 Miss Tully, op.cit.,p. 253.

اليومية . حيث كانوا يعتقدون فى قدراتهم على الاشفاء والتنبؤ بالمستقبل مما وضعهم فى مكانة رفيعة وجعل أشخاصهم ومقاماتهم مقدسة[56] . فعلى سبيل المثال ، وبصرف النظر عن نوع الجريمة ، القتل أو الخيانة العظمى ، فحالما يتمكن المتهم من الهرب الى الضريح أو المرابط فأنه يعتبر آمنا من أى سجن أو عقاب ، حتى وأن كان ذلك بأمر من الباشا نفسه ولذلك فانه على الرغم من أن الدراويش لم يمارسوا أى ضغط سياسى مباشر فأنه كان بأمكانهم حمل السكان على الميل نحو قضية معينة ، من خلال التأثير الدينى الذى يمارسونه عليهم ، وهذا يفسر جزئيا لماذا قرر يوسف أن يستغل أحد هؤلاء الدراويش المؤثرين ، وهو الفطيسى الذى لم يكن لانه مجرد مرابط فحسب بل لانه كان ينحدر من اصل الاسرة الفاطمية التى لها تقدير خاص (57) ، وهو اصل قد استمد منه الاحترام والتقدير بين السكان بشكل خاص (*) .

ولا نعلم فى غياب أية احصائيات سكانية دقيقة العدد أو النسبة السكانية التى اكتسبها يوسف طبقا لتلك الاجراءات ، الا أنه يمكن القول على وجه العموم بأنها ساعدته فى كسب شىء من الدعم الشعبى حتى وان لم يكن كبيرا فى المدينة ، فهو بالتأكيد فى الداوخل . وكانت المنشية أول المناطق التى نجح يوسف فى الحصول على

56- قارن بدور و مركز الدراويش في المغرب : E.Doutte, Notes sur l'Islam maghribin, Les Marabouts, (Paris,1900). See also O.Levi-Provincial and G.S. Colin in Encyclopaedia of Islam, Vol.III,p.595.

57- يرجع الفاطميون نسبهم من خلال أبى محمد عبيد الله الى فاطمة بنت النبي محمد (صلعم) وأسوا أسرة من الخلفاء الذين حكموا مصر و المغرب خلال القرن العاشر و الحادى عشر و الثاني عشر . فيما يتعلق بتاريخ الفاطميين أنظر : M.Canard in Encyclopaedia of Islam, Vol.II(New Edition,1965), pp.850-62.

* يعنى بذلك انه شريف من سلالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق اولاد ابنته فاطمة .

تأييدها (58) ، حيث كسب بفضل عملائه مثل على النابولى والمرابط الفطيسى الحملة فى تأييد بعض من اصحاب المكانة بالمجتمع ، والتجار من ذوى النفوذ بالمنطقة وكان سعيدا على وجه الخصوص بأنضمام الزعيم الرئيس «القائد» وزاد عدد المؤيدين تدريجيا . فبحلول سنة 1790 ، كان ليوسف حوالى 300 رجل تحت السلاح تضاعف عددهم مع منتصف السنة التالية (59) .

ان زيادة السيطرة التى كانت ليوسف على المنشية منحته فرصة عظيمة فى حملته اللاحقة ضد مدينة طرابلس نفسها . المنشية كانت نظرا لموقعها الاستراتيجى الصلة الرئيسية بين المدينة والدواخل وعن طريقها يمكن بسهولة ضبط أية حركة تعزيز من الدواخل الى المدينة وفى المقابل فان أية سيطرة فعالة على المنشية من شأنها ان تمد القوات المحتلة بوسيلة جيدة لفصل طرابلس عن مصادر الامدادات الغذائية من الداخل .

بدأ يوسف المحاولة فى الحصول على عرش طرابلس ، بعد ضمان الميزات الاستراتيجية الناجمة عن تنامى قوة مركزه العسكرية والعددية بالمنشية . وكان فيما يبدو ان له خيارين لتحقيق ذلك . الاول : ان يستغل الباى للحصول على غايته من خلال ثورة بالقصر «فى حين يحتفظ بمؤيديه المسلحين فى المنشية على اهبة الاستعداد لأى طارىء ثم يقترح على الباى ان يستولى على العرش بدعم منه ، ومن ثم يصبح يوسف الباى حتى يبلغ ابن الباى السن المناسبة لمباشرة مهامه الشرعية[60] وبدأ هذا الخيار مغريا ، غير انه لم يكن من الصعب على الباى ادراك هدف يوسف الحقيقى وهو العرش ذاته ،

---

58 - المنشية سهل رملي خارج المدينة مباشرةً و يحده من الشمال البحر ويمتد لمسافة حوالى 2 ميلاً الى الجنوب و حوالى 13 ميلاً بأتجاه الشرق .

59 Miss Tully,op.cit.,pp.253,276,283 and 285. See also Umar Ali,b.Isma'll Inhiyar hukm al-usra al-Qaramanliya fil libiya (1795-1835)(Tripoli and Beirut,1966),pp. 45-79.

60 Miss Tully, op.cit.,p.276.

الذى يسهل له الاستيلاء عليه بمساعدة قواته . ومن ثم رفض الباى استخدام قواته كأداة لانقلاب تكون نتيجته النهائية وضع يوسف على عرش طرابلس .

ان رفض الباى الانضمام الى تآمره اجبره على الالتجاء الى الخيار الثانى وهو اغتيال الباى كما فعل مع الباى السابق وهذا يمكنه من ان يصبح الباى تلقائيا وذا حق لا ينازع فى وراثة العرش وقد يقدم لوالده انذارا بتسليمه العرش او يشن هجوما عسكريا بقواته التى اتم بناءها فى المنشية . ومن ثم فمع نهاية شهر مايو عام 1791 وجد نفسه منهمكا فى خطته للتخلص من اخيه . وعلى الرغم من ذلك فقد احبطت هذه المؤامرة بسبب يقظة حراس الباى[61] .

ومع فشل محاولة الاغتيال تخلى يوسف عن خطته فى القيام بثورة داخل القصر كطريق للوصول الى السلطة ولم يبق امامه الا ان يشن هجوما مكشوفا ضد الباشا والباى . واعطى الباشا موافقته على اتخاذ اجراءات امنية افضل داخل المدينة واصدرت التعليمات الى مختلف المشايخ لتسليح السكان على وجه العموم بعد ان فشلت المحاولات فى التوفيق بين يوسف واخيه . بالاضافة الى ذلك فقد منح الباشا اذنه للباى لاحضار امدادات من الاجزاء الاخرى من البلاد وذلك من اجل تقوية دفاعات المدينة وبالفعل استجاب اهل مصراته بسرعة الى استغاثة الباى وارسلت بعض القوات الى طرابلس[62] وتحقق يوسف من ان عملية قواته الهجومية ستكون اكثر صعوبة اذا ما سمح بمرور الوقت لوصول امدادات اضافية من مصراته وترجع معارضة هؤلاء ليوسف على الخصوص الى سببين رئيسيين الاول انه كوال على مصراته نفر السكان على نحو كبير بقراراته الطائشة والاستبدادية وبحملته القاسية من اجل انتزاع الضرائب العالية من المقاطعة وبجور ادارته عموما ، اما السبب الثانى فعند ماثار اهل مصراته مع نهاية سنة 1790 ، ضد نير ادارة يوسف وطالبوا بتعيين وال جديد اقنع الباشا على الرغم من معارضة الباى بارسال حملة عسكرية لتأديبهم [63] فسببت الحملة ، دمارا شاملا للمقاطعة ويؤسا

-61 Miss Tully,op.cit.,pp.281-2.

-62 ibid.,pp.283-4.

-63 Miss Tully,op.cit.,p.258,261,265-6, and 269.

كبيرا للسكان وعلى هذا ونتيجة لبغض الباشا ليوسف تطوع اهل مصراته على الفور للمساعدة فى الدفاع عن طرابلس ضد قوات يوسف .

ومع وصول الجزء الاول من قوات مصراته يوم 22 يونيه 1791 قرر يوسف الهجوم فورا قبل وصول امدادات اضافية الى المدينة . وكان ذلك عندما اعلن الحرب ضد الباشا والباى صباح اليوم التالى عند الساعة العاشرة والنصف وامر قواته بالهجوم على المدينة والاستيلاء على القلعة[64] وكانت تلك بداية حصار طرابلس وهو الحصار الذى استمر زهاء اربع سنوات .

ويمكن تقسيم حصار يوسف لطرابلس من 1791 الى 1795 الى مرحلتين كانت المرحلة الاولى 1791 - 1793 فى حقيقتها حربا اهلية بين يوسف ومؤيديه فى المنشية من ناحية وضد بقية اجزاء طرابلس من ناحية اخرى تميزت بسلسلة من المناوشات غير الحاسمة قادت الى مأزق وانتهت الى غزو اجنبى للبلاد .

وكانت قوات طرابلس خلال جزء كبير من الحرب الاهلية متفوقة على قوات يوسف وعلى الرغم من انها لم تقم بأية مبادرة نحو مهاجمته ، فان دفاعهم العنيد عن المدينة قد صد العدو وتعتبر هذه الميزة الاولى نتاج عدد من العوامل : الدعم الشعبى الذى قدم للباشا ضد الابن المتمرد ، تلقيه لامدادات منتظمة من الاجزاء الاخرى للبلاد من امثال ماوصله من عرب النوائل فى الغرب من طرابلس ومن سكان الجبل بمنطقة غريان وكذلك بسبب الوضع الممتاز للمدينة من حيث السلاح والذخيرة[65] واستمرت طرابلس فى صد هجمات يوسف من المنشية كنتيجة لتلك الميزات طوال الفترة مابين عام 1791

-64 ibid.,p.285;F.O.76/4 Richard Tully to Grenville, 24 June 1791.

65 - لقد أعطيت شروح مفصلة لهذه العوامل في الأطروحة الأصلية : Kola Folayan, 'Tripoli During The Reign Of Yusuf Pasha Qaramanli' (Unpublished Ph.D. Thesis, University of London, 1970) أنظر أيضا ـــــ Miss Tully المصدر السابق صفحات 284 286 294 - 295 302 309 .

وحوالى منتصف عام 1792 . وخلال شهر يوليه من السنة الاخيرة تم الاستيلاء على جزء من المنشية وردت قوات يوسف الى الضواحى وعلى الرغم من ذلك لم يتم الاحتفاظ بهذا النجاح طويلا ، اذ استطاع يوسف قبل نهاية السنة استعادة موقعه[66] بل وفى خلال السنة التالية أو نحوها اصبح يوسف الشخص الذى يقرر مسار الحرب .

ترجع مقدرة يوسف فى شن الهجوم الى العوامل التالية : العامل الاول ويكمن فى استمرارية احتلاله للمنشية ، حيث بدأ فى ابراز نضوب خطير لمصادر المدينة الاقتصادية ففى شهر اغسطس عام 1792 على سبيل المثال كان الوضع يائسا لدرجة ان الباى الذى كان يشغل منصب القائد الاعلى لدفاعات المدينة بدأ يفكر فى كيفية الحصول على قروض من القناصل الاوروبية المختلفة ولم يكن الحصول على بعض العون الفورى إلّا بفرض ضريبة عامة على اليهود[67] بيد ان هذا الاجراء لا يمكن ان يكون الا حلا مؤقتا اذ عندما حان الوقت للمعركة الفاصلة فى سنة 1793 لم تكن هناك الاموال الكافية لشراء الذخيرة المطلوبة على نحو ملح . وكان على الباى ان يأمر جنوده باستخدام الحجارة ضد القوات الغازية[68] اما العامل الثانى فالى جانب المشكلة الاقتصادية كانت هناك مسألة القوات الخارجية ففى حين كانت طرابلس تواجه حصار يوسف كانت فى نفس الوقت فى خطر غزو خارجى من السلطان العثمانى وخاصة بعد نهاية سنة 1791 كما اشير اعلاه[69] وهذا يعنى تبديداً للجهود الدفاعية للمدينة مع خوف مستمر وعدم استقرار سياسى مما سيؤدى الى اضعاف معنويات السكان والعامل الثالث يرجع الى ان الجهود الدفاعية الداخلية هى الاخرى اصبحت مقسمة حيث فى النهاية فضل الباشا نفسه العمل لصالح يوسف ضد مصالح المدينة

66 Miss Tully, op.cit.,p.295;F.O.76/4, Richard Tully to Grenville, 24 June 1791 ; and same to Dundas,15 July 1792.

67 Miss Tully,op.cit.,pp.310-12.

68 ـ المصدر السابق ص339 .

69 ـ المصدر السابق نفس الصفحة .

فعلى سبيل المثال نراه يأمر احيانا وكما فعل فى مايو سنة 1793 بأن تترك بوابات المدينة مفتوحة[70] وفى ذلك اضعاف للاجراءات الامنية التى اتخذها الباى بل واحيانا كان يناقش علانية الغاء المعارضة ضد يوسف فلم يؤد موقف الباشا هذا الا الى اضعاف المعنويات والى جعل الطرابلسيين فى حيرة حول الوقوف الى اى جانب[71] بالاضافة الى ذلك وبسبب الانقسام بين الباشا والباى فانه لاغرابة فى ان اصبح عرب الدواخل يعارضون ارسال اية امدادات اضافية الى المدينة .

وبصرف النظر عن العوامل الاقتصادية والخارجية ودور الباشا المخجل استجد عامل آخر برز بعد النجاح المبدئى وساهم فى زيادة اضعاف دفاعات المدينة ذلك ان يوسف نفسه قام بمجهود ايجابى لتقوية مركزه ضد الباى حققه من خلال حملة دعائية بين سكان ترهونة ومسلاته والساحل وهى المناطق التى نجح فى زيادة اتباعه امداداته فيها[72] واوشك ان ينجح فى نهاية شهر يونيه عام 1793 فى الاستيلاء على المدينة ومن الواضح ان ميزة التفوق العددى التى كانت من نصيب المدينة فى بداية الحرب الاهلية قد تحولت الان الى صالح يوسف بالاضافة الى ان المدينة كانت فى حاجة ماسة الى الذخيرة وكان الوضع يائسا وضاق السكان ذرعا من تلك الحال حتى ان احدهم اطلق النار على الباى عندما امرهم بان يستخدموا الحجارة .

ومن المحتمل ان محاولة اغتيال الباى دفعت الباشا الى تغيير موقفه مرة اخرى وفى تلك الاثناء حين كان سقوط طرابلس متوقعا يوميا ، وكان قناصل اوروبا يتخذون ترتيبات اخلاء عائلاتهم اعلن الباشا فجأة مرة اخرى مستغلا عداء السكان الشديد ليوسف ان يوسف متمرد ووضع ثمنا لرأسه[73]) ثم اعقب ذلك بالاعلان عن

---

70 F.O. 76/4, Richard Tully to Grenville, 24 June 1791

Miss Tully, op. cit., p.336.

71 Miss Tully, op. cit., p.287.

72 Miss Tully, op. cit.,pp.289-90,295,338-41.

73 ـ المصدر السابق ص347 . كان الثمن 2 000 سكوين Squins حوالى 650 جنيه استرليني .

خطته المتمثلة فى ارسال طلب مساعدة تونس ضد التمرد بالاضافة الى ذلك فان كثيرا من السكان بدأوا عندئذ يستجيبون لاستغاثة الباشا فى طلب المساعدة وبدأت الامدادات تأتى من الغرب فى حين ان قائد القبائل العربية المرعب سليمان آغا وربما الشيخ سيف النصر كان من المتوقع زحفهما من المناطق الشرقية للبلاد كما ارسل باى بنغازى بالاضافة الى ذلك كميات كبيرة من الامدادات الغذائية ومبلغا ضخما من الاموال لشراء الذخيرة اللازمة للدفاع عن المدينة[74].

ان هذه العوامل المستجدة التى جاءت لصالح طرابلس اوقفت زحف الجزء الاكبر من قوات يوسف والجأته الى القيام بالمناوشات العادية ضد المدينة والتى لا يمكن احتلالها بدون هجوم كبير وبذلك ظل كل من الجانبين محافظا على موقعه ، حتى نهاية شهر يوليه عندما تدخل عامل جديد تمثل فى غزو خارجى من قبل على برغل .

وعلى برغل من اصل قفقاسى اقام عدة سنوات فى الجزائر وترقى تدريجيا حتى وصل الى منصب رايس فى البحرية او رايس المرسى[75] وتعود اهميته كشخصية بارزة فى سياسة الجزائر الى منصبه والى علاقة زواجه من الباى فى اواخر سبعينيات القرن الثامن عشر ثم ابعد فيما بعد عن الباى الذى قرر التخلص منه بأرساله فى مهمة الى القسطنطينية حيث احتفظ به هناك كموظف فى خدمة السلطان العثمانى .

تلك الوظيفة هى التى احضرت على برغل الى مصر ربما فى سنة 1791 عندما لفتت انتباهه طرابلس التى يحكمها باشا مسن تنقصه القوة ومهدد بحرب اهلية طويلة ليس امامه الا الاستغاثة بطموحات مغامر سياسى يحمل صفات على برغل ولم يجد الاخير صعوبة عند رجوعه الى القسطنطينية فى الحصول على موافقة السلطان على مخططه فى الاستيلاء على طرابلس من الزمرة القرمانلية والقيام بحكمها نيابة عن الباب العالى واعتقد ان مثل

---

74 ـ المصدر السابق صفحات 340 ـ 342 .

75 ـ F.O. 161/10, Lucas to Nepean, 23 August 1793.
فيما يتعلق بمكتب رايس البحرية أنظر : الفصل الثاني من هذا الكتاب .

ذلك الاجراء سيحفظ البلاد لتركيا وبهذا يمنعها من السقوط فى ايدى الكفار مثل الفرنسيين[76] ولم يكن من الصعب على على برغل بعد الحصول على دعم السلطان أن يحشد المرتزقة اللازمة ، وأن يكون قوة بحرية .

ومن ثم ففى حين كانت طرابلس فى مأزق تخطى الحرب الاهلية ، ظهر على برغل فجأة على مسرح الاحداث . ووقع الناس فى ذعر ، عند حوالى الساعة الخامسة من مساء يوم 29 يولية عام 1793 عندما علموا بأن الاسطول التركى ، المكون من حوالى ثمانى سفن وحوالى 350 جنديا وأسلحة وذخيرة قد وصل من القسطنطينية ، مع قائد يحمل فرمانا سلطانيا لتولى السلطة بعد خلع الباشا الحاكم[77] ولقد استولى الرعب على الباشا نفسه ، وعلى الباى واعضاء الديوان الكبار . وفى الوقت الذى كان فيه القادة يتداولون حول ما اذا كانوا سيقومون بأية مقاومة ، نزلت القوات التركية المرتزقة وأستولت على المواقع الاستراتيجية على طول ميناء المدينة . وبذلك عندما قرروا دعوة يوسف وقواته من المنشية للانضمام الى الدفاع عن المدينة كان الوقت متأخرا تماما . فلم تصل بعد اجابة يوسف عندما قدم على برغل فرمان السلطان مع انذار للقلعة . ولم يكن أمام الباشا خيار ، الا أن يستسلم . وعند منتصف الليل تقريبا دعا موظفى الدولة ، بما

76 Miss Tully,op.cit.,pp.40,149 and 360-1.

77 Miss Tully,op.cit.,pp.350-2 and 395 : F.O. 161/10, Simon Lucas to Lord Hood, 8 August 1793 ; and ibid., Lucas to Dundas, 23 August 1793. A.F.F.E.T. B1, P.A.Guys to Delacroix de Constant, 14 Messidor, 5r Annee Republique (A.R.), in C.C.T.B. Tome 29, especially the enclosure : 'Memoire sur le consulat de la Republique Francaise a Tripoly de Barbarie precede de l'etat historique et politique de cette Regence. See also J. Medina, 'Les Karamanlis de la Tripolitaine et l'occupation temporaire de Tripoli par Ali-Boulgour, Revue tunisienne XIV (1907) pp. 21-32.

فيهم رئيس الوزراء ، والكيخيا الخ ، الى ظهر أحدى السفن التركية ريما ليؤدوا يمين الولاء للسلطان والباشا الجديد وبذلك دخل على برغل فى صباح اليوم التالى القلعة دخول المنتصر وأحتل طرابلس حسب مخططاته تماما ، نيابة عن السلطان الذى حل علمه محل العلم القرمانلى على القلعة وعند بوابات الميناء .

لقد غير احتلال على برغل طبيعة مايمكن أن يسمى المرحلة الثانية من الحرب التى استمر فى شنها ضد طرابلس منذ يونيه عام 1791 . ورغم ذلك فلم يكن الاختلاف بينها وبين المرحلة لاولى اختلافا فى الاسلوب العسكرى الذى استمر على شكل حصار احيانا مع بعض المناوشات وانما كان الاختلاف فى تغير دور يوسف الذى كان حتى احتلال على برغل لطرابلس ، فى يوليو سنة 1793 يقوم بدور المتمرد فى صراع على السلطة ضد والده وأخيه ، فأصبح منذ ذلك التاريخ قائدا "وطنيا" يحارب ضد طموحات مغامر سياسى يعمل جزئيا لصالح الاستعمار التركى . وعلى هذا ، ففى الفترة مابين يوليه 1793 الى يناير 1795 ، دخلت طرابلس فى صراع شرس ، لاعادة فرض استقلالها الواقعى وكانت قيادة يوسف فى النهاية والى حد كبير وراء نجاحه فى اعادة تأسيس الاسرة القرمانلية وفى توليه الباشاوية .

لقد تأكد لدى يوسف منذ ذلك الوقت وفور سماع أخبار تخلى والده الاجبارى عن العرش أن عليه أن يلم الشمل من أجل الدفاع عن طرابلس ، ضد الغزاة ولذا قرر أن ينهى الخلاف مع أسرته ، لكى يكسب السكان الى جانبه ، ووافق على استقبال الباشا والباى الهاربين مع ضباطهما المخلصين ، عن طيب خاطر ، فى المنشية ، حيث تم الصلح وانهاء الخلاف بين الجانبين[78] وليظهر تصميمه الاكيد للوقوف بصلابة مع هذا الحلف العائلى ، رفض دعوة على برغل للخدمة فى مجلس الدولة ، الديوان ، المشكل حديثا وتبع ذلك

78 Miss Tully, op.cit., pp.356-7 and 363 : F.O. 161/10: Simon Lucas to Lord Hood, 8 August 1793.

بأجراءات فورية لاتمام ارسال الباشا والباى الى تونس بحثا عن مساعدة خارجية للقضية القرمانلية ، فى حين استمر هو شخصيا فى حصار المدينة .

سحب يوسف أولا قواته من المنشية مؤقتا ، ليجعل الحصار أكثر فعالية ، وليعيد بناءها كما نجح فى الحصول على امدادات اضافية من السكان ، الذين رفضوا بادىء الامر الارتباط به كأمير طموح ثائر ضد والده ، فأصبحوا بعد ذلك مستعدين للوقوف معه من أجل الكفاح لتخليص بلادهم من غاز أجنبى . وكانت النتيجة ، انه تمكن فى خلال شهر من بدء حملته الجديدة من رفع عدد قواته الى حوالى 10,000 (79) والى جانب رفع القوة العددية لقواته ولد فى جنوده معنويات عالية بوعدهم امتلاك أى شىء تقع عليه أيديهم بعد سقوط المدينة ونجح بعد عودة القوات مرة أخرى الى المنشية فى حصار المدينة وعزلها تماما عن الامدادات الغذائية التى تأتيها من الدواخل . بيد أن هجماته فى شهر أغسطس 1793 ، قد ردت على أعقابها ، من قبل القوات التركية التى جمعت بين قواتها البرية وعملياتها البحرية[80] ورغم تلك النكسة فإنه استمر فى مواصلة الضغط على المدينة حتى حوالى أواسط عام 1794 .

هذا ولايعتبر الاحتفاظ بالحصار انجازا هينا فى ذلك الوقت بالنظر الى القوة المتنامية لمركز على برغل الذى كان يعمل فى الداخل بسرعة على تقوية قبضته على المدينة وأقنع بعض مؤيدى النظام القرمانلى ليغيروا ولاءهم كما حدث على سبيل المثال مع شيخ طرابلس ، فى حين أرغم آخرين على اخلاء مراكزهم المدنية والعسكرية ، والتى تم شغلها فورا بضباط مرتزقة من الاتراك واستبدل على سبيل المثال ضباطاً من الاتراك بجميع ضباط الحرس المركزى والبحرية وحراس القلعة أما

---

79 Miss Tully,op.cit.,p. 364.

80 F.O. 161/10, Simon Lucas to Dundas, 23 August 1793; ibid Simon Lucas to John Udney (Leghorn), 24 September 1793; F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822.

جميع من بقى من أفراد الاسرة القرمانلية فقد زج بهم فى سجن القلعة وأممت ممتلكاتهم . وكذلك أيضا ، فعل بالاغنياء وأصحاب النفوذ من اليهود من أمثال سيرور وابراهام واستير الذين ظن بأنهم موالون للقرمانلية[81] وعلى وجه العموم فانه اخضع بقسوة أية معارضة منظورة ، أما بالتعذيب أو القتل أو بأية صورة وحشية أخرى .

كانت الاداة الرئيسية التى استخدمت فى فرض هذا الحكم الاستبدادى ، فى طرابلس القوة التركية المرتزقة ، والتى على الرغم من التقارير الوقتية عن عدم رضاها فانها بقيت عموما على ولائها لعلى برغل ، وفى الحقيقة فإن ولاء تلك الحامية مكنه من اكتشاف مؤامرة كادت أن تطيح به ، فى أوائل عام 1794[82] كان فى صدارة مؤامرة كوهين التى وقعت فى شهر يناير من ذلك العام ، ثرى يهودى يدعى جوزيف كوهين . لقد بدأ اليهود من أصحاب النفوذ من أمثال كوهين فى العمل على اعادة الاسرة القرمانلية ، بادارة خدمات تجسسية لصالح يوسف بالمنشية ، ربما بسبب الابتزازات المفرطة التى تعرضوا لها منذ احتلال على برغل لطرابلس . وظهر مع نهاية عام 1793 استياء بين بعض المرتزقة الاتراك ، الذين انخفضت مرتباتهم وتأخرت امدادتهم الاخرى ولذا قرر يوسف استغلال هذه العناصر مجتمعة لثورة داخلية ، تمهد السبيل لقواته بالمنشية ويسهل دخولهم الى المدينة والاستيلاء عليها . وعلى هذا فقد أجريت بعض الاتصالات بأحد القادة الاتراك ، عن طريق كوهين ووعد بمكافأة قدرها حوالى 1,300 جنيه استرلينى لقاء تعاونه وبترقيته الى مركز "أعظم رجل فى البلاد بعد الباشا"[83] عقب الاطاحة بعلى برغل ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد احبطت المؤامرة ، لان الضابط التركى ، أخبر على برغل

81 Miss Tully, op.cit.,pp.354,360-7,374-6; Ettore Rossi , Storia...,p.256.

82 F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822; F.O.161 /10, Lucas to Dundas, 30 January 1794; and ibid., same to W.England, 4 February 1794.

83 F.O. 161/10, Lucas to Dundas, 30 January 1794. As Arabic has no 'P', Pasha is generally Written as Basha.

بجميع مراحل تطورها ، واحتفظ الاخير من جانبه بنسخ من جميع الرسائل التى اعترضها وفى صباح يوم 19 يناير ، عندما كانت لتعطى الاشارة ليوسف ليزحف على المدينة ايقظ ضباط من القلعة كوهين ، واقتادوه الى الخوازيق . اما الثلاثة والعشرون الآخرون من المتآمرين الاساسيين ـ 22 من الطرابلسيين ، ويهودى آخر ـ فقد جمعوا واحرقوا وصودرت جميع ممتلكاتهم ونفذ فى الاخرين عقوبة السجن وغرامات ثقيلة الوطأة .

تمتع على برغل الى جانب تقوية مركزه فى الداخل بالدعم الخارجى خاصة فى فترة مابين 1793 و 1794 مع نهاية سنة 1793 ومطلع سنة 1794 أرسل له أخوه امدادات مجانية تتكون من 500 مرتزق ، جندوا من الشرق[84] كما تلقى فى نفس الفترة تقريبا بعض الدعم الخارجى من بعض الدول الاوروبية . وأعلن للدول الاوروبية ، فور استيلائه على السلطة عن طريق قناصلها المقيمين ، عزمه على أن تتمتع طرابلس بنفس السمعة الدولية المضفية على الجزائر . وعلى هذا ، ومن أجل امكانية تجديد معاهداتها ، فانه يتوقع من هذه الدول الاوروبية أن تقدم له الهدايا المساوية فى القيمة لتلك التى تمنح عادة لداى الجزائر . وأردف ذلك بتهديد اعلان الحرب ، ضد أية قوة أوروبية تتخلف عن الايفاء بالتزاماتها لذلك ، ومن أجل كسب صداقته ، أرسلت له البندقية واسبانيا 25 و 10 براميل من البارود على التوالى ، فى حين أرسلت له اسبانيا بالاضافة الى ذلك 18 من الصناع المهرة وصوارى وغيرها من الذخيرة البحرية وكل مايلزم لبناء سفينة حربية بستة عشر مدفعا . كما استلم من نابولى 250 طنا من الذرة لاستغلالها فى تموين الحامية التركية[85] .

---

84 F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822; F.O.161 /10, Lucas to Dundas, 30 January 1794; and same to W. England, 18 December 1794.

85 F.O. 161/10, Lucas to Hood, 8 August 1793; ibid., Lucas to Dundas, 30 January 1794; F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822.

لقد تلقى على برغل ، الى جانب المساعدة الخارجية من عائلته ومن الدول الاوروبية دعما من القسطنطينية عندما وصل يوم 25 مارس عام 1794 ، مبعوث السلطان يحمل الفرمان وشارة السلطنة (القفطان والسيف) وفى ذلك الفرمان منح على برغل الصلاحيات الكاملة لحكم المدينة وأيالة طرابلس باسمه[86] ثم أعقب ذلك ، بعد حوالى ثلاثة أيام ، هدية تتمثل فى سفينة بها 22 مدفعا ، استكمالا للاعتراف السلطانى اذ يكمن جوهر هذه الاجراءات فى تزويد النظام بالقاعدة القانونية .

وربما مكن اعتراف السلطان على برغل من كسب خلفاء له من بين شيوخ القبائل فى الدواخل ، ففى شهر يونيه عام 1794 وصلت الانباء المزعجة الى معسكر يوسف ، بأن الشيخ سيدى الميلى والشيخ صميدة وكذلك سالم آغا قد أعلنوا تأييدهم للباشا الجديد . ولم يدعم أولئك المشائخ على برغل بالمحاربين فقط ، وانما ساعدوه فى الحصول على الامدادات الغذائية للقوات المقاتلة داخل المدينة وهذا يعنى أن فعالية "حصار" يوسف قد أصبحت منخفضة . فلم يكن أمامه عندما واجه الهجوم النهائى من المدينة فى يوم 29 أغسطس من خيار الا رفع الحصار وهجر المنشية[87] .

ولم تعن هزيمة يوسف نهاية الصراع من أجل الاستيلاء على المدينة ، وانما دفعته الى البحث عن دعم خارجى ، للمسألة القرمانلية .. ولم يكن عليه أن يبحث بعيدا فتونس التى هرب اليها والده والباى فور بداية احتلال على برغل لطرابلس مع نهاية شهر يوليه عام 1793 على مقربة منه ونظرا للاستقبال الذى أستقبل به

86 F.O.161/10, Lucas to Lord Hood, 1 June 1794, Also ibid., same to Pollock, 12 February 1794.

87 F.O. 161/10, Lucas to Dundas, 5 September 1794;ibid., Lucas to Robert Liston, 13 October 1974; ibid., Lucas to consul Magra, 20 October 1794; also Guys to Delacroix de Constant, 14 Messidor, 5r A.R. in C.C.T.B. Tome 29.

أولئك اللاجئون السياسيون الملكيون فان يوسف اقتنع بدعم الباى .
أما السؤال عما اذا كانت تونس مستعدة لتقديم أية مساعدة عسكرية للقرمانليين فقد أجيب عليه بالايجاب ، من خلال تنامى الموقف العدائى بينها وبين برغل . ففى شهر فبراير عام 1794 على سبيل المثال ، ارغمت الرداءة الجوية سفينة تونسية يقودها الرايس ابراهيم ، على الالتجاء الى ميناء طرابلس فتم الاستيلاء عليها فورا من قبل على برغل ، الذى ضم 130 تركيا كانوا على متنها الى قواته العسكرية[88] وبرر ذلك العمل المعادى ، بادعاء غير ثابت مفاده ان والى صفاقس استولى مرة على احدى سفنه وسجن بحارتها ، بيد أن خلافه الحقيقى يكمن فى ايواء بأى تونس للاسرة القرمانلية فأصبح عدوا له واعتبرت سفينته بذلك عرضة للاعتقال فى المياه الطرابلسية .

ولم يكن هذا فحسب ، بل عقب اعتراف السلطان العثمانى به ، كباشا لطرابلس بدأ على برغل سياسة خارجية مفعمة بالنشاط ، موجهة ضد المطامع الاقليمية لتونس . وأمر قواته البحرية والارضية ، خلال نشوة النصر الذى حققه على يوسف ، عند نهاية شهر أغسطس عام 1794 بالاستيلاء على جزيرة جربة ثم حاصر مدينة صفاقس واعلن عن نواياه فى دفع حدود طرابلس داخل تونس حتى الحمامات[89] .

ومن الطبيعى أن أصبح باى تونس منزعجا ، على نحو كبير بسبب الطموحات التوسعية لجاره الجديد والذى كان فى الوقت نفسه يعمل وفقا لمصالح السلطان العثمانى . أن السماح باستمرار ذلك من شأنه أن يهدد الوجود السياسى للاسرة الحسينية ، التى جعلت نفسها

88 F.O.161/10,Lucas to Dundas, 30 January 1794 - P.S. dated 12 February 1794.

89 F.O.161/10,Lucas to Dundas,30 January 1794 - P.S.dated 12 February 1794; ibid.,Lucas to Robert Liston,13 October 1794.

ظل الاسرة القرمانلية ، مستقلة عمليا عن القسطنطينية ، وحكمت تونس منذ مطلع القرن الثامن عشر . وعلى هذا ، أصبح الباى ينزع الى الاستماع لاستغاثة يوسف الحديثة ، من أجل المساعدة العسكرية ضد عميل السلطان الاستعمارى قبل أن يصبح قويا الى حد كبير وغادرت تونس فى نوفمبر عام 1794 قوة بحرية وبرية متحدة قوامها مابين 20000 و30,000 مقاتل مع 6 مدافع قوية لدك أسوار المدن ، 10 قطع ميدانية ، و3 مدافع هاون كبيرة الخ بقيادة القائد البارع مصطفى الخوجة لغرض مزدوج ، اعادة الاستيلاء على جربة واعادة الاسرة القرمانلية لعرش طرابلس[90] وتم تحقيق الغرض الاول بسهولة وصل ثم ظهرت القوات مع يوسف وأخيه أحمد ، أمام طرابلس يوم 17 يناير عام 1795 . وفى اليوم التالى طهروا المنشية من جنود على برغل واحتلوها . واستيقظت المدينة صباح يوم 19 يناير لتعلم أن على برغل قد هرب فى سفينتين اثناء الليل ، بعد أن نهب جميع كنوز المدينة القيمة ، وقتل حوالى 46 سجينا سياسيا .

ورغم ذلك فبعد هروب على برغل ، رفضت طرابلس فتح بواباتها للقوات التونسية التى أصبحت نواياها حربية بالنسبة لمن بداخل المدينة ، حيث بدا لهم أن هذه القوات تناست الهدف الحقيقى للمهمة ، وأصبحت متلهفة بأن تتبع استسلام على برغل بسلب غير مميز ، الا أن يوسف برز خلال هذه المرحلة الحرجة ونجح فى النهاية الى الوصول الى اتفاقية بين قادة الجيوش تم بموجبها فرض ضريبة عامة على جميع السكان لتعويض التونسيين على جهودهم فى المساعدة لتخليص طرابلس من الغازى على برغل[91] .

90 -F.O.161/10,Lucas to Dundas,8 February 1795;also B.Roy : 'Documents sur l'expedition de la Tripolitaine en 1209 de l'hegire'(1795)in Revue tunisienne XII (1906),p.283.

91 -F.O.161/10,Lucas to Dundas,30 January 1794 -P.S. Dated 12 February 1794;ibid.,Lucas to Dundas,8 February 1795 ; F.O.76/16,Warrington to Bathurst,5 July 1822; Miss Tully op.cit.,p.377;also L.C.Feraud,Annales Tripolitaines, op. cit.,p.299.

خضعت طرابلس مرة أخرى للاسرة القرمانية ، عقب تنحية على برغل . وحيث أن تنازل على باشا لم يسحب بعد ، وأنه مازال مريضا بتونس ، فقد حلت المشكلة بأن يتولى أحمد الثانى عرش طرابلس ويكون يوسف الباى .

وثبت أنَّ حكم أحمد لم يكن الّا مجرد انقطاع مؤقت فى تسلسل الاحداث فلم يعمر طويلا اذ وجدته طرابلس غير كفؤ لما يتطلبه ذلك الوضع ذلك أنه كان يفتقد الشعبية التى كانت لاخيه حسن الباى السابق ولم يكن لديه شىء من قدرات يوسف ، أخيه الاصغر

فاستحالت عليه بذلك صياغه أية سياسة نظرا لعدم اكتسابه لاية مواهب تمكنه من ذلك ، ولم يستطع حمل نفسه على العمل الا بصعوبة ولم يقم بأى جهد حيال حل المشاكل الاقتصادية الخطيرة والتى اكتنفت البلاد منذ العقد الاخير من حكم على باشا وازدادت سوءً بسبب غزو واحتلال على برغل لطرابلس . وظهر خلال وقت قصير أن زمام السلطة بدأ يفلت من يديه ، واستنزف قواه فى معاقرة الخمر ومعاشرة النساء ، بنفس الطريقة التى كان عليها والده المخلوع ؛ واستعظم السكان هذه الامور ، وطلبوا من يوسف أن يتولى السلطة ويساهم فى حفظ البلاد من دمار إضافى[92] .

كان ذلك العرض مغريا جدا ليوسف من الصعب مقاومته ومازالت شهرته كمحرر لطرابلس من الاتراك الاستعماريين ماثلة فى أذهان السكان عموما ومازال عرب الدواخل على أهبة الاستعداد للحضور عند طلبه . بيد أن البلاد قاست الكثير من إراقة الدماء وإنه على أية حال لم يعد فى استطاعة احمد ابداء أية مقاومة مسلحة ولذلك كله قرر يوسف عدم استخدام القوة فى انقلابه فى يوم 11 يونيه عام 1795 فما أن خرج أحمد باشا فى نزهته المعتادة مع بعض من

92 F.O. 161/10, Lucas to Messers. Turnbull, Forbes & Co., 20 June 1795; F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822.

حراسه الى المنطقة خارج بوابات المدينة حتى سارع يوسف ومؤيدوه فأغلقوا مداخلها وأطلقوا مدافع القلعة لتعلن تولى يوسف الباشاوية فعمت الفرحة الكبرى بين جميع رعاياه[93]. وكانت تلك بداية للنظام الذى استمر فى طرابلس طوال 40 سنة الـ 40 سنة التالية تقريبا

---

93 F.O.161/10, Lucas to Messers. Turnbull, Forbes & Co., 20 June 1795.

الفصل الثانى
ليبيا القوة المتنامية ١٧٩٥ - ١٨٠٥

شهد العقد الاول من حكم يوسف باشا، تحول طرابلس من مركز ضعف الى مركز قوة وسلطان إن قصة هذا الانجاز، يمكن أن تقسم الى قسمين . القسم الاول ، فترة السلام ما بين 1795 - 1800، فى حين كان القسم الثانى 1801 - 1805، متميزا بكفاح طرابلس الموفق للمحافظة على استقلالها السياسى فى وجه تهديدات من قوة أجنبية .

كشف يوسف باشا، خلال سنة من كسب السيطرة السياسية، على طرابلس، عن طريق انقلاب شهر يونيه سنة 1795، كشف عن الجزء الاول من طموحه السياسى للبلاد[1] المتمثل فى رفع طرابلس الى مركز القوة، على مسرح البحر المتوسط[2] . وكانت تلك مهمة صعبة بالنظر الى الظروف الاقتصادية والسياسية لطرابلس، فى ذلك الوقت . فقد كان هناك ضمور من الناحية السياسية، نتيجة لتشتت السلطة، بسبب الشقاق والصراعات الاسرية الى حد ما، داخل العائلة القرمانلية ، منذ أواخر القرن الثامن عشر[3] . ثم زادت الحالة سوءً نتيجة للحرب الاهلية الطويلة، واحتلال على برغل، والاضطرابات العامة، فى فترة 1791 - 1795 بالاضافة الى أن الاقاليم النائية مثل غدامس وفزان وبنغازى. من خلال ردة فعلها للفراغ السياسى بالوسط، عن طريق الثورات المتوالية ، قد نشرت الفوضى السياسية فى جميع أرجاء البلاد .

---

1 - فى هذا الفصل، وفى جميع الفصول الاخرى، يستخدم اصطلاح دولة State وبلد Country عموما، كاصطلاحين مناسبين لوصف المنطقة التى تقابل ما يسمى اليوم بليبيا ولكن ما كان ، فى الفترة تحت الدراسة دولة غير محكمة لا يجمعها مع بعض الا السلطة الشخصية للباشا.

2 - لاحظ قائم باعمال القنصل الانجليزى سايمون لوكاس Simon lucas، فى رسالته الرسمية بتاريخ 26/ يوليه 1796 ، بأن الباشا قد صمم على جعل طرابلس «ميناء جديرا بالاحترام»:
F. O. 76/5. Also F.O. 161/10, Lucas to William Hamilton (Naples), 13 January 1797.

3 - بالنسبة لهذا والفقرة التى تليه انظر : الفصل الاول

واذا كانت البلاد التى استولى عليها يوسف باشا، فى عام 1795، فى أضعف وضع سياسى لها، فإن صورتها الاقتصادية كانت كئيبة، على حد سواء. وفى الحقيقة فإن التدهور الاقتصادى بدأ فى طرابلس بعد حكم أحمد الاول (1711 ـ 1745) بفترة وجيزة. وكان العامل الاساسى المسئول عن هذا التدهور يكمن فى الرحيل التدريجى للاتراك الشرقيين الذين لعبوا دورا فعالا نتيجة لعدم وجود الحوافز من جهة وكذلك التطور الاقتصادى العام للبلاد من ناحية أخرى وبذلك تدهور اقتصاد البلاد، نظرا لحرمانها من المساهمات الاقتصادية لهؤلاء الاجانب الصناعيين، بالاضافة الى المشاكل السياسية التى أحدقت بها وأدت بها الى فترات من الازمات أثناء أواخر سبعينيات وثمانينيات القرن الثامن عشر.

عانت طرابلس من عام 1778 الى 1780 على سبيل المثال، من مجاعة وركود تجارى وتخفيض للعملة. وشهدت السنوات 1784 الى 1786 مجاعة كبرى، سبقت وباء الطاعون، الذى أنقص السكان بحوالى 25٪[5] ويعنى انخفاض عدد السكان هبوطا فى الانتاج الزراعى والتجارى، وأخيراً لم يؤدّ تفاقم العجز السياسى فى أواخر ثمانينيات القرن الثامن عشر والحرب الاهلية وكذلك أحتلال على برغل خلال عام 1791 ـ 1795 ـ الا إلى ازدياد دمار أكثر لاقتصاد البلاد. وعلى هذا، فبحلول وقت استلام يوسف لزمام الامور فى منتصف 1795، كان اقتصاد طرابلس هزيلا بما تحمل الكلمة من معنى.

والسؤال الذى يطرح نفسه، كيف استطاع يوسف باشا، أن يبدأ

---

4 ـ بدأ الرحيل التدريجى للاتراك الشرقيين فى عهد محمد ، انظر:

F.O. 161/9, 'Notes' by Anthony Knecht, c. 1767.

5 F.O. 76/3,Cookes to Rockford,12 May 1777;ibid.,Cookes to Weymouth,8 OCTOBER 1777 and 6 December 1779; ibid. Tully to Hilsborough,24 April 1780;Miss Tully , op. cit.,pp. 116-24.

طموحه فى تحويل طرابلس الى مركز قوة رغم الوضع السياسى والاقتصادى المتدهور؟ إن السياسة العامة للشمال الافريقى والتى لقيت تشجيعا ملحوظا منذ ايام التوسع الاستعمارى التركى فى البحر المتوسط قامت أساساً على القوة البحرية[6] ؛ حيث كانت البحرية القوية دائما، ضرورية لنشاط القرصنة، التى شكلت جانبا من التاريخ المضطرب للبحر المتوسط، منذ عصوره الاولى . وأصبحت هذه القرصنة تدريجيا، وخاصة فى القرنين السابع والثامن عشر مغامرة اقتصادية لدول الشمال الافريقى فى علاقتهم مع القوى الاوروبية . وكان على هذه القوى نظير استخدامها لممرات البحر المتوسط أن تدفع لدول الشمال الافريقى أموال الحماية وتكون عادة مصحوبة مع توقيع اتفاقية لهذا الغرض ؛ على أن يدفع مبلغ اجمالى من المال، وفى بعض الحالات، إعانات مالية منتظمة، فى مقابل الحماية للسفن والتجارة، وفى بعض الاحيان أيضا، ومع تغير الحكومة فى أى من البلاد المتعاقدة، أو مع تغير التمثيل القنصلى . فإن الدول الاوروبية تدفع أيضا، ما يوصف بـ «الهدايا القنصلية» فى شكل نقود أو بضائع، وأكثر البضائع شيوعا تتمثل فى الذخائر العسكرية والبحرية، واذا ما فشلت دولة اوروبية فى توقيع بعض الاتفاقيات مع دولة من شمال افريقيا، أو اذا فشلت فى أى وقت فى الإيفاء بالتزامات اتفاقياتها، فإن مثل هذه الدولة الاوروبية تخسر صداقتها مع تلك الدولة، وبذلك تعرض مرورها فى البحر المتوسط الى غرامات تنتزع من قبل القراصنة[7] أن أى أسر تقوم به دولة من شمال

---

6 See G. Fisher, *Barbary Legend: War, Trade and Piracy in North Africa, 1415–1830* (Oxford, 1957), Chap. II; H.G. Barnby, *The Prisoners of Algiers* (Oxford, 1966), pp. 19–21.

7 كان ينظر للجزائر، خلال القرن السابع عشر والثامن عشر، على انها اقوى دول شمال افريقيا بسبب بحريتها فى الاساس . انظر:

In the seventeenth and eightheenth centuries, Algiers was regarded the
most powerful of the Barbary states, mainly because of her navy. See
Naval Documents: Barbary Wars (Washington, D.C.: United States Govt.
Printing Office, 1939), Vol. 1, Irwin, p. 282. See also G. Fisher *op. cit,*
p. 82 and R. W. Irwin, *The Diplomatic Relations of the United States with*
the Barbary Powers, 1776–1816 (North Carolina Press, 1931), pp, 6–7.
R.W.Irwin:op.cit.,pp.8,11-14;M.Colombe in Encyclopaedia of Islam(new edition),vol.1,p.368 ; C.F.Galagher,The United States and North Africa(Cambridge,Mass.:Harvard U.P.,1963),p.59;H.G.Barnby,op.cit.,pp.23-4.

افريقيا، لا يسترجع الا بدفع أموال تحسب على أساس قيمة السفينة مع ما تحمله من بضائع، وعدد طاقمها .

وتحصلت دول شمال افريقيا، من هذا النظام، على عائدات كبيرة، بيد أن طرابلس ومنذ حوالى منتصف القرن الثامن عشر، فشلت فى الاستفادة من هذا المصدر كنتيجة لاهمال بناء بحريتها[8] . وعلى هذا، ومن أجل تلافى هذه الخسارة الاقتصادية، قرر الباشا بناء بحرية قوية واستخدامها بفاعلية .

ورمم الباشا حصون المدينة التى هجرت لوقت طويل، كخطوة أولى، ووضع عليها ما يقرب من 70 مدفعا ثم بدأ، منذ أواخر 1795، باصلاح ثلاث سفن محطمة، تركها على باشا واضاف اليها سفنا اخرى جديدة . وخلال ما يقرب من سنة، تضاعفت قوة البحرية[9] وترك تنامى الاسطول انطباعا قويا فى نفس السلطان العثمانى، الذى أرسل للباشا، فى سنة 1797 سفينتين بالاولى 24 وبالثانية 36 مدفعا، مع قطع من قماش القنب لصناعة الاشرعة والخيام، وحبال، ومواد تجهيز عامة للسفن، كما أرسل فرمانا للمصادقة على تولى يوسف السلطة وعلى رفع مكانة طرابلس الى مصاف اقاليم الجزائر وتونس[10] . وأصبح الأسطول ما بين سنة 1798 و 1800، مكونا من احدى عشرة سفينة، كما بدأ الذعر يدب الى نفوس قناصل الدول الاوروبية المقيمين بسبب تنامى قوة الباشا ومع نشوب الحرب ضد امريكا فى سنة 1801 كثف برنامج طرابلس البحرى على نحو كبير ويحلول سنة 1803، كان بأمكان طرابلس أن تتفاخر بوجود حوالى 13 سفينة مسلحة[11] . وأصبح بحوزتها، مع نهاية العقد،

---

8 ـ لم يكن لدى طرابلس فى سنة 1765 الأ ، ثلاث سفن : F . O 161/9 «Notes» by Anthony Knecht' C. 1767 . وفى 1795 ، ورث يوسف عند توليه السلطة من والده ثلاث سفن فقط ـ F.O '161/10 Lucas to john pervis, 30 June 1795

9 F.O. 76/5, Lucas to Portland, 26 July 1796; ibid., same to John Pervis, 31 June 1796.

10 ـ وهذا يعنى انه من الممكن للباشا ان يستعمل، مثل حكام الجزائر وتونس، علما او راية او ذيلى حصانين «Tugs» بدلا من واحد . ولمعرفة اهمية عدد ذيول الخيل فى تقرير المكانة الاقليمية للحكام ، فى الامبراطورية العثمانية ، انظر: H. Gibb and H. Bowen, *Islamic Society and the West: A Study of the Impact of Western Civilization on Moslem Culture in the Near East* (London, Oxford University Press, 1967, reprint), pp. 139–40. For the Sultan's *firmān*, see Doc. dated Shawāl 1211/mid-April 1797; Azis Sāmih Ilter, *Smali Afrikada Turkler* (ṣtanbul, 1939). pp. 335–6; ᶜUmar ᶜAli b. Ismāᶜil, *Inhiya*. . .

11 AFF.-ET. B1, Guys to Talleyrand, 28 Messidor, 6e Annee Republique (A.R.), in C.C.T.B. Tome 30; F.O. 76/5, McDonough to Pelham, 2 December 1802; *Naval Documents*. . ., Vol. 1, p. 368 and Vol. 2, p. 62.

سنة 1805 ، 24 سفينة مسلحة ، وعدة زوارق حربية . وأصبحت طرابلس بالفعل، جزائر جديدة[12] قوة بحرية ضارية فى البحر المتوسط .

وبالنظر الى أن قوة طرابلس خلال هذا العقد، قد اعتمدت الى حد كبير على بحريتها فانه من المفيد هنا أن نتتبع بإسهاب تنظيمها عموما، قبل مناقشة مدى مساهمتها فى قوة الدولة وسطوتها[13] . بدأ نمط تنظيمها، خلال الثلاث سنوات الاولى من تولى يوسف باشا العرش يظهر تدريجيا كنظام بسيط، حيث شكل كل قرصان مع طاقم يتكون من 20 الى 30 رجل وحدة من البحرية، تحت قيادة رايس أو قبطان، ويعتمد عدد الرياس، على الحجم العددى للبحرية 1800 لاسطول قرصنة يتكون من 11 سفينة، كان هناك أيضا 11 رايسا وهم : عمر الشلى ، شعبان أفندى ورايس محمد وعلى الكلباش، والرايس اسماعيل وآخرون . وكان جميع هؤلاء الرياس تحت قيادة امير بحر ، وهو منصب تولاه الرايس مراد حتى نهاية عهد يوسف باشا وكان امير البحر اعلى ضابط بحرية فى الدولة وكان رايس البحرية ايضا الى جانب اشرافه على اسطول القرصنة رئيس الجمارك ومراقب حسابات الموانىء .

كان تجنيد جميع ضباط البحرية بما فيهم امير البحر ورايس البحرية يتم من ثلاثة مصادر رئيسية اولا كان هناك اولئك الذين هم من اصل طرابلسى ويستقطب اغلبهم من السكان المحليين ثانيا : كان معظم الرياس من مرتزقة اتراك جندوا من الشرق وبصورة خاصة من

---

12 *Naval Documents. . .*, Vol. 1, p. 263; also ibid., Vol. IV, pp. 294 and 330.

13 - ان وصفى وتحليل للبحرية على اساس مصادر متعددة والتى يعتبر الاتى ذكرها من اهمها جميعا :

AFF.ET.B[1], Guys to Delacroix de Constant, 9 Fructidor, 4e A.R., and 30 Prairial, 5e A.R., and to Talleyr- McDonough to Pelham, 2 December 1802; Naval Documents..., Vol.I-III, passim

14 J. B. Cathcart, *Tri oli, First War with the United States, Inner History. Letter Book by J. L. Cathcart* (La Porte, Indiana, 1901), J. Cathcart to Pickering, 74 August 1800.

سنة 1800 ومابعدها . ثالثا : رياس آخرون اختيروا بعناية من بين المنشقين الاوروبيين ويعرف هؤلاء فى طرابلس خطأ بالمماليك اذ فى الحقيقة انهم الاوروبيون الذين هربوا من خدمة بلادهم احيانا فرارا من عقوبة اولمجرد المغامرة[15] ويجد الكثير من هؤلاء المنشقين بسبب مهاراتهم الفنية فى الملاحة وفى العمليات البحرية عموما وظائف مفيدة فى بحرية الباشا المتنامية .

وكان احد هؤلاء المنشقين اسكتلنديا يدعى بيتر ليسلى اعلن اسلامه ليتفادى محكمة عسكرية للسرقة والعصيان على السفينة هامبدن فى شهر يونيو عام 1774 واصبح اسمه الرايس مراد ثم عينه الباشا فى عام 1795 امير البحر فى بحرية طرابلس[16] .

كان ضباط البحرية بسبب الاهمية المعلقة على البحرية فى طرابلس كما هى الحال فى كل دول المغرب الاخرى من اصحاب النفوذ السياسى فعلى سبيل المثال كان سيدى احمد رايس البحرية عضوا بارزا فى الديوان وصنف كموظف ثالث فى الدولة يأتى فى المرتبة بعد الباى والاغا . وتمت ترقيته بالفعل فى عام 1809 الى منصب رئيس الوزارة بالديوان[17] بالاضافة الى ان مجالا آخر للسلطة التى مارسها الضباط البحريون على نحو مؤثر جدا كانت فى ادارة الشئون الخارجية اذ لم تكن تستطيع اية دولة اوروبية بسبب اهمية عمليات القراصنة فى المرور التجارى فى البحر المتوسط ان تتجاهل رياس هؤلاء القراصنة . فعلى سبيل المثال كان رايس البحرية بانتظام المستشار الرئيسى للباشا فى علاقات طرابلس مع مختلف الدول الاوروبية كما كان الرايس مراد امير البحر دائما فى مساعدة الباشا فى ارسال المبعوثين الى بلاط تلك الدول ، وكانت تؤخذ مشورته اثناء التفاوض مع المبعوثين والبعثات الاوروبية . اضافة الى ذلك فغالبا ما يعين بعض الرياس كسفراء خاصين أو مقيمين لدى اوروبا او لدى دول

15 ـ ان اصل العادة المحلية فى تسمية جميع المنشقين بالمماليك ، فى طرابلس، مازال امراً غامضا وتبنى المكتشفون البريطانيون الذين سافروا عن طريق طرابلس الى داخل افريقيا فى فترة 1818 ـ 1825 ، نفس الاصطلاح لجميع المنشقين الاوربيين انظر:

E. W. Bovill, *Missions to the Niger*, Vol. II, p. 159.

16 F. O. 161/10, Lucas to Dundas, 5 June 1794; Guys to Delacroix de Constant, 3 Fructidor, 4• A.R., in C.C.T.B. Tome 28; *Naval Documents. . .*, Vol. 1, p. 566.

17 ـ فيما يتعلق بمهام الباى، الاغا، والتكوين العام للديوان، انظر: الفصل الثالث.

شمال افريقيا الاخرى . فعلى سبيل المثال ارسل رايس البحرية سيدى احمد كمبعوث خاص الى الجزائر فى عام 1797 فى حين اعطى الرايس عمر الشلى مهمة مشابهة ، الى لندن فى عام 1830[18] .

والآن وبعد وصف تنظيم البحرية ودور رايسها يمكن مناقشة مساهمتها فى تطوير طرابلس بشىء من التفصيل خلال عشرية 1795 ـ 1805 وحالما ابتدأ البرنامج البحرى فى اواخر سنة 1795 اعلن الباشا بان طرابلس قد اصبحت قوة يحسب لها حساب وعلى هذا طالب الدول الاوروبية المختلفة من خلال قناصلها المقيمين على اعادة علاقات ملائمة مع طرابلس عن طريق ارسال «الهدايا القنصلية» التقليدية .

كانت اسبانيا اولى هذه الدول استجابة لمطالب الباشا ومن اجل تجديد اتفاقياتها دفعت للباشا مبلغ 20,000 دولاراً[19] . فى اواخر عام 1795 ومنحته سفينة بالاضافة الى ذلك وامدت احواض بحريته بـ18 من الحرفيين المهرة ودفعت البندقية للباشا فى نفس السنة مبلغ 4,000 دولار بعملة البندقية من السيكوينز ، وذلك كاعانة مالية لمدة سنتين متأخرة و2,000 اخرى لتصادق على الاتفاقية القائمة بين البلدين[20] ولحقت فرنسا بهدية من الاثاث قدرت قيمته بحوالى 10,000 دولار وحيث كان الباشا غير راض

18 Guys to Talleyrand, 3 Floreal, 6r A.R.; and Spanish consul (acting for France) to Mole, 18 September 1830, both in C.C.T.B. Tomes 30 and 36 Also P. O. 76/27, Youseff Bashaw Caramanli to Murray, 3 September, 1830

19 F.O. 76/5, Lucas to Portland, 26 July 1796; cf. L. C. Feraud, *Annales Tripolitaines* (Paris, 1927), p. 308.

جميع الاقتباسات هنا وفى اية جهة اخرى من الكتاب هى بالدولارات الاسبانية ، والتى ظلت خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هى مقياس سعر الصرف ليس فى طرابلس فقط ولكن فى الاجزاء الاخرى من شمال افريقيا .

يبلغ سعر الصرف ، 5 دولارات اسبانية لكل جنيه استرليني ، اما الرقم المشار اليه هنا فهو 20,000 جنيه استرليني ، يبلغ ما يقرب من 4,000 جنيه استرليني بالنسبة لاسعار التحويل ، انظر:

Naval Documents..., Vol. 1, p. 333, and also F.O. 161/10, Lucas to Portland, 30 June 1795.

20 F. O. 161/10, Lucas to Portland, 30 June 1795; and ibid., Lucas Consul Magra, 20 December 1795.

وتساوى هذه الارقام بالجنيه الاسترليني 2,000 و 1,000 حيث ان سعر التحويل طبقا للوكاس هى 1 سكوين بندقى يساوى نصف جنيه استرليني .

قدمت له فيما بعد سفينتان : على الاولى 20 مدفعا وعلى الثانية 16 مدفعا[21] .

اما الدول الاوروبية الاخرى مثل السويد والدانمارك وهولندا ونابولى الخ .. والتى فشلت فى تجديد اتفاقيات «الصداقة والتجارة» مع طرابلس على اساس ان طلبات الباشا كانت عالية جدا فانها وجدت بحريته تقف ضد سفنها فى البحر المتوسط وجلبت البحرية فيما بين سنة 1796 و1797 من السفن التى تم الاستيلاء عليها ربحا بلغ 84,000 دولارا من النمساويين وآخر بلغ 12,000 دولارا من السويد والدانمارك وقررت هاتان الدولتان ان تتفاوضا مع طرابلس ، وعلى هذا فقد دفعتا للباشا خلال سنة 1797 ـ 1798 مبلغ 100,000 دولار لكل منهما لاستعادة سفنهما المأسورة وفدية مواطنيهما الذين اخذوا اسرى لدى طرابلس . ووافقت كل منهما ان تدفع اعانة مالية سنويا مقدارها 5,000 دولار لطرابلس من اجل الحفاظ على السلام معها . وكانت سنة 1799 سنة مربحة ايضا بالنسبة للبحرية حيث جلبت حوالى 13,000 دولار من الدانمركيين بسبب السماح لسفن من هامبورج باستخدام جوازات غير قانونية و30,000 دولار من راجوسا و40,000 دولارٍ من سردينيا لفشلهما فى تجديد معاهداتهما مع طرابلس[22] .

ودفعت راجوسا فى سنة 1800 مبلغا آخر قدره 100,000 دولار لطرابلس وخلال سنتين فيما بعد قررت «الدول الشمالية» ان تسوى خلافاتها مع طرابلس وان تفتدى رجالها من العبودية ثم دفعت السويد فور ذلك مبلغ 158,000 دولار وزادت مساعدتها المالية السنوية عندئذ من 5,000 الى 8,000 دولار ودفعت الدانمارك وهولندا مبلغ 40,000 دولار على التوالى مع تعهد اضافى يدفع

21 F.O. 161/10, Lucas to Portland, 30 June 1795; and ibid., same to Consul Magra, 20 December 1795; F.O. 76/5, Lucas to Portland, 26 July 1796.

22 ـ فيما يتعلق بنشاطات قراصنة طرابلس ضد الدول الاوروبية المختلفة وعائدات المعاهدات التى تنتزع فى الفترة ما بين 1796 ـ 1799 ، انظر عدة رسائل من القناصل البريطانية والفرنسية ، على سبيل المثال :

F.O. 161/10, Lucas to various Home officials, 1796–7; and AFF.ET. B1, Guys to Delacroix de Constant and Talleyrand on different dates from 12 Horeal, 4c A.R. to 9 Vendemiare, 6r A.R., in C.C.T.B. Tome 28, 29 and 30.

5,000 دولار لكل منهما سنويا كاعانة مالية لطرابلس وقدمت فرنسا فى نفس السنة سنة 1802 سفينة اخرى للباشا مع مبلغ حوالى 25,000 دولار من اجل الا ينقطع خطهم التجارى مع مصر[23] واخيرا فان الدخل وصل فى سنة 1805 من نابولى وحدها نتيجة اجراءات انتقامية الى حوالى 9,000 دولار اخرى مع تبقى 23 عبدا نابوليا دفعت فديتهم فيما بعد بما يتراوح مابين 100 ـ 300 دولار للشخص الواحد[24] .

وهكذا ظلت البحرية خلال ذلك العقد اكثر المصادر دخلا بالنسبة لطرابلس اذ لا تمثل الارقام المقتبسة اعلاه ولا الارقام التى ستقدم فيما بعد[25] المقدار الاجمالى للدخل المتحصل عليه من البحرية فعلى سبيل المثال تم اسر سفن من هامبورج والنمسا ونابولى ومن ارخبيل بحر ايجة الخ ... ولا يمكن تقدير القيمة على نحو دقيق بالاضافة الى ان الارقام لم تشتمل على قيمة بعض الهدايامثل المجوهرات الذخيرة الحربية والبحرية الخ .. التى قدمت للباشا اثناء مفاوضات عقد الاتفاقيات . اما بالنسبة للهدايا الاخرى فقد وصلت قيمتها من اسبانيا وحدها خلال سنة 1795 ـ 1796 الى حوالى 100,000 دولار[26] .

ولاظهار الكسب الصافى لبحرية طرابلس على نحو دقيق خلال تلك الفترة فانه يتطلب وضع مصروفاتها مقابل دخلها ، وذلك امر مستحيل فى غياب الاحصائيات والحسابات غير ان المصروفات ربما كانت قليلة ذلك لان البحرية لم تتورط فى انفاق مالى كبير ، كما ان بعض السفن كانت تقدم كهدايا كتلك السفن التى قدمتها فرنسا فى سنة 1796 و 1802 والسفن التى قدمها السلطان العثمانى فى سنة 1797 فضلا عن ان عددا كبيرا من السفن كان سفنا تجارية اسرت من الدول الاوروبية وحولت الى اغراض القرصنة . ففى سنة 1799

---

23 *Naval Documents*. . ., vol. II, pp. 290 and 305; J. B. Cathcart, *Tripoli. . . Letter Book*, pp. 99 and 226; AFF. ET. B[1], Naudi to Talleyrand, 5 Thermidor, 10[t] A.R. and Beaussier to Talleyrand, 25 Fructidor and 30 Vendémiare, 10r A.R., in C.C.T.B. Tome 31.

24 F.O. 76/6, Langford to Castlereagh, 31 December 1805.

25 ـ انظر الصفحات الاخيرة من هذا الفصل .

26 F.O. 76/5, McDonough to Pelham, 19 February 1802.

على سبيل المثال كانت هناك 7 من مثل تلك السفن فى اسطول 11 سفينة[27] .

ومن ناحية اخرى كانت تكاليف بناء السفن وادارتها محدودة جدا حيث حصل الباشا على معظم المواد مثل الخشب واقمشة القنب والحبال والقار فى شكل هدايا قنصلية من دول مثل هولندا السويد الدانمارك اما فيما يتعلق بالعمل فى احواض السفن فان بعضا من الحرفيين المهرة واداواتهم كانت تقدم مجانيا من قبل اسبانيا . وكان كثير من الآخرين عبيدا اوروبيين ذوى مهارة فى صناعة بناء السفن استغلوا مجانا ولقد قدم الاسرى النابوليون هذا النمط من العمالة خلال تلك الفترة وكذلك فعل بعض الاسرى الامريكيين فيما بين سنة 1803 و 1805[28] . بالاضافة ايضا الى ان ضباط ورجال البحرية لم يكلفوا الباشا كثيرا . حيث كان يدفع للطواقم معاشا صغيرا قبل ابحارهم بثلاثة ايام[29] فى حين كان رأيسهم لا يتردد فى ان يخبىء جزء من الغنيمة لانه لا يسمح لشخص آخر الا الباشا بأخذ نصيب منها[30] ويقدم الباشا جزء من الاستعدادات مثل البسكويت وزيت الزيتون والماء ، فى حين يقوم الرايس وطاقمه بتوفير الباقى من خلال عمليات القرصنة وعلى هذا فعلى وجه العموم كانت المصروفات منخفضة جدا فلم تقتصر البحرية على دفع مصاريفها فحسب بل قدمت فائضا كبيرا من الدخل للباشا .

كانت البحرية ايضا الى جانب مساهمتها الاقتصادية فى تقوية طرابلس خلال العقد 1795 ـ 1805 سببا فى شهرتها الدولية

---

27 ـ لقائمة كاملة للاسطول مصدر كل سفينة وعدد مدافعها ، انظر:

Naval Documents ...' voll,p. 340

28 ـ تم بناء قارب من قبل بيتر وست Peter West احد الاسرى الامريكيين .

وتم تدشينه يوم 7 ابريل عام 1804 ـ انظر : Naval Documents vol . 2'p. 127

29 E. Blanquiere, *Letters from the Mediterranean*, Vol. 2, p. 127.

30 ـ المصدر السابق:

ويعتبر نجاح طرابلس فى ضمان منح مالية سنوية منتظمة من الدول الاوروبية عن طريق استغلالها لمعابر البحر المتوسط التجارية علامة على مكانتها فى القوة البحرية والتى لم تقتصر على أوروبا وانما امتدت الى البحرية الامريكية. لقد كان اول اتصال امريكى - طرابلسى فى سنة 1796 قرابة الوقت الذى كان يسعى فيه الباشا لجعل طرابلس قوة بحرية مهابة وبالنظر الى انه لم يكن لامريكا أية معاهدة صداقة مع طرابلس فان حركة سفنها لم تكن محمية ضد هجومات القراصنة. وعلى هذا ففى اغسطس عام 1796 قام امير البحر الرايس مراد بأسر سفينتين امريكيتين صوفيا وبتسى[31] وتم اطلاق سراح الاولى لانها كانت تحمل اموال الاتفاقية التى كانت امريكا ستدفعها لداى الجزائر فى حين ان الثانية تم تحويلها الى سفينة قرصنة واستعبد بحارتها.

وقررت امريكا البدء فى المفاوضات من اجل اطلاق سراح رجالها ولتوقيع معاهدة صداقة مع طرابلس لصالح تجارتها فى البحر المتوسط والتجأ الامريكيون الى وساطة داى الجزائر لتحقيق ذلك الهدف فكاتب الاخير باشا طرابلس حول الموضوع[32] ورفض الباشا قبول عرض امريكا اثناء المفاوضات التى بدأت فى بداية نوفمبر عام 1796 والذى بلغ 40,000 دولاراً على اساس انه كان اقل من المبلغ الذى كانت تدفعه لكل من الجزائر وتونس والذى بلغ 642,500 دولار و107,000 دولار على التوالى. وهنا وعد المفاوض الامريكى الربان ريتشارد اوبراين بسفينة بالاضافة الى اموال الاتفاقية «والهدايا القنصلية».

وفى النهاية تم توقيع الاتفاقية فى 4 نوفمبر عام 1796 بمبلغ 40,000 دولار مع الهدايا القنصلية بمبلغ 12,000 دولار نقدا يضاف لها بعض الذخيرة البحرية - اقمشة قنب، قار، والواح اخشاب الخ ...[33].

---

31 F.O. 76/5, Lucas to Portland, 4 February 1797; R.W. (Irwin, op. cit., pp. 74–5; G. W. Allen, *Our Navy and the Barbary Corsairs* Hamden, 1965), p. 55; *Naval Documents. . .*, Vol. 1, p. 175.

32 F. O. 161/10, Lucas to William Hamilton, 13 January 1797; R. W. Irwin, op. cit., pp. 84–6.

33 R. W. Irwin, op. cit., pp. 72 and 84–7 for details of the negotiations. Also
فيما يتعلق بتفاصيل المفاوضات انظر ايضا

ان اتفاقية سنة 1796 لسوء الحظ كانت تحمل معها بذور الخلاف المستقبلى وكانت السبب الاساسى للنزاع المسلح للفترة 1801 ـ 1805 مابين طرابلس وامريكا حيث طلب الامريكيون العودة أو الرجوع فى تسوية الخلافات الناتجة عن تفسير المادة الاولى والثانية عشر من الاتفاقية الى «الصديق المشترك للجانبين داى الجزائر»[34] وهذا يعنى ببساطة بالنسبة للباشا تحكيم «صديق مشترك» الا ان الامريكيين كانوا يعتقدون خطأ اعتماد طرابلس على الجزائر وان فى الرجوع الى داى الجزائر ضمانا للاتفاقية وتجلى هذا الاتجاه ايضا فى تصريح اسند لريتشارد اوبراين الذى فاوض الاتفاقية مع طرابلس وذكر سيدى احمد رايس بحرية طرابلس والذى ارسل كمبعوث خاص الى الجزائر فى سنة 1797 ليوسف باشا بان اوبراين اكد له بانه شخصيا القنصل العام الامريكى لدول شمال افريقيا والذى لابد وان يقيم فى الجزائر وان جميع المعاملات التى يقوم بها القنصل الامريكى بطرابلس لابد وان تقدم له(35) اما

ليوسف باشا ، واعضاء ديوانه فإنهم فهموا من ذلك اى من خلال بناء التمثيل القنصلى الامريكى فى الشمال الافريقى ان امريكا تنظر الى طرابلس على انها تابعة للجزائر ، وهذا الاتجاه يعنى بالنسبة للباشا تناقضاً كاملا لما ينادى به من تأكيد لاستقلال طرابلس السياسى ، ليس عن الجزائر فحسب وانما ايضا عن السلطان العثمانى .

استمر الباشا فى جعل موقفه واضحا جدا ، فقد اشار ، فى عام

Naval Documents...,Vol.1,pp.177-9

اما بالنسبة لنسخة من الاتفاقية ، او موجز لها انظر : G.W.Allen'op.eit Appendixii «4» on p.315 . وكذلك نسخة من الاتفاقية فى :

H.Miller(ed),Treaties and other International Acts of the United States of America (Washington,D.C.:Govt.Printing Office,1931),Vol.2,pp.364-7,is reproduced below as Appendix II.

34 *Naval Documents...*, Vol. 1, pp. 177-9.
35 *Naval Documents...*, Vol. 1, p. 298.

1798 ، للسيد انجرام القائم بالاعمال الامريكى فى طرابلس الى وجوب معاملة امريكا لطرابلس كدولة مستقلة وذلك من اجل اقامة علاقات طيبة . بالاضافة الى ان فى مقابلته الاولى ، فى ابريل عام 1799 مع جيمس ليندر كاتكارت القنصل الامريكى المعين حديثا الى طرابلس ، اكد الباشا النقطة ذاتها ، وجزم بأنه :

.... هو امير مستقل ، ولا يخوف بالجزائر
او تونس ، ولا حتى بالسلطان العثمانى
فهو يحكم فى مملكته تماما كما يفعل داى
الجزائر فى بلاده[36] .

ولقد اصر الباشا على هذا الموقف ، حتى سنة 1801م عندما نشبت الحرب فعلا بين البلدين فى حين تشبث الامريكيون برأيهم ، وفى هذا يكمن السبب الاساسى للحرب الطرابلسية الامريكية لسنة (1801 - 1805)

وبالنظر الى طلب طرابلس فى اعتراف كامل بأستقلالها السياسى ، يبدو ان الرواية الامريكية لمسببات الحرب ساذجة ، لقد رجحت سبب الحرب الى القرصنة التى تمارسها طرابلس وتصميم امريكا على وضع حد لها[37] . بيد انه طبقا لطرابلس ان مادخل امريكا الحرب انما هو فشلها فى الوصول الى تقييم صحيح للعلاقة السياسية بين الجزائر وطرابلس بالاضافة الى ان امريكا لاتستطيع اقامة الدليل على اتهام طرابلس بالقرصنة لانه فيما بين سنة 1796 عندما وقعت الاتفاقية وسنة 1801 عندما بدأت الخلافات فعليا ، لم تهاجم طرابلس السفن الامريكية الا مرة واحدة ، كما سيرى فيما بعد[38] وانه فى تلك الواقعة لم يطلق سراح السفينة وحمولتها بسرعة بأمر الباشا فحسب ، وانما تمت معاقبة الضابط المسئول عن أسرها ايضا .

36 *Naval Documents...*, Vol. 1, p. 308.

37 - انظر:

Kola Folayan: 'The "Tripolitan War": A Reconsideration of the Causes' in *Africa: Rivista Trimestrale di Studi e Documentazione dell' Istituto Italo-Africano*, Anno XXVII. N.I., Marzo, 1972, pp. 615-26.

38 - انظر الصفحة التالية:

وتعزو بعض المصادر الامريكية[39] اسباب الحرب ، بصرف النظر عن القرصنة ، الى مايردد غالبا دون ان يقام عليه الدليل وهو الاتهام بأن دول شمال افريقيا غير جديرة بالثقة فى قدرتها على حفظ اتفاقياتها الدولية. ولكن فى واقع الامر كانت امريكا وليست طرابلس ، وعلى الخصوص فى هذه الحالة ، هى التى فشلت فى الايفاء بتعهدها الدولى وقام الباشا بأتهامها رسميا ضد هذا الخرق . ولم تسمع طرابلس شيئا اضافيا من امريكا ، بحلول سنة 1798 اى حوالى سنتين بعد توقيع الاتفاقية . وصعب على الباشا ، فهم السبب فى امتناع امريكا دفع مبلغ 6,000 دولار ، وهى الاموال المترتبة عليها طبقا للاتفاقية وانه استغرب ايضا ، غياب اى تفسير حول عدم ارسالها قنصلا لهذا البلاط ، كما اشترط ذلك فى المادة العاشرة من الاتفاقية . كذلك ماذا حدث للهدايا القنصلية ؟ ومتى ستفى امريكا بوعدها فى السفينة التى وافقت عليها كهدية اضافية ، لتعويض الباشا عن استلامه مبلغا اقل ، من المبالغ التى تلقتها الجزائر وتونس لقاء توقيع الاتفاقية ؟

كتب الباشا الى ريتشاد اوبراين ، القنصل العام لامريكا فى الجزائر ، للاجابة عن هذه الاسئلة . فى سبتمبر عام 1798 وللمطالبة بدفع باقى حساب الاتفاقية ، مبدياً تذمره ضد تجاهل امريكا الايفاء بتعهداتها طبقا للاتفاقية :

> اننى فى حيرة من عدم معرفة السبب
> الذى جعل الامة الامريكية تتجاهل
> طرابلس لوقت طويل ... منذ توقيعنا
> الاتفاقية[40] .

وكان المبرر الذى قدمه اوبراين لهذا التأخير وهو قسوة فصل

39 ـ وخاصة:

G. W. Allen, op. cit., pp. 88–9, and J. B. Cathcart, *Tripoli... Letter Book*, Cathcart to the Sec. of State, May 16, 1801. A copy of this will also be found in *American State Papers Class I: Foreign Relations* (Washington, 1832) Vol. 2, pp. 355–7.

40 *Naval Documents...*, Vol. I, pp. 255–6.

الشتاء فى امريكا ، لم يقنع الباشا حيث كان معروفا تماما لدى طرابلس ان الجزائر قد استلمت سفينتها ، بالاضافة الى امدادات من السلاح والذخيرة .

لقد سبب فشل امريكا ، فى الايفاء بالتزاماتها ، رفض الباشا ، وفى البداية استقبال جيمس ليندر كاثكارت ، الذى ظهر فى ميناء طرابلس ، يوم 5 ابريل عام 1799 ، وقدم نفسه كقنصل لامريكا لدى طرابلس . حيث ان كاثكارت نفسه قد اعترف ، بعد الاستفسار منه من قبل ماك دوناو ، القائم باعمال القنصل الانجليزى ، وسيدى احمد رايس البحرية . بأنه لم يحضر معه لا الذخيرة البحرية ولا البرية التى كانت تمثل جزءً من الهدايا القنصلية ، « ولا حتى السفينة التى وعد اوبراين تقديمها للباشا » وكانت ردة فعل الباشا منطقية :

بما ان الامريكيين لم يفوا بالتزاماتهم
فلا يعتبر نفسه ملزما بالايفاء بالتزاماته
ايضا[41] .

وان كاثكارت يستطيع الرحيل بسلام ، ولكن بعد اربعين يوما يعتبر ان امريكا قد خسرت صداقة طرابلس .

وكان كاثكارت يدرك بالطبع عدالة قضية الباشا ولذا توسل الاذن وحصل عليه من اجل النزول والمفاوضة . وبعد اسبوع من المساومة . وافق الباشا على قبول مبلغ 18,000 دولاراً لتغطى تكاليف الذخيرة العسكرية والبحرية ، والسفينة التى وعد بها كما قبلت ايضا الهدايا القنصلية الاخرى ، ورفع العلم الامريكى[42] .

بيد ان قبول الباشا لاتفاق كاثكارت كان مشروطا . وذكر الشرط فى رسالته بتاريخ 15 ابريل عام 1799 ، التى ارسلها الى الرئيس جون ادمز رئيس الولايات المتحدة الامريكية حيث اشار فيها بأيجاز الى خيبة امل طرابلس فى فشل امريكا فى الايفاء باتفاقيتها ، لاكثر من سنتين ورفضها المبدئى لقبول كاثكارت ومفاوضات السلام النهائية

41 *Naval Documents*. . ., Vol. 1, p. 307.
42 For details of the negotiations, ibid., pp. 305–12.

وتعزو بعض المصادر الامريكية[39] اسباب الحرب ، بصرف النظر عن القرصنة ، الى مايردد غالبا دون ان يقام عليه الدليل وهو الاتهام بأن دول شمال افريقيا غير جديرة بالثقة فى قدرتها على حفظ اتفاقياتها الدولية. ولكن فى واقع الامر كانت امريكا وليست طرابلس ، وعلى الخصوص فى هذه الحالة ، هى التى فشلت فى الايفاء بتعهدها الدولى وقام الباشا بأتهامها رسميا ضد هذا الخرق . ولم تسمع طرابلس شيئا اضافيا من امريكا ، بحلول سنة 1798 اى حوالى سنتين بعد توقيع الاتفاقية . وصعب على الباشا ، فهم السبب فى امتناع امريكا دفع مبلغ 6,000 دولار ، وهى الاموال المترتبة عليها طبقا للاتفاقية وانه استغرب ايضا ، غياب اى تفسير حول عدم ارسالها قنصلا لهذا البلاط ، كما اشترط ذلك فى المادة العاشرة من الاتفاقية . كذلك ماذا حدث للهدايا القنصلية ؟ ومتى ستفى امريكا بوعدها فى السفينة التى وافقت عليها كهدية اضافية ، لتعويض الباشا عن استلامه مبلغا اقل ، من المبالغ التى تلقتها الجزائر وتونس لقاء توقيع الاتفاقية ؟

كتب الباشا الى ريتشاد اوبراين ، القنصل العام لامريكا فى الجزائر ، للاجابة عن هذه الاسئلة . فى سبتمبر عام 1798 وللمطالبة بدفع باقى حساب الاتفاقية ، مبدياً تذمره ضد تجاهل امريكا الايفاء بتعهداتها طبقا للاتفاقية :

> اننى فى حيرة من عدم معرفة السبب
> الذى جعل الامة الامريكية تتجاهل
> طرابلس لوقت طويل ... منذ توقيعنا
> الاتفاقية[40] .

وكان المبرر الذى قدمه اوبراين لهذا التأخير وهو قسوة فصل

---

39 ـ وخاصة:

G. W. Allen, op. cit., pp. 88-9, and J. B. Cathcart, *Tripoli. . . Letter Book*, Cathcart to the Sec. of State, May 16, 1801. A copy of this will also be found in *American State Papers Class I: Foreign Relations* (Washington, 1832) Vol. 2, pp. 355-7.

40 *Naval Documents. . .*, Vol. 1, pp. 255-6.

الشتاء فى امريكا ، لم يقنع الباشا حيث كان معروفا تماما لدى طرابلس ان الجزائر قد استلمت سفينتها ، بالاضافة الى امدادات من السلاح والذخيرة .

لقد سبب فشل امريكا ، فى الايفاء بالتزاماتها ، رفض الباشا ، وفى البداية استقبال جيمس ليندر كاثكارت ، الذى ظهر فى ميناء طرابلس ، يوم 5 ابريل عام 1799 ، وقدم نفسه كقنصل لامريكا لدى طرابلس . حيث ان كاثكارت نفسه قد اعترف ، بعد الاستفسار منه من قبل ماك دوناو ، القائم باعمال القنصل الانجليزى ، وسيدى احمد رايس البحرية . بأنه لم يحضر معه لا الذخيرة البحرية ولا البرية التى كانت تمثل جزءً من الهدايا القنصلية ، « ولا حتى السفينة التى وعد اوبراين تقديمها للباشا » وكانت ردة فعل الباشا منطقية :

بما ان الامريكيين لم يفوا بالتزاماتهم
فلا يعتبر نفسه ملزما بالايفاء بالتزاماته
ايضا[41] .

وان كاثكارت يستطيع الرحيل بسلام ، ولكن بعد اربعين يوما يعتبر ان امريكا قد خسرت صداقة طرابلس .

وكان كاثكارت يدرك بالطبع عدالة قضية الباشا ولذا توسل الاذن وحصل عليه من اجل النزول والمفاوضة . وبعد اسبوع من المساومة . وافق الباشا على قبول مبلغ 18,000 دولاراً لتغطى تكاليف الذخيرة العسكرية والبحرية ، والسفينة التى وعد بها كما قبلت ايضا الهدايا القنصلية الاخرى ، ورفع العلم الامريكى[42] .

بيد ان قبول الباشا لاتفاق كاثكارت كان مشروطا . وذكر الشرط فى رسالته بتاريخ 15 ابريل عام 1799 ، التى ارسلها الى الرئيس جون ادمز رئيس الولايات المتحدة الامريكية حيث اشار فيها بأيجاز الى خيبة امل طرابلس فى فشل امريكا فى الايفاء باتفاقيتها ، لاكثر من سنتين ورفضها المبدئى لقبول كاثكارت ومفاوضات السلام النهائية

41 *Naval Documents*. . ., Vol. 1, p. 307.
42 For details of the negotiations, ibid., pp. 305–12.

وعلى الرغم من ذلك ، فإن هذه التسوية ، لايمكن ان تستمر الا اذا :...

قبلتم بمعاملتنا بمثل ماتتعاملون به ايالتي
تونس والجزائر ، ودون اى تمييز بيننا[43] .

لقد كان فشل امريكا فى مراعاة هذا الشرط ، الذى ادى فى الاساس الى الحوادث التى قادت طرابلس الى اعلان الحرب ضد ذلك البلد فى سنة 1801 وحدثت اولى تلك الحوادث بعد حوالى 4 شهور ، من وصول كاثكارت الذى اضاف فى اغسطس عام 1799 فقرة مفيدة الى جوازات العبور (44) التى اصدرها امير البحر الطرابلسى ، الرايس مراد ونائبه الرايس عمر . وحيث ان هذه الفقرة تقيد الحق فى الاجراء الذى يمارس عادة من قبل البحرية الطرابلسية ، فى التحقق من اى سفن تبحر فى البحر المتوسط ، تحت اعلام زائفة فقد احتج الضابطان البحريان على ذلك . ثم اصر الباشا على شطب الفقرة ، حيث انها لم يتفق بشأنها مع طرابلس . وشعر الباشا وديوانه ، بأن طرابلس قد بولغ فى اهانتها اذ هل يستطيع قنصل امريكى ان يتجرأ على القيام بمثل هذا العمل ـ والذى يعتبر تجاوزا لسلطته ـ فى تونس او فى الجزائر؟

وصلت تقارير الى طرابلس ، خلال مايو سنة 1800 ، تفيد بوصول هدايا امريكا الى الجزائر وتونس ، فقام الباشا بسؤال كاثكارت ، عما اذا تلقى رئيسه الرسالة التى كتبها له ، فى السنة السابقة . واكد كاثكارت استلامها واستعداد الرئيس لمعاملة طرابلس على قدم المساواة مع دول شمال افريقيا الاخرى (45) وليتأكد بنفسه كتب الباشا مرة اخرى يوم 25 مايو سنة 1800 ليذكر الرئيس بأنه اذا كانت امريكا مستعدة

---

43 *Naval Documents. . .*, p. 323.

44 ـ فيما يتعلق بـ«جوازات» عبور البحر المتوسط المستخدمة فى ذلك الوقت انظر:

«كانت هذه الادوات منقوشة على ورق ومزينة بصورة سفينة او مزخرفة بالهة البحر . ومن خلال نقش حلقة من سلسلة نتوءات مدورة تشكل حافة المخرمات وترسل الثلمات العليا الى القراصنة الذين تعطى لهم الاوامر للسماح لكل السفن التى تبرز النتواءات التى تنطبق عليها ، ان تمر بدون مضايقة

45 – American State papers ...pp . 550 – 352

G. A. Fisher, *op. cit.*, p. 326, quoting T. Keppel, *Life of Augustus Viscount Keppel* (2 Vol.., London, 1842), Vol. 1, pp. 158–9

45 *American State Papers. . .*, pp. 350–2.

... للنظر الى ايالة طرابلس بنفس الطريقة التى ينظر بها الى ايالات شمال افريقيا الاخرى ... ولتعامل على قدم المساواة، فى الاهمية والصداقة فأننا نأمل ان تتبع تعابيركم بالافعال، وليس بكلمات فارغة[46].

ولم تستلم اية اجابة على رسالة الباشا، عندما وقعت حادثة اخرى. ففى شهر اكتوبر عام 1800 قام احد ضباط بحرية الباشا، بأسر سفينة امريكية، ومن الواضح ان هذه العملية تهدف الى اظهار مشاعر ضباط البحرية فى الديوان، الى ان طرابلس قد اصبحت قوة بحرية نامية، ويجب ان تعامل على هذا الاساس. وعلى الرغم من ذلك فقد تدخل الباشا وامر باطلاق سراح السفينة وحمولتها، وفصل الضابط المختص. بيد انه استغل الفرصة ليوبخ امريكا رسميا مرة اخرى، من خلال قنصلها المقيم وينبهها الى حكمة احترام طرابلس كقوة بحرية، وانه سينتظر 6 شهور اخرى، ليرى الموقف الامريكى[47].

واستمر كارثكارت، فى نفس الوقت فى مناشدة تدخل باى الجزائر، فى العلاقات الطرابلسية ـ الامريكية. وهى تصرفات كان يمقتها الباشا. وحيث ان امريكا لم تعط طرابلس مستحقاتها كقوة بحرية، وحيث يبدو ان الرئيس الامريكى قد عامل طرابلس بازدراء عن طريق عدم الاجابة على رسالة الباشا لمدة سنة كاملة، فقد اجبرت طرابلس على قطع علاقتها الديبلوماسية مع امريكا، واعلان الحرب ضدها يوم 14 مايو عام 1801.

اما بالنسبة لسير الحرب الامريكية ـ الطرابلسية العام، لسنة 1801 ـ 1805 ـ فقد تمت تغطيته ببعض التفاصيل فى الاعمال

46 ـ المصدر السابق، ص352.

47 J. B. Cathcart, op. cit., p. 184.

الامريكية وغيرها من الاعمال المنشورة الاخرى[48] ولن يعاد عرضها هنا . ويهتم هذا الكتاب ، بدور بحرية طرابلس فى دفاعها الناجح على الدولة .

كانت حرب طرابلس ضد امريكا ، فيما بين سنة 1801 - 1805 ، فى الاساس ، عملا بحريا على الرغم من انه فى النهاية دعم ببعض العمليات الارضية .

كان الحصار الامريكى لطرابلس ، فيما بين سنة 1801 - 1802 غير فعال ، نتيجة للجهود التى بذلتها بحرية طرابلس تحت التوجيه العام ، لامير البحر الرايس مراد . بالاضافة الى انه فى يونية عام 1802 ، نجحت ثلاث سفن طرابلسية فى اسر السفينة الامريكية فرانكلين التى كانت متجهة الى مرسيليا من جزر الهند الغربية ونقل قائدها اندرو موريس وطاقمه المكون من ثمانية ، فى النهاية الى طرابلس حيث طافوا بهم بأبتهاج شديد فى شوارع المدينة . وتحصلت البحرية من هذا النجاح على 5,000 دولار كان على امريكا ان تدفعها فدية لمورس واربعة اسرى امريكيين آخرين[49] .

وتحصلت بحرية طرابلس فى سنة 1803 على نجاحات اضافية اذ استمرت فى اختراق الحصار الامريكى ولذا حافظت على عدم انقطاع الامدادات الغذائية والذخيرة مابين طرابلس وباقى دول شمال افريقيا ، وكذلك الشرق ، بالاضافة الى انها دمرت هجومين للعدو - خلال شهر مايو . وفى اكتوبر انزل بأمريكا اعظم اذلال[50] عندما اسرت اكبر سفنها فيلادلفيا بطاقم بلغ 307 اشخاص ويبدو ان

48 - انظر: G. W. Allen, op. cit., Chaps. 7-25; R. W. Irwin, op. cit., pp. 106; R. C. Anderson, *Naval Wars in the Levant* (Liverpool, 1952), Chap. 14. See also Kola Folayan, 'Tripoli and the War with the U.S.A., 1801-5' in *Journal o' African History* 13, 2 (1972), pp. 261-70.

49 - وحيث كان الاسرى الاخرون بريطانيين ، فقد اطلق الباشا سراحهم لماك دوناو Mc Donough وهو القنصل البريطانى ، انظر:

Naval Documents. . ., Vol. 2, p. 281; L. B. Wright and J. H. Macleod, op. cit., pp. 112-4, and 116.

50 L. B. Wright and J. H. Macleod, op. cit., p. 136.

الاستراتيجية الامريكية خلال بقية السنة كانت موجهة اساسا لاستعادة فيلادلفيا . وعندما ثبت صعوبة اتمام ذلك تدبروا امر اشعال النار بها ، فى يوم 16 اكتوبر عام 1804 .

ومع اطراد نجاح البحرية الطرابلسية ضد البحرية الامريكية اتضح صعوبة امكانية قهر طرابلس ولذا قرر الامريكيون القيام بقصف عام للمدينة ، خلال صيف سنة 1804 وعلى الرغم من ذلك ، فقد فشلت هذه الخطة بسبب التحصينات البحرية الهائلة لطرابلس ، لانه عندما قام العميد بحرى بريبل بأربع هجومات شاملة فى الفترة مابين يولية وسبتمبر عام 1804 قد وجد وبخيبة امل ان طرابلس قد دفعت بصمودها جميع الهجومات . لقد اجبر بريبل نتيجة لخسائره الكبيرة من الرجال والسفن والذخيرة ، خلال المعركة الاخيرة عن التخلى على الامل فى حمل طرابلس على الاستسلام عن طريق القصف[51]

دفع فشل البحرية الامريكية فى الوصول الى اى اثر اساسى على الوضع فى طرابلس بعض اعضاء الحكومة الامريكية وبحريتها الى التفكير بجدية تامة ، فى الخطة التى وضعت بصورة مفككة منذ سنة 1801 من قبل جيمس كاتكارت ، القنصل لدى طرابلس والتى احيلت لوليام إيتون القنصل لدى تونس (1798 ـ 1803) لتحسينها والقيام بتنفيذها .

كانت الخطة تتلخص فى تنظيم انقلاب فى طرابلس ، والذى ستكون نتيجته الاطاحة بيوسف باشا وتنصيب باشا موال لامريكا فى شخص أخى يوسف وهو أحمد الذى خلع من قبل يوسف باشا وبموافقة شعبية ، فى سنة 1795[52] ولم يرق لأحمد توليته ادارة شئون الاقليم الشرقى من البلاد وعلى هذا غير اتجاه السفينة التى تنقله لتولى منصبه الحكومى الى مالطا ثم وجد طريقه من هناك الى تونس ، حيث استمر بقاؤه فيها كلاجىء ملكى وعاش فى كنف كرم

51 ـ من اجل وصف مفصل للهجمات الامريكية ودفاع طرابلس انظر تقرير عقيد بحرى بريبل بتاريخ 18 سبتمبر عام 1804 ، الموجه الى وزير البحرية فى : 31 - Naval Documents ...'vol . 4' pp.293

52 ـ انظر الفصل الاول.

باى تونس وهبات من بعض مؤيديه ومازال بتونس خلال سنة 1801 ، عندما نشبت الحرب بين امريكا وطرابلس .

أما متى بالضبط فكر كاثكارت فى فكرة استخدام أحمد فى القضية الامريكية فهو سؤال لا يمكن تحديد تاريخه على نحو دقيق . بيد أنه فى سنة 1801 قدمها لوزير الخارجية[53] ويبدو انه من المحتمل جدا ، انه كتب لايتون بتونس فى نفس الوقت : وفى نهاية السنة تقابل ايتون مع كاثكارت فى ليفورن وتمت مناقشة الخطة بينهما بالتفصيل وبمقتضاها سينقل أحمد الى طرابلس مع قوة أمريكية كافية وحين ظهوره سيثور السكان ضد يوسف وسيخلع الاخير وينصب أحمد فى منصب الباشاوية وسيضمن الضغط الامريكى ، فرمانا من السلطان العثمانى ليصادق على بقائه فى السلطة[54] .

وعلى الرغم من ذلك ، فعند رجوع ايتون الى تونس ، فى مارس عام 1802 كانت المؤامرة على حافة الفشل اذ نقل عملاء الباشا بتونس[55] اخبار ذلك الاجتماع السرى ليوسف فتحرك بسرعة لاحباط المتآمرين الامريكيين ، وعرض مرة اخرى ولاية درنة على احمد ووعده وعائلته بالامان ، وقدم له مرافقا الى درنة ، وتم ضمان جميع الترتيبات من قبل باى تونس وكان أحمد يعد نفسه للرحيل ، عندما وصل ايتون من ليفورن ، واستخدم ايتون بسرعة كل قوة لغته المقنعة ووسائله المالية فى اثنائه عن رأيه فى الذهاب الى درنة واعترى أحمد التذبذب مرة أخرى وكان الباى قد هدده بسحب حمايته واستضافته الا اذا قبل وظيفته بدرنة وكان على ايتون ان يتدخل مرة ثانية مهددا الامير المتردد بالاعتقال والتحويل والترحيل الى امريكا ، الا اذا قبل بالذهاب الى ليفورن او سردينيا وانتظر الاموال والسلاح والذخيرة الامريكية ، ووافق فى النهاية على ان ينتظر أحمد فى مالطا وهناك ايضا ، حاول عملاء الباشا اقناع أحمد بقبول منصبه فى درنة خلال اغسطس سنة 1802 ولكن الامريكيين واصلوا تآمرهم معه ووعدوا بامدادت من الاسلحة والذخيرة لتنظيم انقلاب فى درنة كخطوة

---

[53] *Naval Documents...*, Vol. 1, p. 494.

[54] J. B. Cathcart, *Tripoli...Letter Books*, Cathcart to Eaton, 10 April, 1802.

[55] AFF. ET. BI, Beaussier to Talleyrand, 19 Germinal, and 20 Vendemiare, 11e A.R., in C.C.T.B. Tome 32.

مبدئية وللاستيلاء على طرابلس نفسها . وعلى الرغم من ذلك فان نشاطات أحمد السياسية ، فى درنة فى الفترة من سنة 1802 الى اوائل سنة 1804 فشلت فى ان تؤيد الافتراض الامريكى ، بانه يسيطر على دعم كبير فى ذلك الاقليم ، وان وصوله سيحرض على ردة فعل عامة ضد طرابلس فى كامل اقليم برقة وهذا هو السبب الذى كان وراء الفشل الذريع للثورة التى حاول تنظيمها ، وأجبر فى النهاية عن التخلى على درنة ، فى اوائل سنة 1804 (56) وعلى ان يجرب نصيبه السياسى فى مكان آخر .

أختار أحمد مصر فانضم الى قوات المماليك ، الذين كانوا اثناء ذلك الوقت منهمكين فى الاضطراب السياسى العام ، الذى عم البلاد بعد انسحاب القوات الانجليزية فى عام 1803 وفشل الاتراك فى اعادة توطيد حكمهم (57) .

وحاول الامريكيون السعي وراء أحمد فى مصر حيث وقع ايتون فى 23 فبراير عام 1805 نيابة عن أمريكا ، اتفاقية مع أحمد يقدم أحمد بموجبها فى مقابل المساعدة على اعادة العرش القرمانلى ، ضمان تأسيس وسمو النفوذ الامريكى بطرابلس (58) وشكل ايتون بعد ذلك قوة متنوعة متكونة من مرتزقة من حوالى 12 دولة أوروبية وآسيوية وحشد من العرب . وكان يفترض فى هذه القوة أن تتضخم فى الطريق ، من كل اولئك الذين لم يكن أمل الغنيمة ليجذبهم حوله من قبل . ووصل عدد هذه القوة جميعها ، وقت وصولها الى درنة ، الى حوالى 1,200 رجل و 200 دابة (59).

كانت الخطة الامريكية تتلخص فى أن تشارك هذه القوة الى جانب العمليات البحرية فى احتلال درنة ثم تواصل الزحف على طول ساحل برقة وطرابلس الغرب لتحتل كل مدينة هامة فى طريقها وفى النهاية تهاجم طرابلس ، فى تزامن مع الاسطول البحرى الامريكى لقد

56 J. B. Cathcart: *Tripoli. . .Letter Book*, Eaton to Secretary of State, 18 March 1802, and same to Capt. McNeil, 24 March, and to Capt. Joseph Bonds, 24 March 1802; G. W. Allen, op. cit., pp. 116, 123–4 and 227.

57 P. M. Holt, *Egypt and the Fertile Crescent*, 1516–1922: *A Political History* (London. 1966), pp. 176.

58 ـ من اجل نسخة من الاتفاقية انظر Naval Documents ...' vol'5 pp. 367 -8

59 ـ المصدر السابق ، ص 551 ،

G.W.Allen,op.cit.,p.232

استغرق زحف مفرزة أمريكا ـ أحمد ، من الاسكندرية الى درنة وهى مسافة تبلغ 520 ميلا ، حوالى 6 اسابيع من الشجار لتقاسى متاعب التذبذب والقنوط والتعب والعصيان وخيبة الامل والجوع وجميع المخاطر الاخرى للسفر فى الصحراء كما وردت فى يوميات ايتون [60] التى يستشف المرء منها بأن تلك الرحلة كانت أقرب الى الملحمة .

ويعد هجوم شرس يوم 27 ابريل تم احتلال درنة ورفع العلم الامريكى فى مدفعية المرفأ غير أنه وقبل أن يقوى الغزاة مركزهم وجدوا أنفسهم محاصرين بتعزيزات عسكرية أرسلت من طرابلس . لانه عندما كان ايتون مشغولا فى تجنيد القوات فى مصر كان الباشا وديوانه منهمكين للتخطيط لحماية درنة وطرابلس نفسها ، ففى طرابلس كان تركيز الرايس مراد ، فى الاساس ، على الدفاعات البحرية والتى كانت بحلول شهر ابريل كافية لمقابلة أى هجوم أمريكى بحرى أما بالنسبة لدرنة ، فقد نظم حسن باى قائد المرتزقة الاتراك بطرابلس الجيوش المتجمعة من مختلف اجزاء البلاد الى قوة محاربة هائلة ودعمت هذه القوة بجنود الباشا « النظاميين » وبلغت القوتان 3,045 شخصا [61] وحاصر حسن باى مع الضباط العكسريين الاخرين بهذه القوات قوات أمريكا وأحمد التى سرعان ما وجدت نفسها فى حالة دفاع . وعندما وصلت الدفعة التالية من مقر المحاصرة الامريكية المؤقت فى سيراكوزا لم يكن ما استقبلته القوات البحريه اغاثة ، وأنما أمر باخلاء درنة . وعلى هذا فقد تم اخلاء درنة ، ليلة 12 يونية [62].

ان ما قاد الى انهاء الحرب بين طرابلس وأمريكا يوم 3 يونية عام 1805 يتمثل فى أن السلطات الامريكية قد اتضحت الرؤية أمامها بعدم فعالية عملياتها البحرية فبدأت تبحث منذ حوالى ابريل عام 1802 عن فرصة للتفاوض . بالاضافة الى أن طاقم السفينة

---

60 ـ انظر على سبيل المثال ، مقتطفات من اليوميات فى : .- Naval Documents ...' vol .v' pp . 362
3,384 – 65,410 – 16,481 – 3 et passim 16 – Naval Documents ... vol . Iv' p. 107

Naval Documents..., Vol. V, pp. 362-3, 384–95, 410–16, 481–3, *et passim.*

انظر ايضا الصفحات التالية:

62 ـ المصدر السابق ، صفحات 180 ـ 181.

فيلادلفيا مازال فى الاسر بطرابلس ، مما زاد الحاجة الى مفاوضات سلام مع طرابلس ومن ثم بعث العقيد توبياس لير وكان فى ذلك الوقت القنصل الامريكى العام بالجزائر ، فى شهر يونية عام 1804 فى مهمة لهذا الغرض .

انتقل العقيد لير ، خلال الثلاثة أشهر التالية الى مالطا ، ومن هناك ، حاول أن يبدأ مفاوضاته الاولية مع الباشا من خلال السيد جيراد جوزيف دى سوزا القنصل الاسبانى بطرابلس . بيد أن المحاولات التى تمت ما بين ديسمبر 1804 ومارس 1805 قد فشلت لان شروط الباشا حسب ادعاء أمريكا كانت عالية جدا 200,000 دولار من أجل السلام وفدية للاسرى الامريكيين ، بالاضافة الى اطلاق سراح أسرى الحرب الطرابلسيين بدون شرط [63] ، وعلى الرغم من ذلك وصل العقيد لير الى طرابلس ، فى مايو عام 1805 وبدأت المفاوضات . وكنتيجة للمحادثات بينه وبين محمد دغيس وزير طرابلس للشئون الخارجية تم التوصل الى اتفاق فى النهاية ، وتم تبادل الاسرى ودفعت أمريكا مبلغا اضافيا قدره 60,000 دولار كفدية لموازنة بقية اسراها . ووافقت أمريكا على سحب قواتها من درنة ، فى حين وافق الباشا على اطلاق سراح أفراد عائلة أحمد ، الذين احتجزوا كرهائن لدى الباشا ، وأخيرا ، وفى يوم 3 يونية ، وقعت اتفاقية جديدة [64] ولم ترد فيها أية اشارة للجزائر على الاطلاق .

وقدم العقيد لير تقريراً بهذه المفاوضات الى عميد بحرى بارون ، الذى أمر ايتون بالانسحاب من درنة فورا . والى جانب ذلك أرسل الباشا مبعوثا خاصا ليعلن عفوا عاما على كل أولئك الذين تورطوا سياسيا فى مشروع أمريكا وأحمد . وفى اجتماع خاص للديوان يوم 10 يونية والذى دعى اليه العقيد لير كملاحظ تمت مناقشة الاتفاقية الجديدة لـ « السلام والصداقة » بين طرابلس وأمريكا . على نحو

---

63 *Naval Documents. . .*, Vol. IV, p. 155, and Vol. V, pp. 159–60.

64 A.F. ET.B[1], Beaussier to Talleyrand, 16 Prairial, 13e A.R., in C.C.T.B. Tome 32; Naval Documents..., Vol.6, pp. 103-5; R.W.Irwin, op.cit., pp.152-3; L.B.Wright and J.H.Macleod, op.cit., p.183. For a copy of the treaty, see American State Papers..., pp.697-8.

مفصل . ثم تمت المصادقة عليها . وتم خلال يومين اخلاء درنة .
وهكذا يعود نجاح طرابلس والصمود ضد التهديد الامريكى فى الاساس الى ظهورها كقوة بحرية على ساحل شمال افريقيا تلك البحرية الذى قام الباشا بتقويتها اثناء العقد الاول من حكمه ولعله من المفيد ، قبل أن تبحث هذه النقطة بتفصيل اضافى أن يناقش عاملان آخران ساعدا فى امكانية تحقيق ذلك النجاح .

يعتبر الدعم الذى قدمته دول المغرب ـ تونس والجزائر والمغرب ـ الى طرابلس احد هذين العاملين ، لقد أرسل الباشا ، عقب اعلان الحرب ضد أمريكا مبعوثا خاصا لهذه الدول ليشرح موقف طرابلس ويطلب مساعدتهم [66] وأجابت الدول الثلاث بالايجاب بسبب تذمرهم المألوف من تصرف أمريكا فى علاقاتها الدولية معهم من جهة وبسبب العلاقات التجارية التى ربطتهم ببعضهم من ناحية أخرى وكذلك بسبب عضويتهم المشتركة فى المجتمع الاسلامى . وبالنسبة لدول شمال أفريقيا ، تعتبر بقية العالم غير المسلم « دار الحرب » الذين أبيح للمسلمين حمل السلاح ضدهم دفاعا عن « دار الاسلام » وعلى هذا ، فقد نظر الى الحرب الامريكية ضد طرابلس ، على أنها حرب تشن من قبل دولة كافرة ضد دولة اسلامية [67] .

ان التضامن المغربى مع طرابلس ، أثناء الحرب ضد أمريكا ، لم يكن تضامنا معنويا فحسب وأنما كان مجسدا بطرق عملية . أولا : عارضت دول شمال افريقيا الثلاثة بشدة الحصار الامريكى ، وصممت من خلال الحرب كسره ، و أن تساعد طرابلس بالسلاح والذخيرة بالاضافة الى مساعدات أخرى من القمح والشعير والزيت ، ثانيا : سمح للقراصنة الطرابلسيين بأستخدام رايات هذه الدول ، لتغطية مناوراتهم ضد الحصار الامريكى [68] ولذلك أرتبك الامريكيون

65 American State Papers...,p.697.

فيما يتعلق بسرد كامل لمحاضر جلسات الديوان حول السلام ، انظر : تقرير لير الموجه الى وزير الخارجية بتاريخ 5 يوليه عام 1805 ، والمرسل من سيراكوزا . فى Naval Documents ...' vol 6' pp. 159–163–66. Naval Documents...' vol.2' p. 465.

66 *Naval Documents...*, Vol. 2, p. 465.

67 ـ لاكثر تفصيل انظر :
Kola Folayan, 'Tripoli and the War with the U.S.A., 1081–5' op. cit., pp. 266–7.

68 *Naval Documents...*, Vol. 3, p. 487 and Vol. 5, p. 541.

فى التمييز ما بين سفن بلاد العدو وسفن جاراتها وأصبحوا عاجزين فى عملياتهم البحرية ضد طرابلس .

الي جانب التضامن المغربى كان العامل المساهم فى نجاح طرابلس ضد أمريكا السياسة الاوروبية والتى ساعدت طرابلس اقتصاديا ، لقد بدأت الاتصالات التجارية مع مالطا خلال القرن السادس عشر وأصبحت منتظمة تماما اثناء القرن الثامن عشر (69) وزاد حجم هذا القطاع من تجارة طرابلس الخارجية ، منذ حوالى عام 1800 ، كما زادت أهميته فى الاساس كنتيجة للوضع الدولى الاوروبى ، لقد قررت بريطانيا العمل من مالطا وذلك لمقاومة تحركات نابليون الاستراتيجية ، فى منطقة البحر المتوسط عموما ، وحيال مصر على وجه الخصوص (70) وباحتلال بريطانيا للجزيرة فى سنة 1800 واقامة حامياتهم العسكرية وقواتهم البحرية هناك ، أصبحت طرابلس أحد الممولين الرئيسيين بالمواشى وغيرها من المؤن الاخرى لمالطا .

حققت تجارة المواشى بين طرابلس ومالطا اثناء فترة حرب طرابلس ـ أمريكا سنة 1801 ـ 1805 الارتفاع المطرد وتحصّل الباشا على أقصى ميزة اقتصادية عن طريق ممارسة الاحتكار الكامل تقريبا . كما شارك بعض اليهود والطرابلسيون فى التجارة ، بيد أن الباشا نفسه كان « التاجر » الرئيسى ، الذى يقدم أكبر عدد من الابقار والاغنام وهو الذى له الحق فى تصدير الخيل والبغال . ومن أجل ضمان الفعالية ، فأن الباشا يقوم بعملياته التجارية فى مالطا من خلال عميل مالطى موظف يدعى جيتانو شيمبرى والذى يعمل فى اتصال وثيق مع مواطن مالطى آخر هو لورنزو باتشى والذى منح لها مزود البحرية الملكية بالطعام عقد امداد القوات البريطانية بالمواشى

69 F.O. 76/1, White to Pitt, 7 September 1759, and F.O. 76/2, Fraser's Report dated 24 August 1767.

70 ـ تم الحصول على معلومات تاريخية مفيدة عن مالطا لفترة ما بعد سنة 1800 ، من المصدر التالى :

H.I. Lee, 'Malta as a British Colony 1824-1851' (Unpublished M.A. Thesis, University of London, 1949); and T. T. Zammit, *Malta, the Islands and their History* (Malta, 1926).

[71] . لقد ضمنت طرابلس ، من خلال احتكار الباشا وفعالية التنظيم ، مصدر دخل مطرد ليس فقط من الضرائب التى تدفعها السفن الناقلة وانما من التجارة نفسها .

ومع هذا ، يعود نجاح طرابلس الى بحريتها ، أكثر حتى من تضامن دول شمال افريقيا ومن المساهمة الاقتصادية لتجارة الماشية . وكما ظهر من خلال الوصف المختصر السابق لسير الحرب [72] فإن القوة العظمى لدفاع طرابلس يكمن فى صمود بحريتها لقد نفذت البحرية الطرابلسية ، نتيجة لحجمها ومعداتها وسرعة تحركاتها واخلاص ضباطها من الحصار الامريكى خلال الحرب ، فاستطاعت ان تمنع حدوث المجاعة التى كان يتوقع ان ترغم طرابلس على الاستسلام . كما قدمت البحرية ايضا ، اثناء القصف الشديد لطرابلس ، فى سنة 1803 - 1804 وضد درنة فى ابريل عام 1805 دفاعا هائلا واحبطت الاستراتيجية الامريكية . وكانت الأهمية الاقتصادية للبحرية ، مساوية فى اهميتها لترتيبات عملياتها الحربية لقد وفرت البحرية منذ انشائها ، فى سنة 1795 - 1796 بأنتظام الاموال للباشا ، واستمرت كذلك على طول فترة الحرب . ولم تتوقف عند اجبار السويد والدانمارك وهولندا الى تسوية ذات ميزة اقتصادية لطرابلس ، فى عام 1802 وفى نهاية الحرب خلال سنة 1805 . استخدم بعض هذه الاموال فى زيادة قوة البحرية وبعضها فى تحصين طرابلس وبدىء فى انشاء جيش دائم فى آواخر سنة 1802 . إن الدافع الحقيقى لهذه النقلة من قبل الباشا يبدو غامضا الا انه من الممكن طرح تفسير محتمل . فربما كان الباشا متوقعا ان الخطة الامريكية قد تستوجب عمليات أرضية ستتطلب استخدام الجيش ولم تكن طرابلس مستعدة لذلك ، حيث أن تجنيد مليشيات من العرب ، غالبا ما يتطلب وقتا طويلا بسبب التفاوض الممل حول المرتبات . ومهما يكن ذلك الدافع . فقد كان الباشا ، فى اواخر عام

---

71 F.O. 76/7, Langford to Lt. Col. Cordon (Commissary in Chief of the British Forces), 25 September 1810.

72 - انظر : الصفحات اعلاه.

73 - انظر : الصفحات اعلاه.

1802 منهمكا على نحو جدى ، فى انشاء قوة مقاتلة نظامية ونجح مع نهاية السنة ، فى تجنيد حوالى 1,500 مرتزقاً من الاتراك الشرقيين . كما انه انشأ قوة من الخيالة ايضا ، بلغ عدد افرادها 12,000 من السكان المحليين [74] وشكلت هاتان الوحدتان اساس القوة النظامية لطرابلس ، وهما اللتان ستقودان الجيوش غير النظامية ، التى ستجند من الاجزاء المختلفة للبلاد . وقدّر بعض القناصل الاوروبيون ، بأن الاحتياط الكافى لغير النظاميين بحوالى 30,000 جندىٍّ و 20,000 فارسٍ .

واستخدم جزء من هذا الجيش ، فى اخضاع ثورتين فى الدواخل ، خلال سنة 1802و 1803 [75] بيد أن مهمته الرئيسية كانت الدفاع عن طرابلس ضد الامريكيين وشكل هذا الجيش الذى انشىء حديثا ، أثناء قصف طرابلس البحرى الشديد ، خلال 1803و 1804 جزءاً اساسيا من الدفاع وقدر فى سنة 1804 بالخصوص بأنه لتحصينات المدينة وحدها ، وصل عدد القوات العربية والمرتزقة الاتراك حوالى 25,000 شخصٍ كما انه ، فى سنة 1805 قد أرسل قسم « كبير » ، من هذا الجيش للدفاع عن درنة [76] .

وعلى هذا ، فقد تمت تقوية البحرية بنجاح ، كأداة للقوة ، من قبل يوسف باشا اثناء العقد الاول من حكمه ، سنة 1795 - 1805 وذلك لرفع طرابلس على ساحل شمال افريقيا من مركز الضعف الى مركز القوة . اما عن مدى امكانية استمرار هذه القوة فهو ما سيعرف فيما بعد .

---

74 F.O. 76/5, McDonough to Pelham, 2 December 1802.

75 AFF. ET. B[1], Beaussier to Talleyrand, 15 Brumaire, 12e A.R., in C.C.T.B. Tome 32.

76 ـ بالنسبة لتكوين القوات التى ارسلت الى درنة ، انظر : Naval Documents ...' vol . 6' p 107 .

Naval Documents..., Vol. 6, p. 107.

الفصل الثالث
مشاكل توطيد الحكم
١٨٠٦ - ١٨١٧

كان تحقيق التماسك السياسى والاقتصادى للبلاد يشكل طموح يوسف باشا الرئيسى خلال العقد اللاحق للحرب الامريكية . ويعنى بالتماسك السياسى تحويل الهيئة السياسية المفككة التى ورثها الى دولة ليبية . ولقد تحقق ذلك الى حد كبير مع نهاية ذلك العقد . بيد ان مسالة الاقتصاد كانت مستعصية جداً ، ليس خلال تلك الحقبة فقط وأنما على نحو مستمر حتى نهاية عهده ، وكانت فى الحقيقة ، العامل الرئيسى لانهيار نظامه . كان الباشا يستشعر المشكلة السياسية ، حتى قبل نهاية الحرب الامريكية اذ ان جزء من سكان غريان أعلن فى يوليه عام 1803 تحرره من دفع أية ضرائب سنوية عرفية لطرابلس[1] وظن الباشا ، فى البداية بأنهم سيعودون الى رشدهم بدفع ما عليهم من ضرائب بمجرد حضور احد ممثليه اليهم . وعلى هذا ، ارسل الحاج احمد آغا الخازندار (أمين الخزينة) مع مجموعة من الحراس لجبابتها . ومع هذا ، لم ينتهز السكان هذه الفرصة ، الا للتعبير العنيف عن رفضهم لسلطة الباشا . ولم يكرروا رفضهم لدفع الضرائب فحسب ، ولكنهم فى الحقيقة قتلوا موظف الباشا ، وتبعوا ذلك بسد الطريق الى فزان ، بعد أن استولوا على قافلة من حوالى 500 جمل محملة بالحبوب وبعض الاموال .

اجاب الباشا على ذلك بقوة كبيرة ، برهن عددها وقوتها على تفوقها الكبير على العصاة الذين فقدوا قائدهم الشيخ عبدالكافى [2]

1. *Naval Documents....* Vol. 2. p. 486.
2. R. Vadala, L'histoire des Karamanlis, in *Revue de l'Histoire des Colonies Francaises* VIIa (Paris, 1919), p. 207.

فأضطر أتباعه الى مناشدة السلام والخضوع للشروط التى فرضها الباشا . ففرض عليهم دفع تعويض قدره 100,000 دولار [3] ووافقوا على وجود قوة محتلة ، تقيم على نحو دائم فى قلعة ستبنى بالمنطقة ، وبحلول منتصف سبتمبر تم اخضاع ثورة غريان تماما .

واستخلص الباشا من هذا الدرس ، ان حل مشاكل السكان العرب بالدواخل لايمكن ان يتم بالمفاوضات السلمية بل لايكون الا بأستخدام فعال للقوة ، تماما كما كانت فى أيام جده الكبير احمد الاول [4] وعلى هذا فبعد الحرب الامريكية فى سنة 1805 قرر أن يطبق مبدأه باخضاع المقاطعة الشرقية درنة ووضعها تحت سيطرة اكثر رسوخا فقام فى وقت مبكر ومن اجل تحقيق ذلك الهدف بعزل احمد الثانى من درنة ومنح العفو السياسى لاولئك الذين شاركوا فى الثورة [5] وبرحيل احمد ومؤيديه الامريكيين الى سيراكوزا [6] تحرك الباشا بقواته على وجه السرعة ، ليقوى مركز الادارة المحلية وارسل الى الوالى المخلص له مصطفى باى ، اسطولا من ثمانى سفن تحمل على ظهرها 800 رجل وأسلحة وذخيرة لتلتحق بتعزيزات اخرى سبق ارسالها ارضا وبهذه القوات اصبحت درنة خاضعة تماما . والى جانب الانفاق على القوات المفروضة عليهم قام سكان درنة بجمع مبالغ مالية كبيرة وارسالها للباشا ضمانا لطاعتهم فى المستقبل [7] .

أن اخماد ثورتى غريان و درنة فى سنة 1803 وسنة 1805 يمكن ان ينظر اليها على انها تمهيد لاخضاع البلاد ، فيما بين سنة 1806 ـ وسنة 1817 . وشهدت سنوات 1806 و 1807 ثورة اولاد

Talleyrand, 12, Vendémaire, 12e A.R., in C.C.T.B. Tome 32. AFF. ET. B.I, Beaussier to

3 ـ سيكون مجموع الاموال طبقا لسعر 5 دولارات اسبانية تعادل جنيأ استرالياً واحداً (انظر الفصل الثانى ، حاشية رقم 19) حوالى 20,000 جنيه استرلينى . انظر أيضا :

4 See Chap. 1 p. 3 above.

4 ـ انظر : الفصل الاول ، ص 3 اعلاه .

5 ـ انظر : الفصل الثانى ، ص 39 اعلاه .

6 ـ فيما يتعلق بسيرة احمد فى سيراكوزا ، وهروبه اللاحق الى مصر ، انظر :

R. Vadala, op. cit., pp. 274-5 ; also AFF. ET. BI, Beaussier to Champany, 30 November 1808, in C.C.T.B. Tome 33.

7 *Naval Documents...*, Vol. 6, pp. 183-4.

سليمان [8] لقد عاش اولئك الاعراب فى الاقليم الواقع ما بين طرابلس وفزان فى الجنوب وشكلوا تهديدا خطيرا ومزدوجا لبرنامج الباشا السياسى ، الخطر الاول فى استراتجيتهم المستمرة فى اعتراض طريق تجارة الصحراء التى تربط طرابلس مع فزان [9] ومن خلالها بأقطار السودان مثل بورنو وبلاد الهاوسا وفى ذلك تهديد للمصادر التى تستمد منها طرابلس مركزها التجارى المتمثل فى توزيع تلك السلع . فتجارة السودان هذه تكون مصدر دخل كبير لطرابلس منذ ايام الرومان [10] ومن ثم فان قطعه بسبب أولاد سليمان تعنى خسارة اقتصادية كبيرة للباشا اما الخطر الثانى فإن معارضة هؤلاء الاعراب قد مكن اسرة سيف النصر من تكوين قيادة عنيدة . لقد عارضت تلك القبائل الحكم القرمانلى على نحو شديد ، فى أيام احمد الكبير ، واستمرت كذلك حتى نهاية ذلك النظام كما سيرى فيما بعد [11] .

قاد شيخ سيف النصر جماعته من أولاد سليمان ، خلال سنة 1806 - 1807 فى ثورة ضد سياسة الباشا المركزية التى امرت اولئك الاعراب بالانتظام والدقة فى دفع الضرائب فسارع الباشا بتنظيم قوة هائلة ارسلها تحت قيادة ابنه الأول محمد باى ضد العدو المعسكر فى خليج سرت [12] ولحسن حظ الباشا ان الشيخ نفسه قتل فى احدى المعارك الضارية ، كما قتل عدد كبير من جنوده . ومن الطبيعى ان تنهار الثورة فأسر بعض من اعضاء جماعة سيف النصر واقتيدوا الى بلاط الباشا وتم اخضاع أولاد سليمان للسلطة والتزموا الهدوء على الرغم من انهم اعلنوا عصيانهم فيما بعد [13] .

وبعد ثلاث سنوات من نجاح قوات الباشا ، على اولاد سليمان

---

8 F. O. 76/6, Langford to Castlereagh, 29 August 1807; R. Vadala, op. cit., p. 207.

9 - انظر :

G. F. Lyon, *A Narrative of Travels in Northern Africa in the Years* 1818, 1819 *and* 1820 (London, 1821), p. 54.

انظر ايضا : الفصل الخامس .

10 See A. Adu Boahen, *Britain, the Sahara and the Western Sudan*, 1788–1861, p. 103; Castlereagh, R.W. Bovill, (ed)., *Missions to the Niger*, Vol. 1, (London), p. 146.

11 - بالنسبة للمعارضة ضد أحمد الكبير ، أنظر : الفصل الاول ، وعلى الخصوص الحاشية رقم 45 . أما بالنسبة للمعارضة المستقبلية ، أنظر الحاشية رقم 13 أدناه .

R . Vadala ,op . Cit., P.

13 - ا نظر : الفصلين الخامس والسادس .

« ... لقد كانوا يدركون فعلاً (يعنى ، سكان غدامس) الميزات التى يتحصلون عليها من التجارة ، فبدلاً من ان يطلقوا طلقة واحدة فى الحرب ، خضعوا لاعظم عبء وضرائب فى شكل جزية ... الى باشا طرابلس ... » .

الاقوياء ، وجه اهتمامه الى الاقاليم التى تقع على حدود السودان كغدامس وفزان وتجدر الاشارة الى انه لم يقم بذلك كرد فعل لاى تهديد لمركزه فى هذين الاقليمين ذلك لأنه على الرغم من ان غدامس تتعرض احيانا لبعض المضايقات من الطوارق فى المناطق المجاورة فإنه لاخوف من أن لأولئك الطوراق اى طموح فى الوصول الى المدينة بل كانت هجوماتهم تقتصر على غارات على القوافل . اما بالنسبة لفزان فليس لديها ما تخافه من بورنو ، جارتها القوية وسيدتها السابقة [14] فلم تكن بورنو تستطيع ان تباشر اية سياسة خارجية عدوانية فى تلك الاثناء التى تعد فيها كل مصادرها العسكرية والسياسية والدبلوماسية للصمود امام التوسع الاقليمى لجهاد عثمان دان فوديو بأراضى الهاوسا [15] .

ومن ثم فإن الحافز وراء عمل الباشا خلال سنة 1810 – 1812 يبدو انه اقتصادى وليس سياسيا . وكانت كل من غدامس وفزان ، مركزا تجاريا هاما وغنيا ، وتربط غدامس مدينة طرابلس تجارياً بتمبكتو عن طريق توات وبلاد الهاوسا عن طريق غات وببورنو عن طريق مرزق . وكانت ايضا الملتقى لجميع القوافل من تونس والجزائر[16] بالاضافة الى ان المدينة معروفة منذ أيام ليو افريكانوس ، بتجارها الاثرياء وبمصارفها ومموليها الذين ساهموا بقسط كبير من رأس مال تجارة الصحراء والسودان ، كما راجت تجارتها فى تراب الذهب التى اشتهرت به على وجه الخصوص فى العصور الوسطى والتى مازالت ملفتة للانتباه على نحو ملحوظ رغم تضاؤل حجمها .

وفزان مثل غدامس تستمد وجودها من تجارة الصحراء فهى تربط طرابلس برنو وبلاد الهاوسا وتربط ايضا الصحراء والسودان بمصر (القاهرة) عن طريق زويله وبتونس والجزائر عن طريق غدامس وغات ، والمغرب عبر غات وعين صالح [17] لقد كان طريق طرابلس – فزان بصورة مستمرة تحت سيطرة التجار العاملين فى

14 J. Depois, 'Fazzān' in *Encyclopaedia of Islam*, Vol. 2, (New Edition), pp. 875–6.

15 See A. Adu Boahen, op. cit., pp. 245–6; and also E. W. Bovill, ed., op. cit., Vol. 2, pp. 86–7.

16 E. W. Bovill, (ed)., op. cit., Vol. 1, p. 267; A. Adu Boahen, op. cit., p. 113.

17 See A. Adu Boahen, op. cit., map facing p. 102: The Caravan and Sudan Trade Routes of the Nineteenth Century.

طرابلس ويبدو انه كان يسيطر على اكبر تجارة عبر الصحراء ، خلال الثلاثة عقود الاولى من القرن التاسع عشر . وتعتبر هذه الطريق معروفة على وجه الخصوص ، او مشهورة باهم مادة من تجارة السودان وهى تجارة الرقيق [18] .

لقد قرر الباشا ان يجعل الاقليمين تحت سيطرة سياسية اكثر فعالية ، ليضمن استغلالا كاملا للمصادر التجارية فى الاقليمين فارسل فى سنة 1810 حملة الى غدامس تحت قياس ابنه الثالث على «19» ولم تكن المدينة مستعدة لذلك لانه على الرغم من انه يبدو ان هناك بعض البطء فى جمع الضرائب السنوية الا ان السكان عموما لم يظهروا اية روح عدائية مثل جيرانهم الطوارق وغيرهم من سكان جبل نفوسه بل كان كل همهم ان يحيوا حياة تجارية تمكنهم من ان .

يحسبوا بدقة متناهية تكاليف النقل الى بلدان بعيدة والضرائب والجمارك والمخاطرة والمشاكل والنسبة التى ستعود بها بضائعهم فكانوا يقومون بالعمليات التجارية حتى عن طريق الكمبيالات والوعود والاتفاقيات غير المحررة « 20».

ولذلك فعندما حاصرت قوات على المدينة تشاور التجار الكبار والمولون ، من اجل ضمان استمرار الاعمال التجارية مستبعدين اية مقاومة مسلحة وطلبوا من السكان ان يسلموا طواعية وربما عارضت الاقلية العسكرية التى ليس لديها ما تفقده فى حالة القيام بحرب دفاعية طويلة ضد الباشا . ومع ذلك ففى اليوم الثالث يبدو ان «حزب» رجل الاعمال قد هيمن ، اذ سلمت المدينة بكاملها بهدؤ « 21» . ومن خلال الترتيبات السياسية اللاحقة يمكن استنتاج شروط الباشا .

18 C. O. 2/20, Laing to Warrington, 13 September 1825; also see A. Adu Boahen, op. cit., p. 107; and E. W. Bovill, ed., op. cit., Vol. 1, p. 242.
19 R. Vadala, op. cit., p. 207.
20 C. O. 2/15, 'Notes on Gadamis', Laing to Horton, 20 October 1825.
21 R. Vadala, op. cit., p. 207; C.O. 2/15, Laing to Horton, 20 October 1825.

دفعت غدامس للباشا كتعويض 20,000 مثقالاً من الذهب و 20,000 محبوباً [22] كما نصب الباشا واليا على المدينة وجمع كل المستحقات واحتفظ بـ 10٪ منها كعمولة . واشترط ان تكون لعميله المحلى الوالى حق فرض ضريبة على كبار التجار عند احتياج الباشا لاموال اضافية مع جمع وارسال كل ممتلكات الذين ماتوا دون وريث الى الباشا اما ممتلكاتهم الثابتة فللوالى ان يستولى عليها نيابة عنه وطبقا لهذه القاعدة فقد تحصل الباشا فى غدامس على كثير من الممتلكات وخاصة الاراضى فعلى سبيل المثال ، قدر جوردن لينج الذى زار المدينة فى سنة 1825 بأن قطعة من الارض حوالى ثلثى هكتار والتى حصل عليها الباشا من خلال هذه الطريقة ، قد بيعت لاحد المضاربين المحليين بـ 20,000 دولار « 23 ».

وبعد ان استطاع تعزيز نفوذه فى غدامس، وجه الباشا اهتمامه الان الى فزان حيث اتى تدخله فى سنة 1811 ـ 1812 بنتائج جذرية . وحكمت فزان كانم من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر ثم دخلت تحت حكم سلاطين اولاد محمد فى القرن السادس عشر « 24 » ومؤسس تلك الاسرة والعاصمة الجديدة بمرزق ، يدعى المنتصر بن محمد الفاسى وهو شريف مغربى مما اكسب تلك الاسرة هالة من التبجيل والتوقير .

استمر سلاطين اسرة اولاد محمد فى حكم فزان حكما مستقلا واقعيا عن طرابلس حتى حملات احمد القرمانلى فى العقد الثانى والرابع من القرن الثامن عشر التى جعلت الاقليم تحت سيطرة اكثر فعالية « 25 » ومع هذا فبعد احمد الاول وبسبب الضعف الشخصى

---

22 R. Vadala, op. cit., p. 207. According to Laing (Laing to Horton, 20 October 1825 in C.O. 2/15),

22 ـ كانت 2,000 دولار تساوى 1,000 مثقال ، أى 2 دولار للمثقال ، أو 2,5 جنيه استرلينى لمثقال واحد وايضا المحبوب الواحد حوالى 6 .

انظر أيضا (E.W.Bovill, ed op. cit, vol. 1, P. 259) وعلى هذا ، فطبقا لاسعار التحويل هذه ، كانت الدفعات ، بالاسترلينى حوالى 8,000 جنيه استرلينى ، و6,000 جنيه استرلينى على التوالى .

23 C. O. 2/15, Laing to Horton, 20 October 1825.

24 J. Depols, 'Fazzān', in *Encyclopaedia of Islam*, Vol. 2, (New edition), p. 876; B. G. Martin, 'Kanem Bornu and the Fazzan: Notes on the Political History of a Trade Route' in *Journal of African History* 10, 1 (1969), pp. 19–21.

25 See Chap. 1, p. 3.

والمشاكل الاسرية لمحمد باشا وعلى باشا امتحنت سيطرة طرابلس على فزان بوهن تدريجى .

سمح يوسف باشا فى البداية للوضع السياسى الراهن فى ان يستمر بفزان فعلى سبيل المثال سمح للسلطان الحاكم فى الاستمرار فى ان يستخدم اللقب على ختمه الرسمى بالنسبة للاعمال المحلية والاعلانات والاوامر والرسائل داخل فزان بشرط ان يستخدم ختما صغيرا منقوشا عليه لقب «شيخ» فى مراسلاته مع طرابلس «26.» إلا أنه أصر لتنفيذ ذلك على أن تكون علاقات فزان الضرائبية مع طرابلس منظمة على اسس محددة وعين فى اواخر سنة 1790 احد مؤيديه الرئيسيين باى النوبة «جامع ضرائب الباشا» «27» الذى كان عليه ان يذهب جنوبا الى مرزق فى نهاية كل سنة ليضمن دفع الخراج من فزان والذى كانت قيمته حوالى 5,000 دولار من تراب الذهب أو السنا او العبيد «28.» واستمر الباشا من خلال ضابطه فى الحفاظ على سلطانه بفزان ومن خلاله عزز حكمه السياسى المطلق هناك اثناء سنة 1811 - 1812 .

كان «جامع ضرائب» الباشا محمد المكنى رجل يتمتع بـ «مظهر عسكرى وقوة شخصية فائقة ولكن بالاضافة الى ذلك كان له طموح لا يقنع مع جشع مفرط» «29» وذلك طبقا لما وصفه به القائد العسكري فى سنة 1818 . واستمد «جشعه» من كونه رجل اعمال ذكى وان موقفه من السياسة يقوم بالضرورة وفقا للغة الربح والخسارة وفى النهاية استطاع بطموحه الذى لا يشبع خدمة اهداف الباشا فى فزان .

كان محمد المكنى يعطى عقب كل عودة له من جولته الادارية فى فزان الانطباع لسيده الباشا عن المدى الشاسع بين الضرائب

26 E. W. Bovill, ed., op. cit., Vol. 1, p. 100, extract from *The Journal of Friedrich Hornemann's Travels from Cairo to Murzuk in the Years* 1797–8.
27 Captain G. F. Lyon, op. cit., p. 4; also Ettore Rossi *Storia. . .*, pp. 267 ff.
28 ibid., also E. W. Bovill ed., op. cit., p. 100.
29 Captain G. F. Lylon, op. cit., p. 3.

الضئيلة التى يدفعها سلطانها والمصادر الكبيرة التى يتمتع بها ذلك الاقليم « 30 » وانه بامكانه ان يزيدها الى ثلاثة اضعاف اذا ما اعطى المكنى سلطات اكبر : كسلطات الوالى مثلا بدل سلطات المفتش الضرائبى السنوى . وفى ذلك فوائد اخرى للباشا اذ سيمارس سلطة مباشرة اكبر وسيطرة شخصية على فزان بالغاء حكم عائلة اولاد سليمان «وارسال نائب عنه يتولى تعيينه مباشرة». وقد تناسب اقتراح المكنى تماما مع برنامج الباشا السياسى ومع رغبته فى استغلال افضل لاقاليم طرابلس التجارية الهامة . بالاضافة الى ذلك فان السياسة العدائية المتزايدة التى سلكها السلطان الحاكم بفزان بدأت تلح لاتخاذ اجراء مناسب هناك . اولا حاول محمد المنتصر منع التجارة المباشرة بين طرابلس وبرنو خلال سنتى 1807 ـ 1808 كما سيرى فيما بعد « 31 » . ثانيا اظهر فى سنة 1810 دعما علنيا لبعض من عرب أولاد سليمان ممن أغضبوا الباشا اذ هرب اولئك الاعراب الى فزان حيث وجدوا الحماية لدى السلطان على الرغم من علمه بتمردهم « 32 ».

ان هذا العمل الاخير من جانب سلطان فزان قد زود الباشا والمكنى بأسباب الحرب لتساعد على تبرير تدخل مسلح هناك . ومن ثم ففى السنة التالية 1811 طلب من المكنى ان ينطلق من طرابلس مصطحبا معه من 400 الى 500 من الجنود المخلصين من مقاطعة غريان ليزحف بهم على فزان وفى عاصمتها مرزق رفض السلطان التخلى عن اللاجئين اليه من عرب اولاد سليمان (33) فوضعه المكنى تحت اقامة جبرية فى محل اقامته بالقلعة التى احيطت بالجنود المسلحين وعلى امل ان يستفيد ابن اخ السلطان من مشاكل عمه السياسية مع طرابلس ابدى تعاونه مع المكنى مقابل وعده بان يتولى العرش وكجزء من الصفقة حرض من قبل المكنى ذاته ان يشنق عمه بعد ان اعلن سلطانا على فزان .

---

30 ـ المصدر السابق ، صفحات 3 ـ 4 ، وايضا

31 ـ انظر : الفصل الرابع ادناه .

32 C. O. 2/8, 'Notes' by Mr Ritchie at 'Mourzook', ?.1819.

33 ـ المصدر السابق .

ان السلطان الجديد ، ودون وعى بانه كان وببساطة اداة فى يدى المكنى والذى كان يدبر مكيدة ضد السلطنة ذاتها اندهش بدرجة كبيرة عندما واجهه المكنى نيابة عن الباشا بعد حوالى اسبوع من توليه السلطنة ، يدفع الخراج . وحيث انه لم يكن ليستطيع تأدية ذلك ، فان المكنى لم يتردد فى مهاجمة قلعته ليواجه فى النهاية مصير عمه الراحل ، سجن فى البداية ثم حكم عليه بالاعدام ونتيجة للانهيار السريع لمقاومة القصر باستخدام المماليك «34» وجد بقية اعضاء الاسرة المالكة أنفسهم فى وضع بائس يواجهون الابادة التامة فهرب بعضهم الى المغرب عن طريق توات ، وبعضهم الاخر الى مناطق مختلفة من السودان «35».

كان اولاد سليمان الذين اعطوا المكنى الذريعة الاصلية لغزو فزان فى نفس الوقت هدفا لحملة عسكرية مكثفة فى جميع ارجاء الاقليم وساعد الباشا العملية بارساله تعزيزات كبيرة تتكون فى معظمها من عرب المقارحة «36» وتم القضاء على اولاد سليمان فى النهاية ، فى الحملة القاسية حيث كانت قوات المكنى من الجنوب وقوات الباشا من الشمال وكانت الجيوش تفوقها عددا .

وارسل المكنى تقريرا حول نجاحه لسيده فى طرابلس واعقب ذلك بطلب ان يعين وكيلا للباشا فى حكم فزان ووعد بانه سيقدم من الان فصاعدا ، 15,000 دولار بدل 5,000 دولار السابقة كضريبة سنوية لطرابلس . وصادق الباشا على طلب المكنى وعينه بايا لفزان ولاسباب ادارية تقرر ان يستخدم كحكام اولاد محمد لقب سلطان ،

---

34 ـ كان هؤلاء من المنشقين الاوروبيين الذين جندوا فى اوقات مختلفة فى الادارة المحلية ، واقاموا داخل القلعة انظر : Captain G. F. Lyon op. cit., p. 4; also E. W. Bovill, ed., op. cit., p. 279.

35 C.O. 2/8, 'Notes' by Mr Ritchie, at 'Mourzock',? 1819.

36 ـ معظمها يقع فى منطقة اقليم سرت انظر : E. W. Bovil, ed., op. cit., Vol. 2,

اما فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية للمغرب العربى . انظر : S. M. Peters, 'A Study of the Bedouin (Cyrenaican) Bait' (Unpublished B. Litt. thesis Oxford, 1952), esp. pp. 12 and 235.

اخل اقليم فزان « 37 » واحتفظ بمنصبه حتى سنة 1820 عندما
خلع واستبدل به مرشح اخر من قبل الباشا « 38 » وهكذا فعن طريق
انقلاب نظم من قبل احد ضباطه المتميزين اسقط الباشا سلطنة
فزان وتوقفت عن التمتع باستقلال واقعى واصبحت تحت السلطة
الفعلية للباشا .

فى حين كانت عمليات المكنى مستمرة فى فزان سنة 1811 -
1811 ، شنت حملة اخرى على الاقليم الشرقى «لبرقة» اذ انتهز
الاهالى فى خليج سرت وبنغازى ودرنة انشغال الباشا فى الجنوب
ورفضوا ارسال ضرائبهم السنوية ولذا شكلت حملة تحت قيادة اكبر
ابناء الباشا سنا محمد باى وفى يوم 21 يناير عام 1811 توجهت
هذه الحملة الى درنة ، حيث يتواجد جيب للمعارضة تم اخضاعه
بسرعة وقتل 19 من قادة المعارضة « 39 » ثم قاد الباى القوات الى
بنغازى التى سارعت لدفع الضرائب وتجديد الولاء للباشا وفى خليج
سرت قام المتمردون من عرب اولاد على ، ببعض المعارضة العنيفة .
فلم يرفضوا دفع الضرائب فحسب وانما قفلوا ايضا جميع المسالك
فى قراهم وفرضوا عزلة قوية فى مقاطعتهم واغتالوا وبدون هوادة اى
احد يحاول الدخول اليها « 40 ».

وكان عدد قوات محمد يفوق عدد المتمردين ، 13,000 الى 3,000
مقاتل وبسبب ذلك العامل وباستخدام اسلحة افضل دمرت تلك
المقاومة فى النهاية وتبع ذلك عملية تطهير تم خلالها قطع رؤوس
قادتها ومن بينها رأس شيخ المقاطعة وعلقت الرؤوس على اسوار
القلعة بطرابلس لتظهر انتصار الباشا . وعندما قاد محمد القوات
المنتصرة فى طريق عودتها الى طرابلس يوم 10 فبراير عام 1812 ،
اشتملت الغنيمة على عدة رؤوس من الماشية و 22 صندوقا مملؤا بالاموال

37 - انظر : الفصل الرابع أدناه .

37 Captain G. F. Lyon, op. cit., pp. 3–4; C.O. 2/8, 'Notes' by Mr Ritchie, at 'Mourzook' 1819.
39 AFF. ET. B[1], Beaussier to Maret, 10 July 1811, in C.C.T.B. Tome 33.
40 P. D. Cella, *Narrative of an Expedition from Tripoli in Barbary to the Western*

والمجوهرات بلغت قيمتها جميعا حوالى 80,000 دولار « 41 » .

وعلى الرغم من ذلك فكانت لذلك النجاح عواقب غير مباشرة زادت مشاكل الباشا السياسية وجعلت من الضرورى خلال خمس سنوات تالية ارسال حملة اخرى الى برقة واصبح محمد باى نتيجة لتباهيه كمخطط عسكرى للحملة وانه وراء انتصار الباشا فى برقة خلال سنة 1811 - 1812 اصبح متغطرسا للغاية لا يمكن التحكم فيه . وقام فى احدى المناسبات بمحاولة طعن والده « 42 » ادت تلك الاسباب لابعاده عن القلعة وربما لمنع ما ظهر انه بداية نمط مميز لصراع الاب والابن على السلطة داخل الاسرة القرمانلية ، عين الباشا ابنه محمد هذا كوال على اقليمى بنغازى ودرنة .

ولم يدرك الباشا انه بذلك التعيين اعطى ابنه الطموح سلاحا خطيرا ليستخدمه ضده وبالفعل فانه بمجرد وصوله الى منصبه الجديد بدأ حملة ضد والده مستخدما عرب الجوازى « 43 » وربما كان برنامجه السياسى اسوة ببرنامج الشيخ سيف النصر فى سنة 1806 - 1807 « 44 » يتمثل فى ادانة سياسة الباشا لاتباعه سياسة مركزية والتى تعنى ضرائب اكثر على اولئك الاعراب . ومن الطبيعى ان يلقى مثل هذا السبب دعما كبيرا واصبح عصيان محمد قويا على نحو مخيف . وبحلول سنة 1816 استطاع ان يبنى لنفسه دولة داخل الدولة وهو ما يتناقض مع طموح يوسف باشا السياسى .

وفى اوائل سنة 1817 ، قرر الباشا ان يقوم بـ :

... فحص مدى تقدم العصيان

وان يعاقب السلوك الغادر لابنه المتمرد(45).

Frontier of Egypt in 1817, *by the Bey of Tripoli* (London. 1822), p. 51.

41 AFF. ET. B', Beaussier to Maret, 10 December 1811, and 1 March 1812, in C.C.T.B. Tome 33; E. Vadala, op. cit., p. 208.

42 P. D. Cella, op. cit., p. 5.

43 - المصدر السابق .

44 - انظر الصفحات السابقة .

وفى 7 فبراير 1817 اعلن بداية الحرب ضد ابنه محمد وقبيلة الجوازى ، وبعد خمسة ايام ، قاد احمد الابن الثانى للباشا ، وهو الآن الباى المعين بدلا من اخية المتمرد ، حملة مصحوبة بطبيب سردينى يدعى الدكتور باولو ديلاشيلا من اجل ان يقدم الخدمات الصحية للقوات (46) وواكب الباشا الحملة بنفسه الى تاجوراء حيث كان لها لقاء « هناك بأول دعم عسكرى لها . وزاد حجم الحملة فى الطريق ، باضافة قوات من قيادة عربية مختلفة مثل آغا مصراته ، الذى اصبح يلى الباى فى مركز القيادة .

ومع وصول اخبار اقتراب الحملة من درنة ، بدا محمدومؤيدوه يشكون فى فرص نجاحهم ضد مثل تلك القوة الهائلة اذ قرر عدد كبير من الاعراب الذين كانوا معه الفرار ويدا محمد نفسه فى التفكير حول افضل خطة لفراره . وبحلول شهر يونيه ، عندما وصل احمد الى درنة ، كان محمد قد هرب فعلا الى البومبة قرب الحدود المصرية (47) اما بالنسبة لسكان درنة فانهم استسلموا عن طريق ممثلين لهم اختيروا لذلك الغرض الى سلطة الباشا بعد ان ادانوا المتمرد وطلبوا العفو . واستقبل احمد مبعوثى درنة بحرارة ، وقبل اعتذارهم واعذارهم ومنحهم بأسم ا لباشا عفوا غير مشروط غير انه طلب منهم اختيار 22 ممثلا من بين اغنيائهم واعيانهم ليرسلوا الى طرابلس .

ليجددوا ، بأسم جميع القبائل ، عهدهم وولاءهم للباشا (48) .

ووافقت القبائل العربية على ذلك بكل سرور وهكذا كسب احمد طاعتهم بدون استخدام القوة .

ادت اخبار استسلام درنة الى مزيد من الهروب من معسكر محمد الذى قرر فى النهاية الهروب الى مصر (49) وفى نفس الوقت ، قاد احمد قواته الى البومبة ، ليضمن بنفسه عدم وجود عناصر موالية لمحمد هناك . ثم اعلن اتمام مهمته ، وامر القوات بالرجوع الى

---

46 ـ تم الحصول على خدمات الدكتور ب . د . شيلا من خلال القنصل الاسبانى فى طرابلس ، وان معظم ماكتب كان من مشاهدته ، واعتمدت هذه الدراسة على وصفه لحملة سنة 1817 على برقة .

47 ـ أنظر : المصدر السابق ، صفحات 45 ـ 46 ، 111 و 172 ، وانظر ايضا :

AFF. ET. B[1], Mure to Talleyrand, 24 January and 20 June 1811, in C.C.T.B. Tome 34.

[48] P.D. Cella, op. cit., p. 180.

[49] AFF. ET. B[1], Mure to Talleyrand, 12 December 1817, in C.C.T.B. Tome 34.

طرابلس عن طريق بنغازى .

وكانت بنغازى المرحلة النهائية ، من مراحل اخضاع برقة . وامر احمد كل مدينة وقرية فى الاقليم ، بأن ترسل ممثلين عنها الى احتفال النصر ، حيث ستقدم « عباءات الشرف » عباءة حمراء لمشايخ القبائل العربية المختلفة كاعتراف بتعاونهم فى اسقاط التمرد الذى قاده محمد .

رحبت قبيلة الجوازى فى بنغازى ، بدعوة احمد على انها نظرة ثاقبة تستهدف انهاء تلك الحملة البيضاء . الا ان زعماء المناطق الريفية كانوا يشكون فى نوايا الباى وفكروا جديا فى اثارة الاقليم بكاملة فى تمرد عام ، بأتهام الباى بانه ضالع فى التخطيط للقضاء على قبيلة الجوازى كلها . وفى النهاية اقتنعوا احمد ليوافق على حضور القادة فقط فحضر حوالى 45 منهم الاحتفال فعليا (50) .

وعلى هذا ، ففى 5 سبتمبر عام 1817 وبينما كانت بنغازى مزدحمة باولئك الذين لم يشكوا فى مصداقية دعوة الباى ، ضرب اولئك النزاعون الى الشك والارتياب خيامهم فى ضواحى المدينة . وبدا الاستقبال فى القلعة ـ الاقامة الرسمية للباى ـ بتقديم القهوة فى حين كان احمد يكرر عفو الباشا العام فى مقابل ولاء دائم لقبيلة الجوازى . ثم فجأة اندفع حراس احمد المسلحون ، وقتلوا مشائخ القبائل اما القليل الذى حاول الهرب فقد وقع فى ايدى الجنود ، خارج القلعة . ثم امر آغا مصراته الذى يلى الباى فى القيادة ، جنوده بالزحف ضد جميع العرب فى المدينة وخارجها . وفى اثناء ذلك ارجع الـ 22 رهينة الذين ارسلوا الى طرابلس فى قارب حيث تم قتلهم والالقاء بجثثهم فى البحر قرب ميناء بنغازى . وبأنتهاء اليوم المدمر بالنسبة لقبيلة الجوازى ، كان شغل احمد الشاغل ماتحصل عليه من غنائم 4,000 جمل ، 10,000 راس من الاغنام ، 6,000 ثور واموال وعدد من العبيد (51) وكان بالنسبة للباشا ، اخضاع تام لقبيلة الجوازى .

50 P. D. Cella op. cit., pp. 223–4.
51 P. D. Cella, op. cit., pp. 225–6.

وبعد رجوع احمد لطرابلس ختم نجاحة العسكرى لتلك السنة بمساعده بلقاسم بن خليفة وهو شيخ موال للعائلة القرمانلية ، باعادة النظام الى سكان نالوت ، الذين كانوا يتلكأون فى دفع الضرائب ، منذ 1816 (52) .

وهكذا فقد استخدم الباشا فيما بين سنة 1806 و 1817 قوة رهيبة لتحقيق اخضاع منتظم للبلاد فكانت النتيجة تعميم سلطته على جميع الاقاليم الرئيسية لغدامس وفزان وبرقة .

وكان الجيش الذى اسسه سنة 1802 هو الاداة الاساسية التى استخدمت لتحقيق ذلك الهدف وقد تكون ذلك الجيش (53) ليواجه المحاولة الامريكية فى استخدام قوات برية لاعادة محميهم احمد لتولى العرش القرمانلى . وكان يتكون من ثلاث وحدات رئيسية : اولاً القوات الانكشارية ويتركز معظمها داخل بوابات مدينة طرابلس ، وتعسكر حاميات منها فى المراكز الرئيسية للاقاليم والمقاطعات مثل بنغازى ودرنة ومرزق الخ ... وكانت كل حامية منها تحت قيادة آغا ، وكان آغا طرابلس القائد العام وكان هؤلاء الانكشاريون ضباطا مرتزقة ، جندوا من اجزاء اخرى من الامبراطورية العثمانية ، وخاصة من الشرق ، بالاضافة الى المنشقين الاوروبيين ، المماليك (54) .

وتتكون الوحدة العسكرية الثانية ، الى جانب وحدة الانكشارية ، من الخيالة النظامية الذين جندوا من العرب المحليين ، بيد ان ضباطهم من المرتزقة ، تماما كما هو الوضع بالنسبة لوحدة الانكشارية . تشكل الانكشارية وقوة الخيالة الوحدتين النظاميتين لجيش الباشا ، اما الوحدة الثالثة فتتكون من الجنود غير النظاميين الذين جندوا من مناطق مختلفة من البلاد وكانت المليشيات تحارب عادة تحت قيادة مشائخها الذين كانوا خاضعين لقيادة الآغات ، وفى

---

52 AFF. ET. B1, Mure to Talleyrand, 20 April 1818, in C.C.T.B. Tome 34. See also R. Vadala, op. cit., p. 209.

53 ـ انظر : الفصل الثانى إعلاه .

54 ـ تم الحصول على المعلومات المتعلقة بجيش الباشا وتنظيماته من مصادر متعددة ، والتى وجد من اهمها المصادر التالية :

AFF. ET. B1, Mure to Talleyrand, 20 June 1817, in C.C.T.B. Tome 34; F. O. 76/5, McDonough to Pelham, 2 December 1802; *Naval Documents* Vol. 3, p. 61, 4, p. 294 and 6, p. 107; E. Blaquiere, *Letters, etc.*

النهاية لقيادة الباى . ان تلك المليشيات لاتتلقى تدريبا رسميا نظاميا الا نادرا ، وفى تلك الحالة يكون تدريبا محدودا جدا . ويعتمدون على الغنائم التى يتمكنون من الاستيلاء عليها ويعودون عادة الى حياتهم البدوية او الزراعية بعد القيام بخدماتهم العسكرية .

وفى غياب السجلات الضرورية ، يبدو من الصعب اعطاء الرقم المحدد لحجم الجيش الذى استخدمه الباشا لعملية الاخضاع ، خلال الفترة 1806 ـ 1817 . غير انه بالنظر الى حجم البلاد التى تم اخضاعها يبدو ان الجيش كان كبيراً . ويمكن الحصول على مؤشر لذلك من الارقام المتوفرة لسنة 1802 ، عندما اسس الباشا جيشه النظامى اذ كما ذكر آنفا فأن عدد المرتزقة الاتراك وصل الى 1,500 وكانت قوة الخيالة 12,000 وبهذا يبلغ المجموع 13,500 جنديا نظاميا ، فى حين كان عدد غير النظاميين اجمالا حوالى 50,000 شخص (55) .

واذا ماكانت عملية الاخضاع التى قام بها الباشا ، عن طريق جيشه الهائل فيما بين سنة 1806 ـ 1817 قد نجحت بوجه عام ، فما هى اذن طبيعة الجهاز الادارى الذى استخدم لتحقيق السيطرة السياسية اللازمة ؟ لابد وان يشار اولا الى ان ادارة يوسف قد ظلت بالضرورة على ماكانت عليه منذ القرن الثامن عشر ، وخاصة فى عهد على باشا . ويمكن تقسيم هذه الادارة على نحو عام الى قسمين : مركزى واقليمى

تدور الادارة المركزية حول الباشا والديوان (مجلس الدولة) وكان الباشا اعلى سلطة مدنية بالاضافة الى انه قائد عام لجميع قوات الدولة العسكرية . وكان الديوان يقوم بمساعدة الباشا ويتكون من الزعامات العسكرية والبحرية والمدنية والقضائية والادارية . الى جانب رجال الدين الرسميين بالدولة (56) ويرأسه ويليه ولى

55 ـ انظر : الفصل الثانى .

56 ـ كان تحليل لتكوين الديوان ووظائفه مستمداً من عدد من المصادر ، وعلى الخصوص التاليه :

AFF. ET. B!, Guys' 'Memoire sur le consulat de a Republique Française à Tripoly de Barbarie precede-de l'etat historique et politique de cette Regence' as enclosure to his dispatch to Delacroix de Constant, 14 Messidor, 5e A.R., in C.C.T.B. Tome 29; ibid., Naudi to Talley-rand, 2 Germinal, 10e A.R., in C.C.T.B. Tome 31; F.O. 76/18, Warrington to Wilmot Horton, 28 February 1824; E. Blaquiere, op. cit., pp. 87–91, and Miss Tully, op. cit., pp. 16–19 of Dearden's Introduction to the new edition (1957).

العهد ، محمد الذى يحمل لقب الباى . وكان الباى القائد العام لجميع قوات الولايات ، وهو المسئول عن تجميع الجزية والضرائب والمسائل الامنية على وجه العموم . وفى حالة غياب الباشا ، يرأس الباى الديوان ويأتى بعد الباى مباشرة بالنسبة للعسكريين فى الدولة الآغا خليل وكان ضابطا رفيع المنزلة بقوات الباشا الانكشارية ، والتى تصدر بأسمه جميع الاوامر العسكرية . وحيث انه المسئول الرسمى عن الامن فى مدينة طرابلس ، فان الآغا هو القيم على مفاتيح بوابات المدينة وهو فى نفس الوقت عضوا فى الديوان ، بيد ان نوابه او ضباطه لايعتبرون اعضاء . اما نظير الآغا فى البحرية فقد كان رايس البحرية ، سيدى احمد والذى سبقت الاشارة الى مهامة (57) ويأتى بعد الباى والآغا ، رايس البحرية الذى يعتبر الضابط الثالث فى السلطة التنفيذية للدولة .

يعتبر الكيخيا الضابط المدنى الاول ، فى الديوان وهو وكيل الباشا ، ومستشاره الخاص وممثله المدنى ويساعد الباشا فى ادارة اعماله القضائية ، ويشرف على تنفيذ جميع القوانين واوامر الدولة وللكيخيا كرسى دائم فى القلعة ، مقر اقامة الباشا الرسمية بالاضافة الى انه يعتبر رئيس التشريفات والمستشار السياسى والمدرس الخاص لاكبر ابناء الباشا اى الباى وكان الكيخيا الذى تولى هذا المنصب ، خلال معظم عهد يوسف باشا ، منشقا روسيا ، يدعى محمد ، والذى وصفه القنصل الانجليزى ، فى سنة 1824 ، بانة امين مستقيم ورجل عادل وانه محبوب ومحترم بدون جدال (58) ويساعد الكيخيا الكيخيا « الصغير » الذى كان قائد حراس الباشا ، ومسئولاً عن تنفيذ جميع الاحكام العامة ، داخل القلعة . وهناك عضو آخر هام من أعضاء الديوان ، وهو كبير او رئيس الوزراء ، ويختار عادة من بين الضباط العسكريين او من بين ضباط البحرية المحنكين فى شئون الدولة ، فعلى سبيل المثال ، كان رايس البحرية سيدى احمد الذى صعد الى منصب كبير الوزراء . خلال سنة 1809 ، ليحل محل على (59) . واستمر سيدى احمد فى هذا المنصب ، حتى سنة 1826 .

57 ـ انظر : الفصل الثانى اعلاه .

58 F. O. 76/18. Warrington to Horton, 28 February 1824.
59 AFF. ET. B1, Beaussier to Champagny, 7 June 1809; F.O. 76/6, Langford to Castlereagh, 25 May 1809.

كان يشرف على الشئون المالية للدولة اثنان من الموظفين الاول امين خزانة الدولة الخازندار او « امين الصندوق وصرّاف الرواتب ومسئول عن جميع الاموال العامة . بالاضافة الى ذلك فان امين الخزانة يقوم بتسجيل جميع مراسلات الباشا الرسمية ، ويشرف على خدم الباشا العاملين بالقلعة ويساعده فى اعماله الخازندار « الصغير » وهو مسئول فى الاساس عن خزانة الباشا الخاصة .

وهناك عضو آخر هام بالديوان وهو شيخ طرابلس محمد الذى يعتبر مركزه وسلطته مثل عميد البلدية فى أيامنا الحاضرة . ويقوم بمساعدته عدد من القادة وآخر للجالية اليهودية ، وآخر لنقابة بائعى الخمر وثالث للخبازين الخ ... وكان القاضى الحاكم الاسلامى ، والمفتى ، الامام الاكبر ورئيس الدراويش يمثلون اهم الموظفين الدينيين فى الديوان ، ومهمة الاول والثانى مساعدة الباشا فى وضع العدالة الاسلامية موضع التنفيذ ، طبقا للشريعة الاسلامية ، وتدار اعمال الامانة بمكتب الباشا من قبل خوجات « كبار الكتاب » وعددهم حوالى 4 او 5 ، ويقومون بحفظ محاضر جلسات الديوان ويؤدون كافة الاعمال المكتبية الاخرى .

هذا موجز لتكوين الديوان ، مقر انجاز جميع العمليات الحكومية ـ العسكرية والقضايا البحرية والعلاقات الخارجية وقبول البعثات الاجنبية او المبعوثين ومصدر القرارات والاوامر والتراخيص وجوازات المرور الخ ... بيد انه لم يكن للديوان جدول منتظم للاجتماعات ويدعى الاعضاء وفقا لماتدعوه المناسبات وهذا يعنى أن ادارة شئون الدولة العادية ، تقع على عاتق الباشا والموظفين الذين حوله مباشرة ، مثل الباى والآغا ، الكيخيا ورايس البحرية والخازندار .

اما فيما يتعلق بالادارة الاقليمية ، فإن البلاد مقسمة على نحو عام الى ثلاثة اقاليم ـ الاقليم الغربى « طرابلس الغرب » الاقليم الشرقى « برقة»والاقليم الجنوبى (فزان) ويقوم الباشا بتعيين باياً لكل اقليم كممثل مجلس له . ويقوم بمساعدة الباى آغا وهو قائد القوات المحلية النظامية منها وغير النظامية والتى تستخدم احيانا فى اخضاع العناصر المنشقة من السكان ، وفى جمع الاتاوات والضرائب فى اغلب الاحيان ، اذ كان يحضر الخازندار لحملها

سنويا الى الباشا فى طرابلس .

ويلى الباى والاغا فى إلادارة الاقليمية القادة وهم المسئولون عن المقاطعات أو بعض المدن مثل درنة ومسئوليتهم عامة على الادارة القضائية والمدنية فى مناطق سلطتهم القضائية وكان يساعدهم فى تأدية أعمالهم المشايخ الذين ينهمكون فى الاعمال اليومية الادارية المتعلقة بقبائلهم المختلفة وكانوا فى أغلب الاحيان يضعون الضرائب على القبائل وهم المسئولون عن الجمع الفعلى للاتاوات والضرائب على المواشى والمحاصيل الزراعية بالاضافة الى ذلك كان عليهم واجب المحافظة على القانون والنظام بين السكان والواقعين فى دائرة سلطتهم وكذلك القيام بالتجنيد وجمع القوات المحلية لاستعمال الباى بالنيابة عن الباشا .

وعموما لايوجد دليل على أن يوسف باشا أظهر أية رغبة فى اعادة تنظيم الجهاز الادارى الذى ورثه . على الرغم من أنه نجح الى حد كبير فى استخدام نفس الجهاز الحكومى فى تحقيق السيطرة السياسية الهامة على بعض الاقاليم البعيدة مثل برقة وفزان التى تمكن من اخضاعها ، فيما بين سنة 1806 ـ 1817 فانه فشل فى تحقيق نفس الدرجة من السيطرة على المشاكل الاقتصادية ، فى نفس العقد . وقبل أن تناقش هذه القضية بأى تفصيل أكثر يبدو أنه من المفيد اعطاء تحليل مختصر لنمط الاقتصاد العام لطرابلس أثناء هذه المرحلة موضوع الدراسة .

يعتبر اقتصاد طرابلس الاساسى ، اقتصاداً رعوياً وزراعياً (60) وتسود حرفة الرعى على العموم فى جميع ارجاء الاقليم الشرقى ، بالاضافة الى مناطق كبيرة من سهل الجفارة ومن جبل ترهونة فى الاقليم الغربى . وتتركز المناطق الزراعية ، الى حد كبير ، حول المدن الساحلية ، وفى السهول الداخلية ، وهضاب الجبل الغربى والجبل الاخضر فى اقليمى طرابلس الغرب وبرقة على التوالى . فضلاً عن أن الزراعة كانت ومازال تمارس فى الواحات فى مناطق الدواخل مثل واحات الاقليم الجنوبى ، وواحات جالو والجغبوب فى برقة ومع هذا فأن ما يحتاج أن يؤكد عليه هو أنه على الرغم من أن طرابلس مثل بقية شمال أفريقيا كان يشار اليها على أنها « مخزن حبوب روما » فى أيام الرومان ، فأنها ظلت أثناء هذه الفترة موضوع

60 See S. G. Wilmot and J. I. Clarke, eds. *Field Studies in Libya* (Research Paper Series No. 4, 1960, Dept. of Geography, University of Durham) for various article on Libya's soil and water resources, forestry, agriculture and nomadism. See also *A Handbook on Cyrenaica* various authors, (Printing and Stationery Service. M.E.T. Cairo, 1944).

الدراسة فى الأساس ، فقيرة وبصورة عامة فى مستوى الاكتفاء الذاتى . ولايعد هذا مدعاة للدهشة فى ضوء البيئة الطبيعية الجافة للبلاد حيث أن 90٪ من الارض صحراوى - وأن العوامل المناخية للامطار الشاذة والقليلة مقرونة بالجفاف المتكرر مرتين فى كل عشر سنوات والنتيجة لكل ذلك تتمثل فى الضرائب المحدودة التى بأمكان الباشا أن يتحصل عليها من الاقاليم ، حيث أن تلك الضرائب تحدد جزئيا على أساس الانتاج الزراعى للسكان .

ان المظهر الثانى لاقتصاد طرابلس هو التجارة (61) وتعتبر التجارة عموما من نوعين : النوع الاول هناك التجارة مع أوربا ، حيث أن الانتاج الزراعى والرعوى مثل الشعير والقمح والتمور والسنا والزيتون والمواشى والجمال والغنم والماعز والجلود الخ ..... كانت تقايض بالاسلحة ، والذخيرة والحرير والاقمشة الكتانية والقطنية وورق الكتابة والنظارات ، وغيرها من السلع الصناعية الاخرى . أما النوع الثانى من تجارة طرابلس فهو تجارة عبر الصحراء (62) والتى أتخذت فى طرابلس صفة تجارة العبور .

هناك مظهران يجب أن يوخذا بعين الاعتبار عند تقييم دور التجارة فى الاقتصاد العام لطرابلس . المظهر الاول فى كونها مكيفة وفقا للتوريد والتصدير وهذا يعنى أنها عرضة للعوامل الخارجية فهى رهن للاوضاع المواتية المصاحبة لها . فعلى سبيل المثال ، وفى وقت الازدهار ، مثل وقت حروب نابليون عندما حولت طرابلس الى مصدر لمؤن القوات الانجليزية المعسكرة فى مالطا ، كانت الصورة التجارية لطرابلس صورة مشرقة كما أشير اعلاه (63) أما المظهر الثانى للتجارة الطرابلسية فهو اعتمادها كثيرا على الاقتصاد الزراعى والرعوى . فاذا ماتغير موقع النشاط الرعوى نتيجة لظاهرة طبيعية كالجفاف مثلا أو اضطراب سياسى نتيجة لثورات السكان بالدواخل فإن المستوى العام للزراعة والمنتجات الرعوية ينقص عن الواردات فيفسح المجال لعجز تجارى .

ولتفادى الفشل فى الاقتصاد الزراعى والتجارى ومواجهة الاحتياجات

---

61 AFF.ET.B[1], Guys to Delacroix de Constant, 14 Messidor 5[1] A R, enclosing 'Memoire sue le commerce de Tripoly de Barbarie, in C.C.T.B. Tome 29. Also ibid. Froment Champlagarde (Vice-Consul, Tripoli), 'Observations sur la Commerce de Tripoly de Barbarie', dated 13 Pluviose, 10e A.R. in, C.C.T.B. Tome 31.

62 - انظر : المصدر السابق ، وايضا الفصل الخامس من :

63 - انظر : الفصل الثانى اعلاه .

المالية التجأ الباشا الى عمليات القرصنة كمصدر للدخل السياسى فبمساهمة هذا النمط من الدخل بالنسبة للمصادر العامة للاقتصاد المتوفر لدى الباشا ، فى الفترة مابين 1715 ــ 1805 قد تم عرضها بوضوح (64) وظلت تلك المساهمة هائلة حتى القضاء على القرصنة فى حوض البحر المتوسط عند نهاية الحروب النابليونية فى أوربا .

ومن الممكن الآن وبهذه الخلفية أن تتم مناقشة مشاكل الباشا الاقتصادية والحلول التى حاول اتخاذها ، أثناء العقد 1806 ـ 1817 مناقشة كاملة . لقد كان الباشامهتما فى الاساس بالتجارة والقرصنة فى حين لايتلقى الاقتصاد الزراعى الا اهتماماً محدوداً جدا وفى الحقيقة ، لم تكن هناك الا محاولة واحدة ، أثناء العقد لزيادة الانتاج الزراعى للبلاد ففى نهاية سنة 1809 ، وكنتيجة لانعدام الامطار ، أصبحت مصادر الغذاء ومحاصيل التصدير فى طرابلس (65) ــ التمور والشعير والزيتون والقمح وجذور نبات الغوة (الدباغ) الخ .... نادرة تماما . وكانت ردة فعل الباشا ، ومحاولته فى مطلع سنة 1810 البحث عن محاصيل جديدة تكون ذات قيمة تجارية ، وبهذا تساهم فى زيادة صادرات طرابلس التجارية . ولذا قرر استخدام زراعة القطن فى البلاد (66) وأرسل الى مالطا فى طلب بذور القطن وطلب خبراء لارشاد السكان لزراعة المحصول . وتعاقد مبعوث الباشا التجارى بالجزيرة السيد جايتانو شيميرى مع مالطى آخر يدعى لوريتزوبيس فتم توفير البذور وارسال أثنين من المرشدين من جزيرة جوزو ومع ذلك لم ينتج كثير عن هذه المحاولة حيث أنه بحلول عشرينيات وأوائل ثلاثينيات القرن التاسع عشر لم يصل انتاج القطن الى أية كميات تجارية وأستمر استيراد القطن من مصر (67) وفى نفس الوقت تقريبا ، حاول الباشا استقدام زراعة اشجار التوت من أجل انتاج الحرير إلاّ أن الاهتمام بها قد مورس فيما بعد على نحو محدود ، وأستمرت طرابلس فى اعتمادها على الحرير من الشرق وتريستى .

وحيث أن الزراعة بقيت خارج خطته ، فقد ركز الباشا خلال هذا العقد ، على مصادر الدخل من التجارة والقرصنة . وكما أشير أعلاه فأن الوضع

---

64 ــ انظر : الفصل الاول اعلاه .

66 ــ المصدر السابق . وايضا .

67 ــ انظر : عائدات التجارة ل 31 مارس 1830

Warrington to Hay, in F. O.76/28. Also F. O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822.

الدولى للحروب النابليونية قد أوجد بعض التوسع فى تجارة طرابلس مع مالطا (68) واستمرت هذه التجارة وتشمل فى معظمها تجارة المواشى ، فى الزيادة كما يتضح من نظرة الى العائدات السنوية التى ستعرض فيما بعد (69) فتم تصدير 698 رأساً من الماشية خلال سنة 1806 الى الجزيرة وارتفع الرقم خلال سنة 1808 ، أى بعد سنتين الى 1396 رأسا . وكانت الصادرات خلال سنة 1809 كما يلى : 1901 ثور ، 768 رأسا من الغنم ، 36 حصانا و 13 بغلا . أما خلال السنة التالية فقد قدر القنصل البريطانى العام الرقم بحوالى 3,000 بالاضافة الى أن التجارة لم تستمر فى النمو فحسب ، وأنما درت أرباحا كبيرة فعلى سبيل المثال ، يدفع ثمن رأس الماشية فى طرابلس حوالى 17,5 دولارا ، فى سنة 1807 ويباع فى مالطا بضعف تكاليفه وفى سنة 1811 كان الثمن فى طرابلس حوالى 18 دولاراً وفى الجزيرة حوالى 40 دولارا (70) بربح اجمالى يبلغ حوالى 122٪ .

ومع هذا كانت مشكلة الباشا ، تكمن فى كيفية زيادة ارباحه الى الحد الاعلى ، من هذا القطاع لتجارة طرابلس الخارجية . وكان هذا سهلا من خلال الاحتكار العملى ، الذى يمارسه على التجارة فى الفترة حتى نهاية الحرب الامريكية ، بيد أن الاحتكار ، فيما بعد قد فقد نتيجة لبدءالمالطيين المشاركة فى تجارة البلاد (71) . اذ كان لهؤلا المالطيين الحق ، لكونهم رعايا انجليز ، فى حرية التجارة فى طرابلس ، طبقا للمعاهدة الانجليزية ـ الطربلسية لسنة 1751 (72) ولاقتحام المالطيين لتجارة طرابلس مالطا فى المواشى نتائج بعيدة المدى حيث تسبب فى الارتفاع التدريجى للجالية المالطية فى طرابلس . أما الاثر المباشر فيتمثل فى انخفاض ارباح الباشا من تلك التجارة ، كما اشتكى الباشا نفسه الى القنصل البريطانى فى مطلع سنة 1806 (73) .

زاد الباشا ضرائب التوريد على النبيذ والمشروبات الكحولية ، ليعوض

68 ـ انظر : الفصل الثانى اعلاه .

69 ـ تم جمع هذه العائدات من مراسلات متعددة للقنصل البريطانى ، فى طرابلس الى المكتب الاستعمارى فى :

70 F.O. 76/6, Langford to Castlereagh, 13 October 1807; E Blaquiere, op. cit., p. 51.

71 F.O. 76/7, Langford to Lt. Col. Gordon, 25 September 1810.

72 ـ فيما يتعلق بنسخة من الاتفاقية ، انظر : وتوجد فى هذه الدراسة كملحق رقم 1 . وتوجد لها ترجمة عربية عن الاصل التركي فى كتاب عمر على بن إسماعيل ،، إنهيار الاسرة القرمانلية ،، صفحات 374 ـ 380 ، وثيقة رقم 2 ، بتاريخ 29 شوال 1164 ، (20 سبتمبر 1751) .

73 F.O.76/6, Langford to Castlereagh, 7 January 1806.

عن خسائره من تجارة طرابلس ـ مالطا ، فكانت مثل تلك الزيادة ضربة شديدة للمالطيين . كان الباشا يحتكر تقليديا استيراد النبيذ والمشروبات الكحولية ، بيد أن ذلك الاحتكار يدخل عادة تحت نظام التعهد (74) لبعض التجار الطرابلسيين لقاء دفع مبالغ نقدية ومع ذلك فقد فرض ثمنا عاليا جدا للتعهد الذى منحه لاحد التجار اليهود (75) وبالتالى كان التاجر اليهودى هو الذى رفع الرسوم على النبيذ المستورد الى 3,5 دولار للبرميل وعندما احتج القنصل البريطانى ضد هذا الاجراء على اساس أن الرسم الجديد أكثر من الـ 3٪ ، التى اتفق عليها فى معاهدة سنة 1751 ، تدخل الباشا مباشرة ، ووضع جدولا جديداً لرسوم الاستيراد ، على انواع مختلفة من النبيذ والمشروبات الروحية فكانت كما يلى : ـ

برميل من نبيذ البندقية ـ 5 دولارات .

برميل من المشروبات الروحية ـ 12 دولاراً .

برميل من المسكر القياسى البراندى الروم 7 دولارات

يشترط دفع هذه الرسوم ، بالاضافة الى الـ 3٪ المعتادة التى تسمح بها الاتفاقية أصدر الباشا ، فى سنة 1806 نفسها بالاضافة الى الرسوم الجديدة قانوناً تجاريا آخر يقضى بضرورة تصدير التمور الى جزيرة مالطا ، من خلال المتعهد الرسمى فقط الذى سيدفع للباشا سنويا مبلغا ماليا أجماليا لقاء هذه التمور . وزاد الباشا ، خلال السنة التالية ، رسوم الميناء على جميع السفن الاوروبية وسفن التجار ، التى تدخل ميناء طرابلس من 2 دولار الى 5,5 دولار . وأعلن فى سنة 1810 رسما جديدا على كل رأس من الماشية يصدر الى جزيرة مالطا (76) وخلال السنة ذاتها ولضمان ادارة فعالة لكامل النظام الرسومى عموما ، قام ببعض التغييرات الادارية على المستوى الشخصى ، وعين صهره مصطفى قرجى أمينا لصندوق رسوم جديد (77) .

---

74 ـ إن ابالتو Appalto بالايطالية تعنى « استئجار » أو عقد مع الحكومة من أجل خدمة معينة .

كان مصطفى قرجى عبدا من أصل جورجى (Giorgian) لقد تم شراؤه من القسطنطينية من قبل سيدى احمد ، رايس بحرية طرابلس حتى سنة 1809 ، وهو الآن رئيس الوزارة واشتهر مصطفى نفسه بطرابلس بسرعة ، جزئيا بسبب علاقة المصاهرة مع الباشا . واحتل المركز الثالث فى الاهمية بايالة طرابلس ، حيث تولى رئيس عائدات الجمارك ـ أنظر

75 F.O. 76/6, Langford to Castlereagh, 7 January 1806.

76 F.O. 76/6: Langford to Castlereagh, 7 January 1806; Langford to Windham, 26 December 1806; Langford to Liverpool, 3rd November 1810 and 17 May, 1811.

77 F.O. 76/7, Langford to Liverpool, 3 November 1810;

ومن الصعب وضع تقييم دقيق لأثر قوانين الباشا على الرسوم والتجارة المختلفة حيث لم تكن هناك عوائد رسوم . بيد أن هذه الاجراءات عموما ساعدت الباشا على زيادة دخله التجارى . فعلى سبيل المثال ، أشار ضابط بحرية بريطانى ، يدعى الملازم بلاكوييرى أثناء زيارة لطرابلس فى سنة 1811 ، الى أن التعهد السنوى على استيراد النبيذ والمشروبات الكحولية فقط ، قد جلب دخلا للباشا بلغ 20,000 دولار (78) . وكانت المشكلة الحقيقية تدور حول الاجراءات المختلفة اذ لم تكن الامور لتسير على نحو سلبى دون اعتراضات أو تنازلات من الحكومة على سبيل الوصول الى تهدئة أواتفاق . فأستمر القنصل البريطانى فى احتجاجه ضد تلك الاجراءات على أنها انتهاك لبنود اتفاقية سنة 1751 والتى هى كما أشير أعلاه (79) تقضى بحق التجارة الحرة لجميع الرعايا البريطانيين وتجدد الحد الاعلى لجميع رسوم الاستيراد بـ 3 ٪ .

كان الذى يخيف الباشا حقا أكثر من احتجاجات القنصل ، وجود البحرية الانجليزية فى حوض البحر المتوسط التى اعتادت الحكومة الانجليزية تخويفه بها بانتظام فتضطره الى الغاء قوانينه التجارية . وفى نهاية سنة 1807 ، على سبيل المثال ، قدم القنصل الانجليزى الى الحكومة مسودة عقد تجارى ، يصدر الباشا الى مالطا وفقاله عدد 3,000 رأس من الماشية سنويا بسعر 17,5 دولار للرأس الواحد [80] وهذا الاجراء سيعيد للباشا قسما كبيرا جدا من تجارة مالطا ، مما يساعد فى زيادة دخله ؛ ولكن الحكومة الانجليزية لم توافق على العقد ، وأمرت قنصلها بأخبار الباشا «أن يسمح بأن تستمر التجارة جميعها ، فوق أراضيه محابية كما كانت سابقا [81] واذا ما حاول الباشا بناء على ذلك ان يحتفظ بقوانينه التجارية الجديدة القاسية فان على القنصل آنذاك وعن طريق المندوب المدنى لمالطا وقائد الاسطول فى البحر المتوسط اللورد كولينجوود والذى سوف ،

يتخذ مثل تلك الاجراءات الفورية، التى يعتقد فى صحتها، لدعم اعتراضاتكم واحتجاجاتكم [82] ـ

79 ـ انظر الصفحة السابقة من هذه الدراسة .

80 F.O. 76/6, Langford to Castlereagh, 13 October 1807.
81 F.O. 160/35, Castlereagh to Langford ,7 April 1808.
82 Ibid.

ومرة اخرى عندما فرض الباشا ضريبة جديدة على تصدير المواشى الى مالطا احتج القنصل البريطانى وابلغ حكومته والسلطات البحرية فى مالطا وكانت اجابتهم احضار لجنة مفوضة بحرية التصرف الى طرابلس فى السنة التالية حيث وصل يوم 11 مايو 1811 قائد السفينة توباز وهو الكابتن هوب وأ.بلاكويرى . قائد السفينة اورتنسيا الى طرابلس[83] وفى اليوم التالى كان لهما لقاء مع الباشا وديوانه ثم قرئت رسالة السيد تشارلز كوتن رئيس اركان اسطول البحر المتوسط بمالطا يحتج فيها ضد المكوس الجمركية الجديدة التى فرضها الباشا على تجارة المواشى كخرق للمادة 28 من اتفاقية سنة 1751 كما تم شرحها بعدئذ من قبل هـ. هوب .

واجاب الباشا مبررا قراره مما يأتى : اولا ان المادة المذكورة «تشير الى المساعدات المؤقتة والى الحامية البريطانية فقط والذى ليس له ادنى اعتراض على تمويلها[85] غير ان التصدير العام قد اضعف دخله[86] ثانيا هناك خسران اضافى فى الدخل من جلود الحيوانات المصدرة الى مالطا وتعود ملكية هذه الجلود للباشا طبقا للتقاليد بصفته حاكم طرابلس . ثالثا ، ان جارتيه الجزائر وتونس لن يسمحا بتصدير أية مواش من بلديهما محاولا ان يلمح بأنه يقدم بذلك معروفا للانجليز بالسماح بالتصدير وان سلطان المغرب يفرض 12 دولارا عن كل رأس من الماشية يصدر من مملكته واخيرا اعتبر نفسه محقا بالمكس الجمركى وقدره 6 دولارات عن كل ثور وذلك من اجل تحسين دخله[87] .

ان حجة الباشا قوية بيد انها لا تستطيع الصمود امام تهديد القوة المتضمن فى اجابة القبطان هوب :

بأسم صاحب الجلالة ، اظل عنيدا ، ولاننى
امتلك تفويضا (قيادة الاسطول)

---

84 ـ فيما يتعلق بالاتفاقية ، انظر : الحاشية 72 . تعتبر المادة 28 منها مبهمة جداً .

85 W.O. 1/726, Henry Hope to Sir Charles Cotton, 16 May 1811.

86 ـ المصدر السابق .

87 W.O. 1/726, Henry Hope to Sir Charles Cotton, 16 May 1811
كان الرسم 5 دولارات وليس 6 دولارات . انظر :
Langford's despatches, of 3 November 1810 and 17 May 1811, to Liverpool. F.O. 76/7.

88 W.O.1/276, Henry Hope to Sir Charles Cotton, 16 May 811.

فأن فرض مثل هذه المكوس لا يمكن القبول به[88]

استمر هذا العامل ـ الوجود البحرى البريطانى فى المتوسط ـ فى اعاقة السياسة الاقتصادية للباشا بان جعل من الصعب عليه زيادة دخله ليس فقط من تجارة جزيرة مالطا ولكن ايضا من عمليات القرصنة وليس من الممكن تقدير مجموع دخله من هذا المصدر على نحو دقيق حيث توجد فجوات فى الاحصائيات المتوفرة حول قيمة العديد من الاشياء التى تم الاستيلاء عليها خلال تلك الفترة مثلا من البرتغال والنمسا واليونان العثمانية فى سنة 1808-1815 [90] الا ان الارقام المتوفرة تشير الى ان القرصنة قد ظلت فى ذلك العقد كما كانت فى العقد الاخير مصدرا هاما من مصادر الدخل الطرابلسى واستمرت هولندا والدانمارك والسويد فى دفع رسومها المالية السنوية والتى بلغ مجموعها 18,000 دولار وفى حالة عدم الايفاء بالتزاماتهم يواجهون العقوبة ويعرضون سفنهم لعمليات القرصنة. فعلى سبيل المثال فقد بلغت قيمة ماتم اسره من جميع السفن الدانماركية 600,000 دولار، فى سنة 1815 . وفى السنة نفسها ومن اجل ان تعيد اقامة اتفاقيتها مع طرابلس دفع الهولنديون للباشا مبلغ 60,000 دولار بالاضافة الى الرسوم السنوية القائمة والتى تبلغ 5,000 دولار[91] تدر البحرية بصرف النظر عن دخلها من المصادر المشار اليها اعلاه دخلا آخر من الدول الاوروبية الاخرى ففى سنة 1816 ـ 1817 ، على سبيل المثال ، دفعت سردينيا للباشا 4,000 دولار لتوقيع معاهدة علاقات طيبة مع طرابلس[92] وبذلك تضمن تدفقا آمنا لتجارتها بالبحر المتوسط . وهناك ايضا صقلية حيث كان لها فى سنة 1809 ـ 123 اسيرا صقليا ونابوليا فى طرابلس تم افتداؤهم بحوالى 300 دولار للشخص الواحد[93] . بدأت صقلية من اجل اطلاق سراح هؤلاء الاسرى ومن اجل ضمان سفنها

83 F.O. 76/7, Langford to Liverpool, 3 November 1810, and to Lt. Col. Gordon, 31 October 1810; Langford to Liverpool, 17 May 1811.
89 F.O. 76/7, Langford reporting Captain Hope to Liverpool, 17 May 1811.
90 See F.O. 76/6 ,Langford to Castlereagh, 13 & 20 October, and 16 November 1808; 4 and 30 March, 25 May and 4 September 1809. Also F.O. 76/7, Langford to Castlereagh, 11 May 1810, and Langford to Liverpool, 27 August 1811. F. O. 76/9, Warrington to Bathurst, 16 February 1815.
91 F.O. 76/9 ,Warrington to Bathurst, 2 October and 20 November 1815; AFF.ET.B[1], Mure to Talleyrand, 5 September 1816, in C.C.T.B. Tome 34.
92 C.O. 2/6, 'Admiral Lord Exmouth's Mission to the Barbery States, 1816: Abolition of Christian Slavery.'
93 F.O. 76/6, Langford to Alex. Ball, 23 August 1809 as end, in Langford

التجارية فى حوض البحر المتوسط فى التفاوض لاقامة سلام مع طرابلس وكانت بريطانيا ايضا مهتمه بتحقيق ذلك من اجل ضمان تدفق متواصل لامدادات قواتها المعسكرة فى صقلية ولذا ففى سنة 1811 اصدر السيد الكساندر بول المندوب المدنى البريطانى فى مالطا تعليماته للقنصل البريطانى فى طرابلس للبدء فى المناقشات من اجل اقامة سلام مع طرابلس . ووافقت صقلية فى نهاية الامر فى مايو سنة 1812 على دفع مبلغ 10,000 دولار كدفعة مبدئية للباشا وان تقدم مبلغ 28,00 دولار بقية الرسوم بعد مضى ستة اشهر[94] ان الفشل فى الايفاء بذلك الوعد يعنى ان السفن الصقلية ستظل فى مواجهة هجومات القراصنة الطرابلسيين ومع هذا وكنتيجة لمفاوضات اضافية جرت اثناء سنتى 1816 ، 1817 من خلال تدخل حكومة بريطانيا تلقى الباشا 50,000 دولار كفدية عن 414 اسيرا و4,000 دولار اضافية «كهدايا قنصلية» مقابل اقامة سلام بين طرابلس ومملكة الصقليتين[95] .

وهكذا يبدو جليا من هذه الارقام ان الدخل الذى تدره البحرية يمكن ان يساعد الباشا الى حد كبير فى مشاكله الاقتصادية ولكن العقبة الرئيسية كما اشير اعلاه كانت تتمثل فى القوة البحرية الانجليزية والذى كان يقع دائما تحت تهديدها حدث مثل ذلك التهديد فى مطلع سنة 1811 عندما امر الباشا بأخراج صاحب حانة مالطى صعب المراس من طرابلس فاحتج القنصل البريطانى وتطور سوء التفاهم بينه وبين الباشا فعلق القنصل مهامه الدبيلوماسية وكتب تقريرا الى حكومته حول الموضوع فأبدت الحكومة استعدادها لاستخدام القوة البحرية ضد طرابلس وفى تعليماتها الى امارة البحر طلبت وزارة الحربية تحقيقا على ان يتبع اذا ماكان ضروريا : مثل تلك الاجراءات الحاسمة التى سترجع الباشا الى تقدير قوتنا

94 AFF.ET.B[I], Beaussier to Maret, 22 April and 18 July 1812, in C.C.T.B. Tome 33. Also F.O. 76/8, P. Wilkie (Pro-Consul, Tripoli) to Liverpool, 6 April 1812, and to Rear Admiral Laugharne, 13 November 1812.

بخصوص نسخة من الاتفاقية ، انظر : قسم المتفرقات من هذا المجلد الخاص بالمراسلات .

95 C.O. 2/6, 'Admiral Lord Exmouth's Mission. . .'; AFF.ET.B[I], Mure to Talleyrand, 8 May 1816, in C.C.T.B. Tome 34.

96 - انظر : ص 64 اعلاه .

كما ينبغى وتقنعه بأن مصالح وسلامة طرابلس تتعارض مع تجاهل الصداقة والتصرف المتسم بالاحترام الذى تعهد بهما تجاه بريطانيا العظمى[97].

لقد وردت نفس الاشارة بالتهديد فى تعليمات الحكومة الى وليام كورت فى مهمته لطرابلس خلال سنة 1813 ، أى بعد سنتين كما سيرى ادناه[98].

كان اثر الخوف الذى يشعر به الباشا تجاه بريطانيا[99] سيجعله يفقد جزء هائلا من القرصنة خلال ذلك العقد لأنه غالبا ما يجبر على الرضوخ لمطالب بريطانيا حيال التعويض وتقع هذه الطلبات تحت قسمين عامين : الاول ، هناك تلك التى تظهر من سوء الاستغلال العام للقوة البريطانية فى البحر المتوسط من قبل مواطنى الدول الاوروبية الاخرى فعلى سبيل المثال أى شخص قد منح جواز سفر بريطانى ذات مرة أو اقام لبعض الوقت ولو كان قصيرا فى أى اقليم تحت الحماية البريطانية مثل جبل طارق ومالطا والجزر الايونية الخ ... يدعى بأن يكون من الرعايا البريطانيين وعلى هذا يطلب التعويض عن ممتلكاته حتى ولو اخذت من سفينة بلد لم تكن ترتبط بمعاهدات مع طرابلس .

كانت اكثر هذه الحالات تقليدية حالة يهودى مغربى يدعى ابراهام عبد الرحمن لقد اقام عبد الرحمن طويلا فى ازمير ومنها قام بالتجارة على البحر الادرياتيكى[100] وبصرف النظر عن انه ولد من (ابوين مغربيين) فى جبل طارق فانه لم تكن له علاقة تذكر بجبل طارق او مع ما يقع تحت حماية بريطانيا وكان يفضل نقل بضائعه على سفن عثمانية لرخص تكاليف النقل عليها . وكانت احداها «مادونا دى ادرا» تحت قيادة «جيوفانى دى جياكومو» اسرت من قبل قرصان طرابلس يوم 30 ابريل عام 1810 على بعد من صقلية[101] وكان جزء من حمولتها وديعة 200 بالة من القطن لعبد الرحمن فتقدم بطلب للتعويض عنها عن طريق المندوب المدنى لمالطا

97 ADM. 6/152: Lt. Col. Bambury to Admiralty, 15 February 1811.
98 See below, p. 70-71.
99 F.O. 76/9, Warrington to Bathurst, 10 December 1814.
100 C.O. 2/4, William à Court to Bathurst, 3 October 1813.
101 F.O. 76/7, Langford to Liverpool, 20 February 1811, enclosing 'Abuderhams' deposition at the British Consulate, Tripoli, 18 February 1811.

فرفض الباشا طلبه على اساس انه مغربي المولد وان بوليصة الشحن لم تذكر انه احد الرعايا البريطانيين فذهب عبد الرحمن شخصيا للباشا فى فبراير عام 1811 ولكنه فشل فى اثبات ادعائه بانه من الرعايا البريطانيين[102] ودهش الباشا عندما سمع بعد سنتين من وليام اكورت وهو مبعوث بريطانى خاص لبلاطه واثيرت قضية عبد الرحمن مرة اخرى واتضح ان عبد الرحمن منح فيما بعد شهادة من نائب محكمة امارة البحر بمالطا تفيد بانه كان من ساكنى جبل طارق واجاب الباشا فى النهاية بانه سيمنح عبد الرحمن 800 طن من الملح و500 قنطار من الغسول وتصدير 400 من الغنم معفية من المكوس مقابل تسوية كاملة لادعائه بـ16,000 دولار[103] . ان النقطة الهامة حول قضية عبد الرحمن تكمن فى انها تعتبر قضية مريبة وان وليام اكورت نفسه قد اعترف بهذا سرا فى تقريره الى وزير المستعمرات[104] ولكن الباشا اجبر ببساطة على تحمل هذه الخسارة بسبب خوفه من قوة بريطانيا .

وهناك ادعاءات مريبة اخرى تتعلق بجوازات العبور فى البحر المتوسط . كان اصدار هذه الجوازات للسفن غير المصرح لها من اجل الكسب المادى ، وكانت عملا مألوفا لدى بعض القناصل الانجليز فى موانىء البحر المتوسط واستمرت هذه الممارسة «الشائنة للتصرف البريطانى» فى القرن التاسع عشر[105] وفى سنة 1813 على سبيل المثال ارسل بلاكويرى من البحرية الملكية تقريرا من مالطا حول الـ :

> السهولة البالغة التى كان بها الاجانب
> من كل صوب ، قد مكنوا من تدبر امر
> جوازات عبور البحر المتوسط[106] .

وتلقى الباشا خلال هذا الوقت العديد من تذمرات قباطنة قراصنته حول الصعوبات التى تواجههم فى محاولة التمييز بين جوازات العبور الاصلية والمزورة وتكررت هذه المشكلة فى الغالب مع

---

102 F.O. 76/7, Langford to Liverpool, 31 October 1810, and 20 February 1811.

103 C.O. 2/4, William à Court to Bathurst, 3 October 1813.

إن الغسول (Barilla) نبات (Salsola Soda) تنتج عنه مادة قلوية غير نقية عندما يحرق . ويستخدم فى صناعة الصودا والصابون والزجاج . القنطار Quintal يعادل 112 رطلا ، ويساوى الرطل 12 أوقية ـ انظر :

104 C.O. 2/4, William à Court to Bathurst, 3 October 1813.

105 G. A. Fisher, op. cit., p. 327.

106 ـ المصدر السابق ، مقتبسا عن

سفن جنوا وارتاب القنصل البريطانى فى طرابلس فى البداية من هذه التذمرات التى عزاها الى عدم الثقة المألوفة التى يتسم بها الناس فى ذلك البلد ولكنه اجبر هو نفسه فى عام 1815 على ان يعترف فى تقريره الى ضابط العسكرية البريطانية المسئول عن صقلية بأن لديه الدليل القاطع على ان نظيره فى جنوا قد باع 500 جواز عبور انجليزى بقيمة 30 دولارا لكل منها[107] .

ان المشكلة التى واجهت الباشا هى انه اخيرا فى سنة 1814 عن طريق ج . دلريميل القائد العام فى اقاليم جنوا عرف بأن جنوا كانت محتلة من قبل القوات البريطانية وعليه فان للجنويين الحق فى الحماية البريطانية[108] فى الملاحة الآمنة لسفنهم التجارية فى البحر المتوسط . بيد انه قبل استلام هذه المعلومات اسر قراصنة طرابلس بعض السفن الجنوية وكان يوجد 62 اسيرا فى سنة 1815 بطرابلس (109) وعلى ضوء التزوير فى جوازات العبور اعتبر الباشا عمليات الاسر شرعية ومن ثم رفض اطلاق سراحهم دون اموال الفدية المعتادة كما رفض ايضا اعادة دفع مبلغ الـ20,000 دولارٍ التى طلبت مقابل احدى الحمولات التى تم تأميمها .

نكس القنصل البريطانى كاجابة على ذلك العلم البريطانى ليشير الى ان طرابلس قد فقدت الصداقة البريطانية وقرر الباشا ان يطلق سراح نصف الاسرى نتيجة الخوف من زيادة الانتقام عن طريق استخدام القوة البحرية من قبل البريطانيين وطالب بافتداء النصف الباقى وعلى الرغم من ذلك فعندما ارسل رئيس الاركان البريطانى فى البحر المتوسط سفينة حربية تحت قيادة برجز الى طرابلس[110] لم يكن امام الباشا خيار الا الاذعان وتحمل الخسارة اما النمط الثالث من الادعاء المشكوك فيه الذى اقيم ضد الباشا ، فقد حدث عن

---

107 F.O. 76/9, Warrington to Lord Bentick, 2 June 1815.

108 ـ المصدر السابق : من وارنجتون Warrington الى باثورست Bathurst ، 10 ديسمبر عام 1814 ، وبها رسالة جيمس دالرمبل James Dalrymple بتاريخ 3 سبتمبر 1814 ، من جنوة .

109 F.O. 76/9, Warrington to Maitland (Governor of Malta), 28 June)1815; AFF.ET.B.1, Delaporte to Talleyrand, 28 August 1815, in C.C.T.B. Tome

110 ـ المصدر السابق .

طريق التواطؤ بين الموظفين الانجليز وتجار الدول التى ليس لها اتفاقيات مع طرابلس ، والتى تعتبر ممتلكاتهم بذلك عرضة للقرصنة .

يستخدم هؤلاء التجار احيانا اسم تاجر بريطانى فى جبل طارق او فى مالطا على بوليصة الشحن ، وبهذا يتمكنون من الادعاء بأن البضاعة بريطانية فى حالة اسرها من قبل قرصان طرابلس . جاء مثل ذلك الادعاء من السيد ساريل وهو تاجر بريطانى فى القسطنطينية وذلك عندما اسر الرايس على « كلباش » احد قباطنة القراصنة الطرابلسيين يوم 22 يونية عام 1811 بالقرب من سانتورينو سفينة يونانية ، محملة بالحديد والنبيذ[111] وكانت قيمة النبيذ حوالى 4,206 دولارات ، وقيل انه ملك لبعض التجار اليونانيين الذين تحالفوا فيما بعد تحالفا غير رسمى مع ساريل ، حتى يقوم بأدعاء ملكيته للنبيذ وانه مرسل لتوماس وشركاه بمالطا .

وعندما طلبت هذه الشركة التعويض عن النبيذ بصفته ، ممتلكات بريطانية ، جادل الباشا بأن النبيذ انما هو فى الحقيقة ملك لبعض التجار اليونانيين فهم ليسوا انجليزا بل رعايا عثمانيين وثانيا وان السفينة فشلت فى ابراز بوليصة شحن ، تبرهن بشكل حاسم على ملكية النبيذ[112] ومع ذلك فأثناء المفاوضات مع وليام اكورت ، فى سنة 1813 ، تمت اثارة هذا الادعاء مرة اخرى . وعبر الباشا عن شكه القاطع فى صحة ادعاء ساريل . ورغم هذا ، وكما كان الوضع مع عبد الرحمن ، ارغم الباشا بسبب خوفه من قوة البحرية البريطانية على الموافقة لدفع 4,000 دولار لتسوية موضوع الادعاء[113] .

كانت هذه الادعاءات المتعددة التى تأتى كنتيجة لسوء استغلال القوة البريطانية سببا فى تناقص دخل الباشا بالاضافة الى ان التأثير البريطانى قد مورس ايضا فى طلبات تعويض اصلية ، والتى سببت فى ازدياد تناقص دخل الباشا من البحرية ، خلال هذا العقد . وكنتيجة لنجاحات بريطانية ، فى سنة 1807 ــ 1814 ، ضد فرنسا

111 F.O. 76/7, Langford to Liverpool, 27 August 1811.
112 Ibid., Langford to Liverpool, 9 November 1811.
113 C.O. 2/4, William à Court to Bathurst, 3 October 1813

النابليونية[114] . اصبحت الحامية للعديد من البلاد الاوروبية ، مثل الصقليتين 1806 والجزر الايونية (1809) وسردينا ونابولى ، واى حليف لاسبانيا والبرتغال والنمسا وهكذا نقص المدى الذى تستطيع القرصنة الطرابلسية ان تعمل فيه باستخدام بريطانيا لنفوذها ، للحصول على ملاحة مضمونة فى البحر المتوسط لتوابعها وحلفائها ، فعلى سبيل المثال ، فقدت النمسا ، فى سنة 1808 ـ 1809 حوالى 4 سفن من قبل قراصنة طرابلس[115] دون ان تطالب بريطانيا بالتعويض عنها . بيد انه فى سنة 1814 ومع التحالف الانجلو ـ نمساوى ضد نابليون ، طالب القنصل البريطانى فى طرابلس وتحصل على اطلاق سراح سفينتين نمساوتين اسرتا فى ذلك الوقت مع بحارتهما 15 شخصا[116] والذى كان مجرد افتدائهما فقط ، سيجلب للباشا حوالى 4,500 دولار مقابل 300 دولار للشخص الواحد . وخسر الباشا ماليا ، على نحو مشابه ، فى سنة 1813 كنتيجة للعلاقات البريطانية مع اسبانيا . اذ كان المرور التجارى الاسبانى فى البحر المتوسط منذ سنة 1809 عرضة لهجومات منتظمة من قبل طرابلس[117] كأجراء لاجبار اسبانيا على الايفاء بوعدها الذى قطعته على نفسها ، فى سنة 1800 لمنح الباشا 40,000 دولار نقدا واسلحة بقيمة 50,000 دولار ، وذلك من اجل الحفاظ على السلام بين الدولتين ثانيا اصبح ألقنصل الاسبانى بطرابلس ، دون جيرادودى سوزا ، ومن المحتمل كنتيجة لمضاريات تجارية تدريجيا تحت وطأة دين كبير للتجار الطرابلسيين مثل محمد دغيس والباشا نفسه . وعندما جمعت هذه الديون ، فى سنة 1811 ، بلغ مجموعها 57,776 دولارا[118]

ارسل الباشا من اجل استرجاع هذا الدين ومن اجل الحصول على

114 ـ فيما يتعلق بهذه الانتصارات ، انظر على سبيل المثال :

Georges Lefebvre,
Napoleon: From Tilsit to Waterloo 1807-1815 (translated from the French
by J. E. Anderson) (London, 1969), Chap. 3, 7 and 9.

115 F.O. 76/6, Langford to Castlereagh, 3 March and 4 September 1809.

116 F.O. 76/9, Warrington to Bathurst, 16 February 1815; AFF.ET.B!,
Delaporte to Talleyrand, 26 April 1815, in C.C.T.B. Tome 34

117 F.O. 76/6, Langford to Castlereagh, 4 August 1809.

118 F.O. 76/7, Langofrd to Liverpool, 21 July 1811.

الوعد المعلق ، حمودة فى مهمة دبيلوماسية ، الى اسبانيا ، فى يولية عام 1811[119] وحيث كانت مهمة هذه البعثة فاشلة ، نظرا لان اسبانيا لم تعط شيئا الا الوعود المعتادة كثف الباشا حملته ضد اسبانيا . ونجح القنصل العام الاسبانى ، فى مطلع سنة 1813 فى توقيع اتفاقية فى صيغة هدنة مع الباشا ، انتظارا لوصول بعثة اسبانية من اجل تسوية شاملة لجميع المطالبات المتعلقة بالدفع[120] .

ووصلت البعثة المتوقعة ، فى النهاية الى طرابلس ، فى اواخر سبتمبر عام 1813 ولكنها لم تكن من اسبانيا بل كانت من بريطانيا . ذلك لان هجومات طرابلس على السفن الاسبانية قد اثرت بشكل خطير على امدادات القوات البريطانية المحتلة فى اسبانيا فى ذلك الوقت ولذا قررت الحكومة البريطانية ان تتدخل لتعمل على وقف الاعتداءات اذا لم تستطع الاتفاق على سلام دائم[121] .

كانت تلك هى المهمة الرئيسية لبعثة وليام اكورت الى طرابلس ، فى سنة 1813 ولقد طلب منه فى التعليمات[122] التى اصدرت اليه ، ان يحث الباشا على الاستمرار بالسماح لتصدير المواشى بانتظام الى مالطا ، وان يصدر الخيول احيانا الى صقلية ، وكان على المبعوث ايضا ان يضمن من الباشا ملاحة مأمونة للتجارة الصقلية بالبحر المتوسط ، التى كانت فى اتفاق مع بريطانيا ، ومع الجزر الايونية ، التى ضمنتها القوة البريطانية ، بالاضافة الى انه كان عليه ان يحقق فى بعض المطالبات المختلفة من الباشا ، من اجل استرجاع تعويضات لما قام به قراصنته من اسر . واخيرا ، كان عليه ان يشرح للباشا بأن القوات البريطانية المحتلة تعسكر الان فى اسبانيا وبذلك يتحتم ان تمنح الحماية البريطانية للسفن الاسبانية فى البحر المتوسط . ومن اجل ضمان ذلك فإن على المبعوث ان يبحث ويسوى

---

119 F.O. 76/7, Langford to Liverpool, 21 July 1811.

120 F.O. 76/16, William a Court to R. Wilmot, May 5 1822, enclosing his 'Notes upon the defferences between Spain and Tripoli'.

121 C.O. 2/3, Instructions from the War Department, 27 March 1813, to William à Court, 'Envoy Extraordinary and Minister Plenipotentiary to the different States of Barbary.'

122 ـ المصدر السابق .

الخلاف القائم بين الدولتين وان يتوقف اولا باسبانيا ، من اجل معلومات اضافية قبل ذهابه الى طرابلس . وعلى وجه العموم وحتى يتحقق انجاز تلك المهام ، فقد اكد عليه ان :

يحافظ على استمرار الشعور برهبة البحرية البريطانية الذى كان مسيطرا بشكل مستمر على تفكير الباشا[123] .

لم تكتنف مناقشة وليام اكورت مع الباشا حول امدادات المواشى والاعتراف بالحامية البريطانية لسفن الصقلية وسفن الجزر الايونية اية مشاكل وما يتعلق بالمطالبات المختلفة فإن الخسائر الرئيسية التى فرضت على الباشا قد تم ايجازها اعلاه[124] اما فيما يتعلق بالادعاءات الباقية ـ مثل ادعاء فيور والسيد ادامى والسيد ديكيندا الخ ... فهى اما انها مختلفة بشكل مفضوح فلم يكن بالامكان اثارتها او انها تمت تسويتها من قبل الباشا[125] بيد ان المسألة الاسبانية كانت المشكلة المحيرة . ففى مرحلة معينة ، توقفت المباحثات بسبب الشروط التى قدمت . اذ وجدها الباشا « مهينة له شخصيا فضلا عن انها مضرة بمصالح شعبه[126] . اذ طلب من الباشا ان يتخلى عن مطالبته بالمبلغ الموعود البالغ 90,000 دولار وان يمنح 40,000 دولار بدلا عن 57,776 دولارا وذلك لتصفية ديون القنصل دى سوزا . بالاضافة الى انه يتحتم عليه تعويض الحمولات التى اخذت فى اوقات مختلفة من سفن اسبانية ، وعندما يتعذر التعويض عن هذه البضائع بمثلها ، فإن قيمتها ستحسب بدقة ، وتدعم بوثائق اصلية[127] من قبل الحكومة الاسبانية ليتم دفعها ، واخيرا توقع اسبانيا اتفاقية جديدة مع طرابلس[128] دون ان تدفع الرسوم المعتادة

---

123 ـ المصدر السابق .

124 ـ انظر اعلاه ، الصفحات 67 ـ 69 .

125 ـ انظر : تقرير وليام اكورث المفصل عن الادعاءات فى :
C.O. 2/4, William à Court to Bathurst, 3 October 1813.

126 ـ المصدر السابق .

127 ـ المادة الاولى من الاتفاقية ، وفيما يتعلق بذلك انظر الحاشية التالية .

128 ـ فيما يخص نسخة من الاتفاقية ، بتاريخ 30 سبتمبر عام 1813 ، انظر : F. O. 161/3 Or F. O. 160/ 35 ، ولم توجد نسخة اخرى فى طرابلس ، ولا فى Ettore Rossi, Storia...., ولا فى عمر على بن اسماعيل ، انهيار الاسرة القرمانلية ولافى اى مصدر اخر على الاطلاق .

فى هذه المناسبة ، والجدير بالذكر ان ما اقنع الباشا بقبول كل هذه الخسائر المالية ليست اسبانيا نفسها ، وانما هى قوة بريطانيا وعبر عن ذلك وليم كورث نفسه عندما قال :

لقد وجدت انه من الضرورى وضع كامل
الثقل البريطانى فى الميزان من اجل
الحصول على تحقيق غرضى ...[129]

وتعد القوة البريطانية ذاتها المسئولة عن خسائر الباشا ، فيما يتعلق بالنمسا خلال السنة التالية 1814 كما اشير الى ذلك اعلاه[130] لقد ضربت بريطانيا فعلا ، خلال سنتين تاليتين دعامة اقتصاد طرابلس السياسى وسددت له ضربة قاسية لقد شجب مؤتمر فينا فى سنة 1814 - 1815 القرصنة والاسترقاق « المسيحى » وتوقع من بريطانيا سيدة البحر المتوسط الان بدون منازع القيام باتخاذ بعض التدابير نحو ابطال الاسترقاق . و اتخذت الخطوة الاولى ، فى سنة 1816 ، حيث قاد اكسماوت امير البحر ورئيس اركان اسطول البحر المتوسط ، قوة بحرية مكونة من 13 سفينة الى طرابلس يوم 29 ابريل عام 1816 وطلب بالنيابة عن الدول الاوروبية ابطال استرقاق البيض فى طرابلس[132] ولم يكن امام الباشا خيار غير التوقيع يوم 30 ابريل ، بأنه :

ويسبب رغبته العظمى فى المحافظة على
علاقاته الحميمة المنيعة مع بريطانيا العظمى
... يعلن ويوافق بأنه فى حالة حرب
مستقبلية مع اية دولة اوروبية (لاسمح الله)
لاحد من الاسرى سوف يفرد للاسترقاق
بل سيتم التبادل على نحو نظامى طبقا للمارسة
الاوروبية فى مثل هذه الحالات ، وبأنه عند انتهاء القتال سيتم ترجيعهم الى بلدانهم دون اية فدية[133] .

129 C.O. 2/4, William à Court to Bathurst, 3 October 1813,

130 - انظر : ص 69 اعلاه .
131 - هناك ملخص مفيد حول مؤتمرفينا فى :
132 - هناك تقرير « واف » عن بعثة اكسمادث الى طرابلس ، فى :
133 - انظر : اعلان باى طرابلس ، فيما يتعلق بابطال الاسترقاق الخاص بـ المسيحيين - 29 ابريل عام 1816 ،

وهذا يعنى بالمعنى العملى ، ان الباشا لايستطيع ،منذ التوقيع ، بيع عبيد « مسيحيين او يلطب فدية حوالى 300 الى 350 دولارا على الشخص الواحد .

وكان على الباشا ان يوقع مع بريطانيا بالاضافة الى هذا الاعلان العام ، معاهدات تضمن السلامة لتجارة سردينيا فى البحر المتوسط وتجارة مملكة الصقليتين وتجارة الجزر الايونية وهانوفر[134] ولقاء جميع هذه المعاهدات واطلاق سراح عدة عبيد بيض حصل الباشا على 58,000 دولار كما اشير الى ذلك سابقا[135] . لقد كلفت الباشا ، هذه العملية بكاملها ، مقابل الفدية وحدها ، خسارة حوالى 120,000 وكان من الممكن ان يحصل على 177,000 دولار تحت الظروف العادية ، كفدية على الـ 590 اسيرا اوروبيا ، الذين كانوا لديه ا:ن الاتفاقيات المختلفة والاعلانات التى فرضت عليه ، فى سنة 1816 كانت الاشد خطورة ، حيث انها حددت على نحو خطير مدى قرصنة طرابلس والدخل الذى سيحصل عليه منها . بالاضافة الى ذلك ، قاسى الباشا بعد ثلاث سنوات خلال سنة 1819 ، من خسارة اضافية وهى الغاء القرصنة فى البحر المتوسط[137] .

ولذا فشلت جميع محاولات الباشا لتحسين دخله من القرصنة ومن تجارة طرابلس الخارجية بسبب تواجد البحرية البريطانية فى البحر المتوسط ومن ثم كانت جميع المجهودات التى بذلت خلال العقد 1806 ـ 1817 لتحسين اقتصاد طرابلس قد باءت عموما بالفشل رغم ان محاولاته فى السيطرة الكاملة على اقاليم طرابلس قد كللت بالنجاح ، وكانت محاولاته خلال السنوات السبع التالية تكمن فى كيفية اضافة اقاليم جديدة الى طرابلس .

C.O. 2/6, 'Admiral
Lord Exmouth's Mission to the Barbary States 1816: Abolition of Christian
Slavery'. See also AFF.ET.B!, Mure to Talleyrand, 8 May 1816, in C.C.T.B.Tome 34.
British and Foreign State Papers, Vol. 3,1815–1816, pp. 515–6.

134 ـ فيما يتعلق بنسخ من الاتفاقيات انظر :

C.O. 2/6, 'Admiral Lord Exmouth's Mission. . .

135 ـ انظر : ص 66 اعلاه .

136 ـ من كل هؤلاء ، لم يدفع إلا عن 414 أسيراً ، وبلغت الفدية 50,000 دولار دفعت من قبل مملكة الصقليتين . اما الباقون ، فقد كانوا من السردنيين ، الجنويين ، والرومانيين ، الخ ، الذين طلبهم اكسماوت بدون اية فدية . انظر

137 ـ انظر : الفصل الرابع ادناه .

الفصل الرابع
فشل المخطط التوسعى 1817 ـ 1824

بعد أن أتم الباشا بناء طرابلس كمركز للقوة السياسية خلال سنة 1795 ـ 1805 وبعد أن أخضع بقية البلاد فى الفترة 1806 ـ 1817 بدأ المرحلة الثالثة وهى أكبر مراحل عمله السياسى طموحا وتتمثل فى مد القوة السياسية الليبية الى ماوراء فزان ، أى الى السودان ولكن ذلك الطموح السياسى فشل فى أن يتجسد على صعيد الواقع لا سباب اقتصادية محضة اضطرته بعد سنة 1824 الى التخلى عن ذلك المخطط التوسعى تماما .

كان الدافع الاساسى وراء طموح الباشا الاستعمارى خلال فترة 1817 ـ 1824 اقتصاديا ، وسيفسر هذا بعد قليل[1] . ومع هذا ، يبدو من المفيد البدء بسؤال عن اتجاه ذلك التوسع الاقليمى المشتهدف . فالى الشرق من طرابلس ، هناك مصر والتى كانت تمر بعمليات التحديث السياسى والاقتصادى لمحمد على (1805 ـ 1849)[2] وتمثل فى ذلك الوقت قوة سياسية ضاربة فى كامل الشمال الافريقى حتى أصبحت تشكل تهديداً لطرابلس ، فى عشرينيات القرن التاسع عشر ، كما سيرى فيما بعد[3] أما الى الغرب فهناك تونس التى لم تكن بقوة مصر إلا أن حكامها ينتمون إلى الأسرة الحسينية ، الحليف التقليدى للاسرة القرمانلية[4] . ولايمكن للباشا أن ينسى بسهولة عودة الأسرة القرمانلية الى عرش طرابلس ، عند

1 ـ انظر الصفحات التالية

2ـ انظر :

__ H. Dodwell, *The Founder of Modern Egypt, A Study of Muhammad 'Ali* (London, 1931); also J. & S. Lacouture, *Egypt in Transition* (London, 1958), Part I, Chaps. I & II; and P.M. Holt, *Egypt*. . .,Chap. 13.

3 ـ انظر : الفصل الخامس من هذا الكتاب .

4 ـ انظر الفصل الاول اعلاه .

نهاية القرن الثامن عشر، والذى كان جزئيا بدعم من الاسرة الحسينية التى ساعدته بصورة خاصة ضد المغامر السياسى على برغل كذلك فإن تغلب طرابلس على التهديد الامريكى، خلال الفترة (1801 - 1805) كان أيضا والى حد ما نتيجة للدعم المعنوى والمادى التونسى[5].

لم يبق أمام الباشا الا الحدود الجنوبية لبلاده أى اقليم ماوراء فزان وذلك أمر طبيعى حيث شكلت حدوده الشرقية، والغربية عقبة فى طريق توسعه المزمع. ويسكن ذلك الاقليم أولا، التبو بمعقلهم القوى على مرتفعات تيبستى[6] والذين اكتسبوا من خلال تمازج الاجناس مظهرا جسمانيا زنجيا فريدا. وظل نظامهم الاقتصادى بدويا الى حد كبير، مدعوما بزراعة النخيل وجمع أموال الحماية من تجار الصحراء.

ويوجد الى الجنوب الغربى من مرتفعات تيبستى واحة كوار وتمثل بلما مركزها السياسى. وكانت بلما ذات أهمية اقتصادية كبيرة، بسبب وفرة الملح والنطرون الذى يعتمد عليهما جزء كبير من تجارة أواسط الصحراء وغرب السودان[7] بيد أنه خلال ذلك الوقت، أعنى العقد الثانى والثالث للقرن التاسع عشر توجد عمليا أية سيطرة سياسية على الواحة، لانه وعلى الرغم من أن طوارق أير قد أعلنوا ادعاءهم السيطرة السياسية على الواحة منذ حوالى القرن الرابع عشر، الا أنهم لم يسيطروا عليها بفاعلية وظلت تجارة الملح والنطرون تحت سيطرة الكانوريين الذين جاءوا منذ وقت طويل الى هناك من الجزء الشرقى لبحيرة تشاد[8].

---

5 - انظر : الفصل الثانى اعلاه.

6 - فيما يتعلق بوصف عام للتبو واراضيهم، انظر : E.W. Bovill, ed. *Missions to the Niger* Vol. II, Chap. I. Denham's Journal of Journey from 'Mourzouk to Kouka'. Also Capt. G.F. Lyon op. cit., Chap. V; G Yver in *Encyclopaedia of Islam* Vol. IV, pp. 818–9.

7 F.O. 76/17, Oudney to Warrington, Bilma, 14 January 1823, C.O. 2/13, Same to Wilmot, 4 December 1822.

قال اودني فى رسالته بان بلما قد انتجت حوالى 30,000 حمل جمل من الملح سنويا، فيما يتعلق بصناعة الملح، انظر :

... Capt. Grandin, 'Notes sur l'industrie et le commerce du sel au Kawar et en Agram' in *Bulletin de l'Institute Français de l'Afrique Noire* XIII (1951), pp. 488–533. For Denham's account of Bilma and its salt and natron pro-

ورغم ذلك فإن الصحراء بكاملها ، التى تمتد الى الجنوب من فزان حتى واحة كوار لم تملك أى شىء يمكن أن يستهوى التوسع الاستعمارى . لقد كان من الصعب توحيدها أو السيطرة عليها بفاعلية ليس بسبب طبيعة اقتصادها البدوى فحسب ، وأنما أيضا ، والى حد كبير بسبب الصبغة الفردية المتميزة لوحداتها الصغيرة المتعددة والتى تشكل فى أفضل الاحوال اتحادات شاملة بيد أنها غير محكمة . ويتحتم بذلك التوغل نحو الجنوب بشكل أعمق الى اقليم بحيرة تشاد ، للوصول الى مناطق ذات نظام سياسى مقبول .

ويهيمن على تلك المنطقة اساسا خلال تلك الفترة كفاح برنو من أجل ظهورها كقوة مرة أخرى . ويبدو تاريخ برنو السياسى الذى ربما بدأ فى حقيقته مع دولة كانم التى سبقتها مشوقا الا أنه لايمكن هنا الا الاشارة اليه بصورة مختصرة تتعلق بالاوضاع السياسية خلال الفترة التى ظهرت فيها رغبة يوسف باشا التوسعية فى السودان . قامت كانم حوالى القرن التاسع ، وبلغت أوج توسعها فى القرن الثالث عشر ، ووجدت أن اسرتها الحاكمة الزاقاوا ، قد طردت الى برنو فى القرن الخامس عشر عندما بدأت خلافة كانورى فى برنو بتأسيس عاصمة جديدة فى نجازار جامو سنة 1480 تقريبا[9] وأعيد احتلال كانم من جديد فى مطلع القرن السادس عشر ، ودمجت كاقليم فى الامبراطورية الجديدة وتوسعت قوة برنو الاستعمارية خلال ذلك القرن على نحو كبير ووصلت أبعد نقطة لها فى أقليم ادريس بن على بيد أنها فى العقدين التاليين دخلت مرحلة ركود ترتب عنها شىء من الانحطاط فى مطلع القرن التاسع عشر[10] .

حول كتابات دنهام عن بلما وإنتاج النطرون والملح بها ، انظر :-

E.W. Bovill, ed., op. cit. Vol. II, pp. 208 and 211–5.

8 I. G. Yver, op. cit., pp. 818–9.

9 - فيما يتعلق باصل وتاريخ برنو ، انظر:

وكذلك فيما يتعلق بالفترة من اواخر القرن الثامن عشر الى حوالى 1892، انظر

P. A. Benton *The Sultanate of Bornu*. .(London, 1913), Appendix IV which is a translation of pp. 353–76 of *Documents scientifiques de Mission Tilho* (1911), Vol. II.

10 - انظر :

- H. R. Palmer *Sudanese Memories, Being Mainly Translations of a Number of Arabic Manuscripts Relating to the Central and Western Sudan* (London, 1967 edn), pp. 1–76.

كان أهم أثر لذلك الانحطاط أن فقدت برنو بعض المناطق من اقاليمها احتلها جيرانها فى الغرب والشرق . وكان الى الشرق منها مملكة واداى والتى بعد أن دمرت سيطرة دارفو[11] فى أواخر القرن الثامن عشر أستهلت مراعا سياسيا جديدا ضد برنو . وكان هدفها المبدئى كانم ونجحت فى الاستيلاء على برنو خلال العقد الاول من القرن التاسع عشر . وفى الوقت نفسه وبالاضافة الى كانم اتسع سلطان واداى فى صراعها ضد برنو ليصل الى باقرمى وهزم سابون سلطان واداى باقرمى واجبرها على دفع الضرائب منذ ذلك الوقت وحتى حوالى 1814 - 1815[12] .

كان استيلاء واداى على اقاليم من برنو فى مطلع القرن التاسع عشر نتيجة لخسائرها على الحدود الغربية ومكملا لتلك الخسائر ، لان الجهاد الفولانى لعثمان دان فوديو[13] من ذلك الاتجاه كان له مردودات سياسية على برنو اذ فى مطلع عام 1808 وضع ذلك الجهاد الذى أعلن فى سنة 1804 ، معظم بلاد الهاوسا تحت سيطرة الفولانى ثم وجه قائدهم اهتمامه نحو برنو ، التى اتهمت بالشرك وبمساعدة ملوك الهاوسا ضد المسلمين الفولانيين . وهزمت قوات بورنو ، تحت قيادة ماى أحمد بن على (1791 - 1808) وأخذت العاصمة نجازاجامو فى سنة 1808[14] .

11 - حول مختصر لتاريخ واداى انظر :
M. Delafosse in *Encyclopaedia of Islam*, Vol. IV. pp. 1075–7; also Henry Barth op. cit., Vol. III Appendix VII: 'Etho graphical Account of Waday'.

12 J. Spencer Trimingham, *A History of Islam in West Africa* (Oxford, 1963 reprint), pp. 213–215; see also E. W. Bovill ed.), op. cit. Vol. III, p. 420

13 - هناك الكثير من الدراسات حول عثمان دان فوديو وجهاده ، ولايمكن الاشارة هنا الا الى القليل منها ، انظر :
M. Bello, *Infaku'l maisuri*, ed. C.E.J. Whitting (London, 1951); T. Hodgkin, *Nigerian Perspectives* (Oxford, 1960), pp. 38–43; J. Spencer Trimingham, op. cit., pp. 195–207; H.F.C. Smith, 'A Neglected Theme of West African History: The Islamic Revolutions of the 19th Century 'in *Historians in Tropical Africa* (Proceedings of the Leverhulme Intercollegiate History Conference) (Salisbury, 1962), pp. 145–58; Murray Last, *The Sokoto Caliphate* (London, 1967), Part I, pp. 3–45. For a Marxist approach to the jihād, see the summary of D. A. Olderogge's 'Feudalism v. Zapadnous Sudane' (*Sovietskaya Ethografia*, 4 November 1957, pp. 91–103) in *Africana Abstracts* x, 1 January 1959 pp. 11–12.

14 H. A. S. Johnston, *The Fulani Empire of Sokoto* (London, 1967); D. M. Last and M. A. Al-Hajj, 'Attempts at Defining a Muslim in Nineteenth-Century Hausaland and Bornu' in *Journal of the Historical Society of Nigeria*, 2 December 1965), p. 238; P. A. Benton, op. cit., p. 253.

اضافة لذلك كانت لهذا الجهاد نتيجة أخرى هامة ، بالنسبة لتاريخ برنو وأيضا ذات علاقة بالمخطط التوسعى لطرابلس فى عهد يوسف باشا ، وهى بروز قائد ذى قدرات عظيمة ، تمثل فى شخص الشيخ محمد الامين الكانمى والمشهور فى ذلك الوقت بلامينو ويعرف اليوم بالشيخ الكانمى ، وهو الذى قاد برنو فى فترة من نهضتها العظيمة فيما بين سنتى 1808 ـ 1835 .

كان للشيخ الكانمى ، وهو من أصل عربى ـ كانمبو ، أسرة وممتلكات فى مرزق ، عاصمة فزان[15] وبعد تعلمه فى مصر ، رجع ليستقر كفقيه مثقف فى كانم . ونتيجة لعلمه كسب اتباعا وشعبية وبالتالى أهمية سياسية .

ألتمس ماى أحمد بن على بعد هزيمته من قبل الفولانى ، فى سنة 1808 المساعدة من الشيخ الكانمى[16] وتحرك الشيخ فورا مع اتباعه من الكانمبو ويصوت ملائكى استطاع أن يلم شعث القوات المهزومة ويوحدها تحت زعامته ويتمكن من طرد الفولانى ويفضل ، صموده العسكرى تمكن من صد موجة الفولانى على الرغم من فقدان بعض المناطق الاقليمية قبل سنة 1808 فإن حركة الجهاد من أجل احتلال برنو قد أحبطت[17] .

بدأ الشيخ الكانمى فى تقوية برنو داخليا[18] الى جانب تنظيم مقاومتها العسكرية ضد الفولانى : وأحل القانون والنظام محل الفوضى التى عمت أيام ماى أحمد بن على ، كما نظم القوات المحارية المكونة من المشاة الكانمبويين المسلحين بالرماح والاسلحة النارية وخيالة الشوى العرب ، وضمن سرعة تحركها من جزء الى آخر

---

15 ـ فقد وصفه اودنى حتى ك « مواطن فزانى » : أودنى الى ولموت ، 4 نوفمبر 1822 ، ق 2/13 C – O.

16 H. A. S. Johnston, op. cit., p. 78; J. Spencer Trimingham, op. cit., p. 208; P.A. Benton, op. cit., p. 252.

17 See H. A. S. Johnston, op. cit., p. 79; J. Spencer Trimingham, op. cit., p. 208. Besides the military resistance, the Shaikh al-Kānemi also conducted academic warfare against the Fulānī jihād leaders, for this see H. R. Palmer, *The Bornu. . .* pp. 259–67; D. M. Last and M. A. Al-Hajj, op. cit., pp. 237–9; H. A. S.Johnston, op. cit., pp.102–12.

حول سياسة الشيخ الداخلية ، انظر :

E. W. Bovill (ed) op. cit., Vols. II & III; Major Denham's Narrative; Chaps. II, V and VII; also Major Denham to Charles Denham, Bornou, 12 March 1823 in John Murray Collections, Royal Geographical Society (henceforth R.G.S.). A copy of this is quoted in E. W. Bovill (ed.), op. cit. Vol. II, pp. 289–91.

فى البلاد فى أوقات الطوارىء ، كما وضع القانون موضع التنفيذ ، وفرض العدالة المنصفة على نحو صارم ، طبقا للشريعة الاسلامية ، ورفع الروح المعنوية للمجتمع عموما . وبنى فى سنة 1814 عاصمة جديدة تدعى كوكا والتى اصبحت مركز القيادة الادارية والعسكرية[19] وقام فى فترة سابقة ببناء مدينة جديدة فى برنى للماى أو السلطان دوناماليفيامى وحرصا على الاستقرار السياسى داخل الدولة فإن الشيخ أبى أن يغتصب العرش بالرغم من قدرته على ذلك[20] وهو اجراء اذا قام به سيقلل بطبيعة الحال من اهميته عند التقليديين المحافظين .

وبعد صد الفولانى بنجاح ، وبعث الامن والاستقرار داخل برنو ، بدأ الشيخ فى استرداد الممالك التى فقدت اثناء كسوف قوة برنو فى حوض تشاد . واستلزمت تلك المهمة مجموعة حملات عسكرية ضد كانم وباقرمى ، بالاضافة الى واداى المعارض الاساسى للسيطرة على المملكتين الاخريين . وتمكنت برنو ، على الرغم من ذلك فى مطلع عشرينيات القرن التاسع عشر من النجاح فى استرداد جزء من كانم حيث تمكنت فى سنة 1824 من هزيمة واداى فأصبحت قادرة على توجيه ضربة قاضية للمقاومة بكانم ، ذلك لان كانم لاتستطيع أن تصمد أمام برنو . بدون مساعدة واداى[21] .

وعموما واجهت برنو بعض الصعوبات المبدئية فى صراعها ضد باقرمى . فعلى سبيل المثال سجلت باقرمى فى سنة 1816 - 1817 انتصارين متتاليين ضد برنو[22] وتسببت هزيمة سنة 1817 على وجه الخصوص فى حالة عدم الاستقرار السياسى المرحلية . حيث شعر السلطان دونما ، فى ذلك الوقت (1810 - 1817) وكأنه العوبة فى أيدى الآخرين ، وحاول ازاحة الكانمى من السلطة فقام سرا بدعوة الباقرميين لمساعدته[23] فساعد تعاون زمرته مع العدو فى اضعاف برنو وكانت من ثم نكبة النقالة فى سنة 1817 . ولكن بعد

19 Henry Barth, op. cit., Vol. II, pp. 663-4; H.A.S. Johnston, op. cit., p. 80.
20 R.G.S., Major Denham to Charles Denham, 12 March 1823.
21 E. W. Bovill (ed.) op. cit., Vol. III, p. 485; J. Spencer Trimingham, p. 209
22 Henry Barth op. cit., pp. 664; E. W. Bovill (ed.), op. cit., Vol. III, p. 448.
23 P. A. Benton, op. cit., p. 255; J. Spencer Trimingham, op. cit., p. 209.

ذلك وبعودة الشيخ الى السيطرة الكاملة على الوضع السياسى بسبب حسن استخدامه للمساعدة الخارجية كما سيتضح فيمابعد[24] استرجعت برنو المبادرة العسكرية وسددت مجموعة من الهزائم لباقرمى وحدثت اكثر تلك الهزائم حدة فى سنة 1824 فكانت الضربة التى كسرت ظهر باقرمى حيث فرضت برنو عليها تعويضا كبيرا[25] .

ومن ثم ، فإن ظهور برنو من جديد ، فى حوض تشاد تحت قيادة الشيخ الكانمى منذ الجزء الاخير من العقد الاول الى العقد الثالث من القرن التاسع عشر كان أهم عامل سياسى لايمكن الا أن يؤخذ بعين الاعتبار ، فى أى مخطط استعمارى من قبل يوسف باشا .

ومع ذلك وبصرف النظر عن الاعتبارات السياسية ، فإن اتجاه طموح الباشا الاستعمارى قد تجدد وفقا لاعتبارات اقتصادية . أولا : يبدو أن الباشا قد وجه اهتمامه وحتى قبل تحركاته فى غدامس وفزان فى سنة 1810 ـ 1812[26] لاقليم السودان كمصدر أساسى لتجارة عبر الصحراء . ثانيا : وكان واضحا ابان مطامع الباشا الاستعمارية فى السودان أن نمط تجارة عبر الصحراء قد تحولت من التركيز على المنطقة الغربية أو اقليم تمبكتو الى الاقليم الاوسط من منطقة برنو . وكانت تلك التغيرات فى الاساس نتيجة لعوامل سياسية فهناك صراع بين طوارق الفولانى وطوارق البمبارا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر على السيادة على تمبكتو ، كانت له آثاره السياسية على اقليم تمبكتو ـ جاو[27] . وهناك أيضا فشل المغرب فى اقامة أية سيطرة فعالة فى منطقة الصحراء الى الشمال من تمبكتو بعد سقوط سلطنة سونجاى فى اواخر القرن السادس عشر . وشجع كل ذلك ومنذ القرن السابع عشر ، على حالة من الفوضى تميزت بغارات وغارات مضادة بين الطوارق (أعنى الهوجار والأوليمدن) وقبائل عرب البرابش وأولاد دليم[28] .

24 See below, pp. 84 and 89.

25 F.O. 76/18, Warrington to Horton, 18 August 1824, enclosing Denham to Warrington, Kouka, 16 April 1824. See also E. W. Bovill (ed.) op. cit., Vol III, p. 450; and Henry Barth, op. cit., p. 665.

26 ـ انظر الفصل الثالث .اعلاه.

27 ـ انظر : A. Adu Boahen, op. cit., pp. 104–5; Henry Barth, op. cit., Vol. IV pp. 627–9.

28 A. Adu Boahen, op. cit., p. 105.

وكان الاثر العام لتلك الصراعات السياسية فى السودان والمناطق الصحراوية للطريق الغربى (تمبكتو ـ تغازا) حدوث عدم استقرار سياسى ، ترتب عليه تزعزع فى الاوضاع العامة . وكنتيجة لذلك ، تحولت تجارة عبر الصحراء تدريجيا بمركز ثقلها نحو الشرق

واصبحت برنو خلال الثلاثة عقود الاولى من القرن التاسع عشر محطة السودان لطريق تجارة عبر الصحراء طرابلس ـ فزان ـ برنو وهو الذى كان يتمتع بأعظم حركة مرور واكثرها انتظاما[29] . وهذا ما يفسر اسباب الانتعاش التجارى الكبير الذى وجد عليه الرحالة الانجليز اودنى ودنهام وكلابرتون برنو فى الفترة 1822 ـ 1824 كما هو جلى فى كتاباتهم عن كوكا العاصمة الجديدة وانجورنو المحور التجارى للامبراطورية[30] .

استمرت بورنو مركزا لتجارة عبر الصحراء دون تغير حتى اواخر الثلاثينيات ومطلع اربعينيات القرن التاسع عشر ، عندما سببت غزوات الطوارق والتبو المتبادلة وكذلك غزوات البدو من قبيلة اولاد سليمان عدم الاستقرار فى المنطقة التى تقع الى الشمال من حوض تشاد[31] مما اضطرت التجارة الى نقل مركز ثقلها مرة اخرى نحو الغرب قليلا الى بلاد الهاوسا وبذلك استمد خط كانو ـ اير ـ غدامس شهرته منذ اربعينيات القرن التاسع عشر.

وهكذا فان اهمية الموقع الاستراتيجى لبرنو كمركز لتجارة عبر الصحراء مع مطلع القرن التاسع عشر ، لم يكن غائبا على باشا طرابلس . وكان ذلك سببا فى محاولته اقامة علاقات دبيلوماسية مع برنو حيث ارسل بعثة الى هناك فى حوالى سنة 1807 ـ 1818[32] .

وكان هدفها بكل تاكيد تجاريا. ففى البداية كان قائدها محمد

29 ـ المصدر السابق ، ص 107 .

30 C. O. 2/13 Part I, Denham to Wilmot, 1 June 1825; and Part 2, Oudney to Wilmot, 28 March 1823. Also, E. W. Bovill (ed.), op. cit., Vol. ii, pp. 258–9.

31 See A. Adu Boahen, op. cit., p. 107.

32 C.O. 2/9, Ritchie, Journals, Mourzouk, 22 May 1819.

المكنى الباى المنتظر لفزان وجابى ضرائبها عندئذ وتاجراً ثرياً . فضلا عن انه قد اعلن بانه سيكون مصحوبا بعدد من التجار[33] وهكذا فبالنظر الى طبيعة البعثة فهدفها واضح وهو ضمان تجارة عبر الصحراء بين برنو وطرابلس وضمان استمراريتها . ثانيا : كان رد السلطان على البعثة ، كما سيذكر بعد قليل من شأنه ان يساعد على تعزيز الراى القائل بان هدفها تجارى .

وعلى الرغم من هجمات التبو فى الطريق فقد وصلت بعثة المكنى اخيرا الى برنو واستقبلت فى البداية استقبالا حارا من قبل السلطان احمد بن على والذى كان سعيدا على وجه الخصوص باستلامه عدد 2 مدفع ميدان قدمت له نيابة عن الباشا وقبل اقتراحات الباشا واكد له استعداده لتقديم كل تشجيع للطرابلسيين بالمجىء والمتاجرة مع الداخل[34] ولكن فيما بعد عومل المكنى بشىء من البرود وحف بعدم الاهتمام واللامبالاة[35] وهذا التغيير فى الموقف الذى حير واريك المكنى قد عزى الى تأثير سلطان فزان الذى[36] اراد ان يعوق اى اتصال تجارى مباشر بين برنو وطرابلس غير ان المكنى بصرف النظر عن المعاملة السيئة التى عامله بها السلطان كانت له تجربة غير سارة اخرى فى برنو فخلال الفوضى السياسية العامة التى اعقبت غارة الفولانى فى سنة 1808 فقد المكنى عمليا كل الهدايا - العبيد العاج الخ .. التى قدمت عن طريقه للباشا . بالاضافة الى ذلك وجزئيا بسبب الفوضى نفسها وبسبب التآمر والمكائد من قبل فزان كان على المكنى ان يلجأ لا ستخدام القوة من اجل ضمان عبوره ضد الهجمات فى كانم اقليم برنو[37] مثل تلك التجارب التى مر بها المكنى ليس من السهولة نسيانها ومن ثم كانت فى فترة لاحقة وراء اقتراحه على الباشا بادخال فزان وبرنو تحت سيطرة طرابلس

فالاقتراح المتعلق بفزان نفذ فى سنة 1811 - 1812 ، واصبح المكنى بايا عليها[38] واستمر فيما بعد فى محاولاته للتأثير على

33 H. Clapperton, *Journal of a Second Expedition into the Interior of Africa* (London, 1829), p. 170.

34 - المصدر السابق .

35 C.O. 2/9, Ritchie to Goulbourn ?. Mourzouk, 10 May 1819.

36 H. Clapperton, op. cit., pp. 170-1.

37 - المصدر السابق .

38 - انظر : الفصل الثالث اعلاه .

الباشا ليجيز تنفيذ الجزء الثانى من الاقتراح فيما يخص برنو . وحاول القيام بذلك عن طريق تنظيم حملات مسلحة داخل اقليم جنوب فزان ضد التبو وبرجو ووادای واجزاء من اقليم برنو[39] . وتم غزو كانم ذاتها كما حدث على سبيل المثال مرتين سنة 1816[40] وكان يحرص دائما وبانتظام على تقديم الهدايا الى سيده الباشا مع جزء كبير من غنائم هذه الغارات ـ الأبل والخيل والغنم وخاصة العبيد .

وعلى الرغم من ذلك فان انشغال الباشا بتعميم سلطته مباشرة على بقية اجزاء البلاد قد حال عندئذ دون القيام باية سياسة خارجية نشطة غير انه مع مطلع سنة 1817 اصبحت البلاد كلها الى حد كبير تحت قبضته فاصبح بامكانه ان يوجه اهتمامه الى المناطق الواقعة وراء اقليمه . وفى الوقت نفسه لعبت الظروف دورا مناسبا واعطت الباشا فرصة جيدة للتدخل فى السودان .

التمس الشيخ الكانمى حاكم برنو ، فى سنة 1817 من باشا طرابلس المساعدة ضد باقرمى[41] ولقد فرض هذا الموقف على الشيخ فرضا وذلك بالرغم من انه استطاع قيادة برنو فيما مضى الى النصر على باقرمى فأنه خلال سنتى 1816 ـ 1817 قد تغير الوضع لغير صالحه[42] فقرر بسبب هاتين الهزيمتين ان يطلب مساعدة عسكرية خارجية بهدف وضع باقرمى تحت سلطان برنو فى اسرع فرصة ممكنة وبالاضافة الى ذلك فان تآمر السلطان دوناما ليفيامى السياسى مع باقرمى وموته الفاجع فى الحملة اللاحقة قد سبب فى بورنو حالة من عدم الاستقرار السياسى والذى من شأنه ان يعمم الخوف من امكانية استغلال الفولانى الفرصة والقيام بشن هجوم جديد ضد برنو .

---

39 F.O. 76/13, Warrington to ?, 5 June, enclosing Ritchie to Warrington, 10 May 1819; C.O. 2/8, Various 'Notes' (undated but certainly 1818) by Ritchie. C.O. 2/9, Ritchie to Bathurst, and same to Goulbourn, 28 October 1818, 24 March 1819. Also, ibid., Lyon to Bathurst, 22 November 1819.

40 C.O. 2/9, Ritchie, to Bathurst, 23/3/1824, encl. 'Notes' of Interview with 'Haj Hamet'.

41 Henry Barth, op. cit. Vol. III, p. 439.

42 ـ انظر اعلاه

ولكن لعلمنا بالعلاقة المتوترة بين برنو وطرابلس ، بسبب المعاملة السيئة التى عومل بها المكنى سفير الباشا فى سنة 1807 وكذلك الغارة القريبة العهد الذى قام بها المكنى على اجزاء من برنو نتساءل لماذا مازال الشيخ الكانمى يختار طرابلس كمصدر للمساعدة الخارجية ان احد التفسيرات قد يكون فى انه ربما راى ان الغنيمة التى ستكتسب من المغامرة يمكن ان تستخدم لاستمالة باشا طرابلس وانه حالما تبدأ العلاقة المتوترة بين طرابلس وبرنو فى التحسن بسبب هذا التعاون العسكرى المشترك فانه لن يكون بامكان المكنى التابع للباشا وجود مبرر للغزوات التى لاحدود لها على اراضى برنو وخاصة كانم .

ومع هذا فان عيب هذه الخطوة الجريئة فى سياسة الكانمى الخارجية واضح للغاية فهى على الرغم من انها حققت سلاما ظاهريا مع طرابلس الا انها شجعت طموحات الباشا حيال برنو وهكذا فما ان حان الوقت الذى تمت فيه عمليات الاخضاع المحلى حتى بدأت مناشدة الكانمى تثير فى نفس الباشا رغبة ملحة فى ان تستهل طرابلس سياسة خارجية طموحة تستهدف مد سلطانها الى برنو . وهكذا فبعد سنتين من مناشدة الكانمى اى سنة 1819 بدأ ما يمكن ان يوصف بـ «مخطط برنو» الذى كان محور التشاور السرى بين الباشا وكبار مستشاريه العسكريين والذين من بينهم باى فزان المكنى وخليفته المباشر مصطفى الاحمر[43] . وفى السنة التالية 1820 طرق الموضوع مع القنصل البريطانى وبعدها تمت الاشارة بان هذه الخطة تحتاج عسكريا الى حوالى 6,000 جندى طبقا لتقديرات المكنى وماليا الى حوالى 25,000 جنيه استرلينى وفقا لتقديرات الباشا[44].

ان مادعا الباشا الى الكشف عن مخطط برنو للقنصل البريطانى

43 ـ لقد ذهب المكنى ، الذى كان مقيما فى مرزق (فزان) انئذ ، الى مدى اخبار المستكشفين الانجليز رتش ولايون وكان فى ذلك الوقت ، فى مهمة استطلاعية ، بان القوات التى تستعد لغزو برنو ستكون جاهزة ، املا ، السنة التالية (1820) ـ C.O 2/9
Ritchie to Goulbourn ? 10 May 1819.

44 F.O. 76/14, Warrington to Bathurst, 2 August 1820.

يعود الى ظروفه المالية فى ذلك الوقت فهو فى حاجة الى مساعدة مالية خارجية اذا ما اريد لهذا المخطط ان ينفذ بنجاح ولذلك ارسل القنصل وارنجتون تقريرا الى حكومته فى شهر اغسطس عام 1820 اشار فيه الى ان :-

> صاحب السمو «يعنى الباشا» يقول : اذا ماقدمت بريطانيا له 25,000 جنيه استرلينى . يسددها فى بضع سنوات ستمكنه من الاستيلاء على برنو والسودان وتثبيت باى فى كل منهما، فمنتجات تلك البلاد ستمكنه من التخلى على تجارة الرقيق وخاصة انه يوجد الكثير من تراب الذهب فى السودان[45] .

هناك اربع نقط رئيسية حول طلب الباشا . الاولى ان كلمة «السودان» تمثل مشكلة وتطرح تساؤلا . فبالنسبة للمكتشفين الانجليز «مثلا هورنمن واعضاء بعثة برنو» لاتعنى «السودان» اكثر من بلاد الهاوسا[46] كذلك القنصل وارنجتون الذى نقل طلب الباشا للحكومة الانجليزية استخدم «السودان» ايضا بنفس المعنى كما هو واضح من جميع مراسلاته فى ذلك . فعلى سبيل المثال فى رسالته المؤرخة فى يونيو سنة 1825 الى سلطان سكوتو والتى كتبها موصيا بالميجور لاينج خاطبة فيها بقوله القائد الاعلى للقوات المسلحة والقائد العام للمملكة العظمى واقليم السودان[47] .

وعلى هذا فان حسب الاستعمال الجارى «السودان» يعنى هنا بلاد الهاوسا التى شكلت عموما الخلافة الفولانية تحت عثمان دان فوديو كما وضح اعلاه[48] . بيد انه لم يكن هناك اى دليل حقيقى بانه كان للباشا طموح اقليمى فى تلك البلاد فى ذلك الحين . فبالرغم ان

---

45 - المصدر السابق .

46 - حول هورنمان ، انظر كتابه :

:e concerning the Interior Part of North Africa,' in E. W. Bovill (ed.), op. cit., Vol. I, p. 115. For members of the Bornu Mission see, for example, ibid., Vol. II, pp. 564 and 579, and Vol. IV, p. 728.

[47] F.O. 76/19, Warrington to Bathurst, 18 July 1825, enclosing Warrington to Sultan Bello, 30 June 1825.

48 - انظر اعلاه .

موت عثمان دان فوديو حوالى 1816 ـ 1817 والانتفاضات اللاحقة فى كيبى وجوبر وزامفارا فيما بين 1817 و 1822 ـ 1823[49] كلها امور تشير الى بعض عناصر الوهن السياسى فى الخلافة الفولانية التى كانت عندئذ تحت قيادة محمد بللو سلطان سكوتو فان الروح المعنوية والعسكرية لقوات الجهاد التى حققت سيطرة الفولانى مازالت قوية وكافية لاثناء الباشا عن التفكير فى اية سياسة عدوانية تجاه بلاد الهاوسا . فالسلطان ، على سبيل المثال مازال يتمتع هناك باحترام دينى وسياسى كبيرين وكان ينظر اليه فى طرابلس وفى اى مكان اخر بحق على أنه يمثل كوالده من قبله اعظم قوة فى كامل السودان من النيجر الى بحيرة تشاد تقريبا . ووصفه كلابرتون الذى زاره بسكوتو خلال سنة 1824 على انه «اقوى امير فى داخل افريقيا»[50] وهنا يبدو واضحا سبب امتناع الباشا عن التورط فى صراع مع تلك القوة . وكانت تربط طرابلس وسكوتو علاقات حميمة خلال عشرينيات القرن 19 فيوجد على سبيل المثال تبادل الرسائل بين الدولتين ففى سنة 1820 جاء فى رسالة الباشا التى رد فيها على رسالة من محمد بللو عبارة «جارنا المعزز»[51] وعبر فيها عن رجائه بقوله :ـ

ان نبقى نحن وانتم فى صداقة
تامة وفى حب دائم

ومرة اخرى وفى الوقت الذى بدأت فيه طموحات الباشا الاستعمارية تدور حول بورنو لم تكن هناك اية اشارة للعداء مع سكوتو . بل على العكس كان فى تلك الفترة 1823 ـ 1824 تبادل للمراسلات والهدايا[52].

وعلى هذا يبدو واضحا ان الباشا لم يستخدم «السودان» كمرادف لبلاد الهاوسا فضلا عن ان الاشارة الى خام الذهب لا يشير الى بلاد

49 ـ حول تفاصيل عن هذه الثورات انظر :
D. Last, op. cit., pp. 66–71.
50 C.O. 2/13, Lieut. Hugh Clapperton to R. Wilmot Horton, 6 June 1825.
51 See A. D. H. Bivar, 'Arabic Documents of Northern Nigeria. in *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, XXII, 2 (1959), p. 347.
52 ـ المصدر السابق .

الهاوسا بل الى جهة ما فى اقليم تمبكتو ـ جاو كانت معروفة لوقت طويل بمصدر الذهب بالنسبة للسودان[53] . ولكن مرة اخرى لا يوجد دليل على ان الباشا يريد بسط اراضيه فى ذلك الاتجاه . واخيرا وعلى ضؤ مصادر الباشا المحدودة لمثل تلك المغامرة فان «السودان» لا يمكن ان تستخدم بمعناها العام والذى يشتمل على كامل امتداد حزام السافانا من المحيط الاطلسى الى البحر الاحمر ولذا مازال مبهما ظهور كلمة «السودان» فى طلب الباشا

اما النقطة الثانية من هذا الطلب فتشير الى المشكلة الاساسية التى تواجه مخطط بورنو وهى مشكلة التمويل كما سيوضح فيما بعد[54].

ثالثا ، أشار الطلب على نحو جلى ، الى ان الحافز وراء مخطط الباشا الاستعمارى كان فى الاساس اقتصاديا فمع تخفيف القرصنة وقمعها النهائى فى البحر المتوسط ، اجبر الباشا على البحث عن مصادر اخرى للدخل ومن ثم فان توسيع اراضيه سيقدم شيئا من المساعدة . ولقد اثبتت الامثلة فى غدامس وفزان انه من خلال السيطرة السياسية الفعالة لن يكون الدخل من الضرائب التى تجمع من تلك الاقاليم منتظما فحسب بل بالامكان زيادته . ففى حالة فزان على وجه الخصوص قد ازدادت الضرائب السنوية بعد تولى المكنى من 5,000 الى 15,000 دولارا ، فى سنة 1811 ، ثم الى 30,000 مند سنة 1820 [56] وهكذا قدر الباشا بأنه اذا ما نجح فى بسط سلطانه على برنو فأن ممثليه المعينيين سيكونون قادرين على جمع الضرائب من تلك المناطق بأنتظام وفاعلية . وسيساعد موقع برنو كمركز مزدهر للتجارة السودانية ، كما أشير أعلاه [57] على تعزيز منطق الباشا الاقتصادى .

رابعا ، يبدو أن الباشا ، فيما يتعلق بمسألة المصادر السياسية والدخل التجارى الذى كان يتوقع الحصول عليه من بسط نفوذ

[53] F.O. 76/18, Warrington to Horton, 15 January 1824.
[54] See A. Adu Boahen, op. cit., p. 126.

C.O. 2/13, Denham to Goulbourn, 10 March 1822.

55 ـ انظر ادناه .
56 ـ انظر : الفصل الثالث .
57 ـ انظر أعلاه .

طرابلس السياسي قد ظلل على نحو متعمد من سيتولون اقراضه، فحيث لا يمكن أن تعنى « السودان » لدى الباشا أقليم تمبكتو — جاو او كامل السودان عموما فأن ذكره لخام الذهب كان محيرا. حيث أن ادعاءه بوفرة خام الذهب بالنسبة لبرنو لا يمكن ان يؤيد بالدلائل المتوفرة. فعلى سبيل المثال أشار المكتشفان البريطانيان دنهام وكلابرتون، اللذان زارا منطقة السودان، خلال 1822 - 1824 الى انه لا يوجد ذهب فى برنو فحسب، ولكن أيضا لا يورد الى تلك المنطقة[58].

ومع هذا يوجد مصدر واحد يمكن أن يكون ذا دخل كبير، من برنو والذى كان اهتمام الباشا موجها اليه على وجه الخصوص وهو تجارة الرقيق، بيد أن الباشا قد لفق فى طلبه عدم اهتمامه بتلك التجارة بل وعبر عن استعداده لالغائها، ذلك لان الباشا كان من البداية وكنتيجة لمناقشاته السابقة مع القنصل الانجليزى، على علم برغبة الانجليز فى ايقافها.

ليس من السهل فيما يبدو تحديد مساهمة دخل تجارة العبيد بالنسبة لاقتصاد طرابلس العام وعلى وجه الدقة فى ذلك الوقت، بيد أنه لا يوجد شك فى أنه كان كبيرا، ويمكن أخذ فكرة عامة من كتابات الرحالة الانجليز، الذين شهدوا تجارة الرقيق عبر الصحراء ومن كتابات القنصل الانجليزى الذى كان فى طرابلس أثناء تلك الفترة. وكانت المدينة آنئذ ميناء رئيسيا على ساحل الشمال الافريقى يصدر منه العبيد الى أجزاء أخرى فى المغرب وأزمير والقسطنطنية وأماكن أخرى فى تركيا[59]. وقدر لايون وجوزيف رتش فى سنة 1819، بأن عدد العبيد المصدر سنويا عن طريق طرابلس يتراوح ما بين 3,000 و 4,000 بالاضافة الى حوالى 1,000 آخر عن طريق ميناء بنغازى[60] وقدر هيو كلابرتون ودنهام، فى سنة 1822 - 1824، بأنه يتم شراء حوالى 2,000 من العبيد سنويا، فى أراضى الهاوسا[61] لسوق طرابلس، وذكر الانجليز والجمعية الخارجية لمقاومة الرق فى سنة 1842، أن رقم العبيد الذى أعيد تصديره من طرابلس أكثر من

58 E. W. Bovill (ed.) op. cit., Vol. III, p. 524.
59 F.O. 76/12, Warrington to Bathurst, 17 April 1818.
60 C.O. 2/9, Ritchie to Bathurst, 24 March 1819.
61 C.O. 2/13, Lieut. H. Clapperton to R. Wilmot Horton, 6 June 1825.

2,000 [62] ولذا يستطيع الباشا أن يتحصل فى السنوات الجيدة بحساب 5 دولارات للشخص الواحد على دخل يزيد على 20,000 دولار وقدر القنصل وارنجتون معدل دخل هذا المصدر بحوالى 10,000 دولار [63] . كما يستطيع الباشا بغض النظر عن دخل الضرائب أن يكسب دخلا كبيرا من البيع الفعلى للرقيق والتى يمده بما يتراوح بين 100و200 دولار للشخص الواحد . وكان معظم هؤلاء العبيد يرسل له كجزء من الضرائب التى تدفعها الاقاليم ، وخاصة من أقليم فزان . فقد أرسل باى فزان ، على سبيل المثال فى سنة 1818 ، للباشا حوالى : 1,300 من العبيد وبلغت قيمتهم حوالى 130,000 دولار [64] .

كان يشار الى برنو ، فى ذلك الوقت على وجه الخصوص بأنها مصدر للعبيد لا ينضب [65] وهو وضع ساعد عليه جزئيا استمرارية حالة الحرب فى بلاد الهاوسا كنتيجة لجهاد الفولانى بالاضافة الى الحروب الدائمة بين برنو وادى باقرمى الخ .. فى حوض تشاد ولذلك كانت برنو بالفعل سوق السودان الذى كان يوفر أكبر رقم من العبيد الذين يرسلون عبر الصحراء الى طرابلس خلال تلك الفترة من العقد الثانى والثالث للقرن التاسع عشر ، وفى ذلك سبرر هام لرغبة الباشا فى ضمها الى ممتلكاته الاقليمية .

ولقد قدرت تلك الاعتبارات الاقتصادية من قبل الباشا حق قدرها لذلك فعلى الرغم من أن بريطانيا فشلت فى مساعدته بالقرض المالى الذى طلبه فى سنة 1820 وعلى الرغم من أن المخطط كان يواجه عقبات أخرى فأنه قرر أن يخاطر بتنفيذه فى الفترة 1822 ـ 1824 .

ومع هذا فبين الوقت الذى بدأ فيه الباشا التفكير جديا فى مد سلطان طرابلس الى برنو والوقت الذى تمت فيه المحاولة الفعلية لتنفيذ الخطة ، فى الفترة 1822 ـ 1824 استمر الباشا فى محاولة اظهار العلاقات الودية بين طرابلس وبرنو هكذا كان الوضع الذى يبدو أنه قاد ببطء الى الاعتقاد بأن :ـ

الباشا كان أثناء ذلك

[62] *Report of the British & Foreign Anti-Slavery Society*, 1840–44, *First Annual Report* (Rhodes House, Oxford), p. 170.

[63] F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 5 July 1822.

[64] F.O. 76/12, Warrington to Bathurst 9 October1818.

[65] C.O. 2/13, Part 2, Oudney to Wilmot; also E. W. Bovill (ed.) op. cit., Vol. IV, p. 768.

(يعنى بعد 1818) على
علاقة طيبة مع محمد الكانمى .
شيخ برنو . [66]

ولكن يتضح مما ذكر أعلاه عن غارات المكنى فى اقليم برنو [67] ، ومن الكتابات عن عزم طرابلس على غزو ذلك الاقليم والتى سيأتى شرحها [68] أن الصداقة بين الباشا والشيخ كانت مسألة مظهر اكثر منها حقيقة .

ورغم ذلك فأن المناخ الزائف للعلاقات الودية جعل من الممكن قيام الدولتين بهجمة عسكرية مشتركة على باقرمى ، فى سنة 1821 [69] . فى ذلك العام وتلبية للنداءات المتكررة من الشيخ الكانمى أمر الباشا مصطفى الاحمر ، وهو جورجى الاصل حل محل المكنى فى بداية سنة 1820 بايا على فزان ان يستجيب لطلب برنو المساعدة العسكرية ضد باقرمى [70] ، فى مارس سنة 1821 ، بقوة بلغت حوالى 450 خيالا ، و 1,300 من المشاة ، الى جانب 2,000 دابة حمل [71] . وترافقت قواته مع قوات الشيخ الكانمى عند الفتاح . وخربت الحملة المشتركة جزء كبيرا من الاقاليم الشمالية الغربية لباقرمى ونهب وسلب المدن الهامة لباباليا وجاوى [72] . ولم يحفظ ماسينيا عاصمة باقرمى الا هروب سكانها مع ملكهم المسن عبر نهر شارى نحو الجنوب وانتهت الحملة الموفقة والتى قامت أيضا فى فترة مبكرة وهى فى طريقها الى باقرمى ، باخضاع شيخ كانم المتمرد ويدعى فوجبو [73] وسر الشيخ سرورا عظيما بتحالفه العسكرى مع طرابلس . خاصة ان

---

66 A. Adu Boahen, op. cit., p. 45.

67 ـ انظر اعلاه .

68 ـ انظر ادناه .

69 ـ حول حملة باقرمى التى تتبع ، انظر : C.O. 2/13, 'Denham's Record of Sheikh Mohammed's Statement'.

لقد كان الشيخ محمد هذا تاجرا من غدامس ، والذى ادعى انه اقام 13 سنة فى سجن باقرمى . ورافق فى سنة 1821 الحملة المشتركة بين طرابلس وبرنو ، وعلى هذا تعتبر معلوماته معلومات شاهد عيان . انظر ايضا : Henry Barth (op. cit., Vol. III, p. 439) خلط خطا بين حملة سنة 1821 ، مع غزوة مبكرة تحت قيادة المكنى فى سنة 1818

AFF. ET. B1, Mure to Montmorency, 10 March 1822, in C.C.T.B. Tome 35.

70 C.C. 2/13, Denham to Goulburn, 10 March 1822.

71 F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, PS dated 20 July 1822, تشتمل ، ملاحظات ، حول مقابلة مع مصطفى الاحمر ، انظر عدد القوة التى ذكرها الشيخ محمد فى كتاباته مشيرا اعلاه ـ 2,500 جندى ، و1,000 حصان و4,000 راسا من الابل

72 ـ فشلت جميع جهودى فى تحديد هذه المواقع .

73 ـ وخلال سنة تالية فى 1822 ، راى دنهام اثنتين من بنات الشيخ فوجبو ، قد أخدتا كسبيتين الى طرابلس . انظر :

الحملة مكنته أيضا من تنصيب شيخ لكانم موَال لبرنو ليحل محل فوجبو [74] . كما دمرت باقرمى بدرجة بالغة بحيث اضطرت فى السنة التالية 1822 الى التماس السلام وقبول سيادة برنو [75] .

كذلك كان نجاح حملة باقرمى باعث سرور لباشا طرابلس ، فقد مكنت جنوده من التوغل بشكل أعمق فى السودان [76] . وكان على أمل بأن التدريبات والخبرة العسكرية التى أكتسبها أولئك الجنود ستثبت فائدتها عند الاحتلال النهائى لبرنو . أما العائد المباشر لتلك الحملة ، فيتمثل فى ثروة هائلة من الغنيمة : 6,000 رأس من الابل ، ومن 5,000 الى 6,000 من العبيد [77] ـ والتى كان للباشا النصيب الاكبر منها .

هذا ويمكن النظر الى تلك الحملة على أنها كانت تمثل أوج العلاقات الطيبة بين طرابلس وبرنو ، والتى بدأت بتلميحات الكانمى سنة 1817 . وذلك ما اعتقده أيضا بعض المراقبين المعاصرين والذين من بينهم على سبيل المثال القنصل وارنجتون الذى كتب فى تقريره الذى أرسله الى حكومته عنها ما يلى :ـ

> ان الايالة هى الان على افضل علاقات
> ودية مع ملك برنو ، الذى طلب المساعدة
> من باى فزان فكان هذا النصر من ثمارها [78]

كذلك فإن الشيخ الكانمى شارك وارنجتون وجهة نظره . ويفسر ذلك قراره الفورى بعد الحملة مباشرة بوضع ثلاثة من ابنائه تحت عناية باى فزان [79] ، الذى صحبهم معه الى مرزق مبينا بذلك مدى ثقته فى علاقات طرابلس مع برنو وعلى الرغم من ذلك بدأ الشيخ الكانمى بعد مضى حوالى سنة يتشكك فى نوايا الباشا حيال برنو .

R.G.S.: Denham's original
draft for Journals for 29 May 1822 but omitted in the published narrative.

74 See Sheikh Mohammed's account, cited in note 69.

75 C. O. 2/13, Part I, Major Denham to Bathurst, 4 May 1822

76 F. O. 76/15, Warrington to Bathurst, 22 October 1821. I use 'Sudan' here in its generic application.

77 C. O. 2/13, Part I, Major Denham to Goulbourn, 10 March 1822; Part II, Oudney to Bathurst, 20 May 1822. Also AFF. ET. B[1], Mure to Montmorency 10 March 1822 in C.C.T.B. Tome 35.

78 F. O. 76/15, Warrington to Bathurst, 22 October 1821.

79 C. O. 2/13, Part I, Major Denham to Goulbourn, 10 March 1822.

لقد تولد ذلك الشك نتيجة لتصرفات الباشا حيال فريق الاستكشاف البريطانى القاصد برنو والذي وصل طرابلس بين اكتوبر وتوفمبر 1821 وكان مكونا من الدكتور أودنى والنقيب كلابرتون والرائد دنهام الذين أرسلوا من قبل الحكومة البريطانية فيما سمى بعثة برنو (80) فعمد الباشا الى تأخير هذه المجموعة لما يقرب من سنة فى طرابلس، ثم فيما بعد فى مرزق، عاصمة فزان وحير ذلك القنصل الانجليزى الذى سبق ان كتب الى حكومته بحماس عن رغبة الباشا فى « قيادة الرحالة الى برنو » (81).

لم يكن موقف الباشا كما ظن ورانجتون خطأ نتيجة لرفض بريطانيا منح أى نوع من الوضع الدبلوماسى لحسونة الدغيس، الذى وصل الى لندن فى سنة 1821 ليطالب بموافقة الباشا بدين جده حسونة الدغيس الذى ادعاه والده محمد على الحكومة الاسبانية (82) كما أنه لم يكن بسبب سوء فهم الباشا لنوايا الحكومة البريطانية فى ارسالها لهذه البعثة لان الباشا سمح ومنذ حوالى سنة 1818 بأن تكون طرابلس « البوابة الشمالية » (83) للاستكشافات البريطانية فى دواخل افريقيا لانه كان مقتنعا بعدم وجود اية دوافع سياسية للانجليز وأن الاستعمار لم يكن لصالح الاهداف البريطانية (84).

أن السبب الحقيقى هو كما وصفته آسفة وزارة المستعمرات

---

80 ـ لقد سميت بعثة برنو، بسبب احد افرادها (والذى قصد فى الاساس ان يكون قائدا هاما وعينه الدكتور اودني ليكون نائبا للقنصل فى برنو. ام السبب الثاني، فقد كان احد افرادها الأخرين الرائد دنهام، والذى سيتخذ برنو قاعدة لاستكشافاته، لتتبع مجرى نهر النيجر Tha Niger، والذى، طبقا للتعليمات، « ... يعتقد انه ينبع من برنو حتى نهايته ». (واضيفت تعليمات دنثي ببساطة، عند الضرورة الى بعثة برنو). وللمعلومات كاملة ومفصلة حول البعثة، انظر: E . W . Bovill (ed.) op — cit vol . II -Iv والتى هى طبعات من « سرد » حول الحملة، ولكن بشروح جيدة. ومن اجل مختصر مفيد ;نظر:

W. Bovill, *The Niger Explored* (Oxford, 1968), Chap. V, and also my review of it in *Africa: Journal of the International Institute:* XXXIX, 3, (July, 1969), pp. 314–5. See also A. Adu Boahen, op. cit., Chaps. 1–4, and AFF. ET. B[1], Mure to Montmorency, 24 September 1822, in C.C.T.B. Tome 35.

81 F. O. 76/14, Warrington to Bathurst, 5 August 1820.

82 ـ كان الدين ماتم التعاقد عليه فى اوقات مختلفة، كما اشير اليه فى الفصل الثالث، من قبل القنصل العام الاسباني فى طرابلس. وتدعى اسرة الدغيس ان تسوية سنة 1813 (الفصل الثالث) لاتغطى ادعاءهم فى 40,000 دولار. كان ماضايق الباشا، الاهمال الواضح من قبل الحكومة البريطانية لرسوله الخاص، الذى نظر اليه كسفير له. فيما يتعلق بالخلافة، انظر:

F. O. 76/16, Warrignton to Wilmot, 1 June 1822, and also William à Court to same, 5 May 1822.

83 A. Adu Boahen, op. cit., Chap. 3.

84 C. O. 2/9, Penrose to Warrington, 24 September 1818.

« عراقيل السلطات المغربية » [85] وفيما يتعلق بالبعثة فأن الباشا قرر استغلال فرصة وجود الرحالة البريطانيين لتنفيذ خطته الاستعمارية تجاه برنو . لذلك بدأ فورا بعد وصول بعثة برنو . فى أواخر سنة 1821 ، فى التخطيط لقوة كبيرة يتم ارسالها مع الحملة الى برنو . وأخير اقر افرادها بأن عليهم الانتظار لبعض الوقت فى فزان لاعطاء الباى هناك الوقت الكافى لتنظيم الجيش الذى يتوجب عليه الذهاب به الى برنو [86]. أما لماذا كان من الضرورى ارسال جيش مع الحرس المرافق للبعثة الذى سبق ان وعد به فأنه اجاب على هذا السؤال بقوله إن ارسال الجيش كان تلبية لطلب برنو [87] ولم يكن هذا الجواب مقنعاً ولذا فإن البعثة البريطانية :-

> حاولت أن تطبع فى ذهن الباشا
> أن يفصل على نحو مميز بين الحرس
> المرافق للبعثة والجيش ، والا يكون
> (الحرس) على نحو مباشر أو غير مباشر
> ملحقا بجيشه والا نكون مسئولين أو -
> ملزمين اطلاقا بأى عمل عدائى ضد أى
> قبيلة فى الداخل [88] .

لم يكن القنصل والرحالة البريطانيون وحدهم الذين شكوا فى نوايا الباشا فيما يتعلق بالغرض الحقيقى لقواته فى السودان . فللشيخ الكانمى نفسه اسباب أقوى للشك ولا يوجد دليل مباشر عن كيفية وصول الاخبار اليه ، ولكن كما سنرى بعد قليل من رد فعله ، قد عرفها اثناء تأخر البعثة فى فزان ، ومن المحتمل انه تلقاها من خلال نفس المصادر التى وصفها الدكتور أودنى ، فى سنة 1821 بأنها «معلومات خاصة» [89] لم يكن كافيا لاثارة شكوك الشيخ الكانمى .

85 F. O. 8/8, Wilmot to Oudney, 26 April 1822.
86 C. O. 2/13, Oudney to Bathurst, January 21 1822.
87 F. O. 76/15, Warrington to Barthurst, 4 November 1821.
88 F. O. 76/15, Warrington to Bathurst, 4 November 1821.
89 - اقتبس فى : E . W . Bovill (ed) , op . cit . vol . III P393 . لان هذا المصدر بكل تاكيد من خلال التجار ، الذين يتجارون بين فزان وبرنو ، انظر على سبيل المثال :
F. O. 76/18, Toole to Warrington, 11, November 1823, as enclosure in Warrington to Wilmot Horton, 2 February 1824.

ان يقوم الباشا ببعض الاستعدادات العسكرية ولكن كما ذاع بين الناس وكما اعترف الباشا بنفسه فأن الجيش كان يعد للتوجه الى برنو . بالاضافة الى أن هدف الحملة لم يكن كما زعم لان الشيخ نفسه كان متأكداً بأنه لم يطلب مثل تلك المساعدة . وزيادة على ذلك فعلى الرغم من ان باقرمى والتى كان من المحتمل ان تحتاج برنو مساعدة طرابلس العسكرية ضدها ، قد استسلمت لبرنو ، فى مايو 1822 [90] وذلك أمر معروف تماما لكل من طرابلس وفزان ومع ذلك فقد أستمر الباشا فى استعداداته العسكرية حتى بعد الضغط من المستكشفين البريطانيين وتمسك القنصل فى شهر يولية 1822 بعدم الاصرار بأن تنتظر البعثة توجه الجيش ، لكن الباشا أصر على أن يصحبها . على الاقل 200 مسلح عربى كقوة مرافقة فأشتكى الدكتور اودنى ، بان ذلك العدد كبير حتى لمتطلبات سلامتهم الشخصية وحدها وهو من المحتمل ايضا ان يثير الشكوك فى الطريق [91]

اما بالنسبة للشيخ الكانمى ، فإن الحرس المسلح المرافق للبعثة الانجليزية قد يكون فريق استطلاع سيعقب فيما بعد بالجيش الغازى . وهذا التفكير يفسر مناخ الريبة الكبيرة ، وحالة الاستعداد العسكرية ، التى وجد عليها المكتشفون البريطانيون برنو فى مطلع سنة 1823 [92] وعند وصولهم قوبلوا خارج كوكا ، عاصمة برنو الجديدة بحوالى 3,000 الى 5,000 من الجنود المدججين بالسلاح ، وكان المقصود مزدوجا :-

اظهار المجاملة للباشا وايضا اظهار مدى استعداد الكانمى لمواجهة اية محاولة من قبل أولئك الذين يختارون ان يكونوا أعداءه [93] .

واثناء تقدم البعثة تجاه المدينة قام الجيش باطباق ميمنته وميسرته واحاط بالحراس العرب المسلحين تماما لكى يأخذ شكل

90 - انظر اعلاه

91 F. O. 76/16, Warrington to Wilmot, 20 and 21 July 1822, and to Oudney, 21 July 1822; C. O. 2/13, Oudney to Wilmot, 17 September 1822, and same to Warrington, 20 May 1822.
92 F. O. 76/17, Warrington to Wilmot, 17 July 1823, enclosing Oudney to Warrington, 1 April 1823, and Denham to Warrington, 4 April 1823.
93 E. W. Bovill (ed.), pp. cit., Vol II, p. 243. The Pāshā's representative here was Bu Khalum, see p. 91 and 104 below.

الترحيب بهم مظهر الاعـلان عن ازدراء ضعفهم . وانني على يقين تام بأن ذلك كان متعمدا (94).

كان مثل ذلك الاجراء يـدون شك مذلا للعرب الذين كانوا فى الطريق يتشدقون بازدراء عن قوة برنو العسكرية ويتفاخرون امام المستكشفين البريطانيين ، بانهم يستطيعون وحدهم بسهولة التهام برنو (95) فهاهم الآن لايتشككون مطلقا فى مدى قوة برنو وهى حقيقة خطط لها الكانمى بترو ليؤثر على نحو كبير ، فى اعضاء البعثة الانجليزية أيضا وبشكل خاص على أولئك الذين كان ينظر اليهم على أنهم أعضاء بعثة يوسف باشا الاستطلاعية وحتى عندما كان فى استقبال البعثة رسميا حرص على الرغم من مظهر البساطة ان يشتمل الحفل على عرض اضافى للقوة المسلحة :-

فقد كان زنجيان مسلحان بالمسدسات على كل جانب من جانبيه ، كما وضعت على سجادته قطعتان من هذه الادوات . وكانت الاسلحة النارية معلقة فى اجزاء مختلفة من الحجرة ..... (96).

واذا ما كان هناك أى تساؤل عن ضرورة كل هذا ، فإن الشيخ نفسه قد قدم الاجابة بعد وقت قصير. فبعد شهر من وصول البعثة ، طلب اودنى الاذن باستكشاف المنطقة التى تقع وراء برنو ، فاجابه الكانمى بأسلوب ودى ولكن بحزم ، رافضا طلبه بقوله : قد يصيبك مكروه فيتخذ الباشا ذلك حجة لغزو بلادى (97) وبعد خمسة أشهر (أى فى شهر اغسطس) سمع المستكشفون البريطانيون ما كان كافيا لان يكتبوا تقريراً عن الذعر العام الذى ظهر فى برنو بسبب عزم طرابلس على الغزو.

يقال ان معلومات خاصة قد وصلت الشيخ من قنوات عديدة مفادها ان الباشا يعتزم ارسال حملة لغرض احتلال برنو (98) وان القوة اللازمة تنظم الآن فى فزان ، من قبل الباى مصطفى الاحمر (99)

94 - المصدر السابق ، ص 245

95 C. O. 2/13, Warrington to Wilmot, 17 July 1823 enclosing Denham Warrington, 4 April 1823.

96 E. W. Bovill (ed.), op. cit., Vol. II, p. 246.

97 C. O. 76/17, Warrington to Wilmot, 17 July 1823 enclosing Oudney to Warrington, 1 April 1823. Also C. O. 2/13, Oudney to Wilmot, 28 March 1823.

98 Quoted in E. W. Bovill (ed.), op. cit., Vol. III, p. 393.

99 C. O. 2/13, Oudney to Wilmot, 12 September 1823.

لقد عاشت برنو تحت وطأة خوف متواصل من غزو ليبى عسكرى طوال تلك الفترة منذ وقت ارسال التقارير المذكورة فى اغسطس 1822 ، وحتى مطلع سنة 1825 . ومما زاد فى حدة الذعر فى شهر اغسطس 1822 تلك الحادثة التى مازال الغموض يكتنف جوانبها ذلك انه بعد حوالى شهرين من وصول بعثة برنو بوخولوم [100] الذى عينه الباشا ليقود فرقة الحراسة العربية من مرزق الى برنو ، اضطرت ويتدخل من الكانمى الى الخضوع الى ضغط من بعض اعضائها الحراس ، للقيام بغارة مسلحة ضد باقرمى او اى من اعداء الشيخ . وأرسل الشيخ نفسه بعض الجنود ، مع أحد قواده بركة جانا ليصحب بوخولوم وزمرته الى مندرا [101] والذى سيساعد حاكمها ، وهو حليف الشيخ فى توجيه الحملة ضد احد جيرانه « الكفار » من قبائل الكردى وسيرسل جزء كبير من عائدات هذه الحملة كهدايا لباشا طرابلس .

وفى نورا عاصمة مندرا دعم الحاكم الحملة المشتركة لبركة جانا وبوخولوم التى تتكون عندئذ من 3,000 شخص بقوة اخرى قوامها 2,000 خيال [102] الا انه لم يأمر الحملة بمقاتلة اى من القبائل «الكافرة » كما كان يتوقع ، وانما بمقاتلة جماعة الفولانى الذين كانو اعداء له كما كانوا اعداء للشيخ الكانمى فى تلك الجوار . وخلال المواجهة التى حدثت فى موسفى هربت فرقة برنو مندرا بغدر عن بوخولوم ومحاربيه العرب القلائل فأعطوا الفرصة للفولانى ليقتل الغزاة بدون هوادة ، بما فيهم بوخولوم ، ونجا دنهام عضو بعثة برنو ، الذى صحب الحملة كمراقب باعجوبة من الموت [103] .

---

100 - كان ابوبكر بوخولوم تاجرا غنيا وصاحب منزلة رفيعة فى مرزق . تم اختياره لقيادة الفرقة المسلحة المرافقة لبعثة برنو ، بسبب « كان دائما على علاقات طيبة مع الشيخ كالى » كانمى » وكان اسمه جواز عبور كافيا ، فى بعض اجزاء من الدواخل . C. O, 2/13, Benhan to Bathurst, 9 September 1822 .

101 - تقع مندارا الى الجنوب من بحيرة تشاد ، وهى اراضى جبلية . وكان لقائدها فى أوائل عشرينيات القرن الثامن عشر تحالفا عسكريا مع الشيخ الكانمى ضد الفولانى ، الذين يرغبون فى السيطرة على مندارا . وكانت « المناطق الكافرة » من مندارا عرضة لغارات منتظمة من قبل قوات برنو . او من قوات قائد مندارا نفسه . وللاطلاع على ملاحظات شاهد عيان لحملة بوخولم ، انظر : Denham's report in E. W. Bovill (ed.), op. cit., Vol. II, Chap. 3. كما ان لدنهم تقريرين آخرين حول نفس الحملة ، انظر : which see F. O. 76/17, Dixon Denham to H. Warrington, Karka, 15 May 1823; and *The Quarterly Review* XXIX, (1823).

102 - انظر تقارير دنهام المشار اليها اعلاه .

103 - المصدر السابق .

وطرح مبعوث الباشا الخاص عددا من الاسئلة ، حول الظروف التى احاطت بموت بوخولوم . لماذا غيّر حاكم مندرا وجهة الحملة التى هجم بها ضد عدو اكثر قوة بدلا من القبائل الوثنية الضعيفة المختارة أصلا ؟ وهل تمت الموافقة على هذا التغيير سرا بين حاكم مندرا والشيخ الكانمى ؟ واذا كان كذلك ، فهل كان من تخطيط الكانمى توريط باشا طرابلس (سيد بوخولوم) مع محمد بللو ، سلطان بسكوتو [104] الذى يدّعى سلطانه على الفولانى فى مندرا ؟ واخيرا لماذا تخلت قوات برنو ومندرا عن بوخولوم فى ميدان المعركة ؟.

قد لايكون الشيخ الكانمى مسؤولا عن الغدر الذى أدى الى موت بوخولوم ، ولكنه بكل تأكيد كان مسئولاً أمام الباشا عن سلامته . ولذلك كان رد الفعل الفورى لدى الباشا احتجاز الرسول الذى ارسل له بأخبار موت بوخولوم فى طرابلس [105] وفى الوقت نفسه امر باى فزان بتنظيم القوة اللازمة وكذلك طلب من المكنى الباى السابق لفزان مساعدة مصطفى الاحمر [106] بحكم خبرته السابقة فى شئون اقليم برنو . على ان الباشا فى طرابلس حاول ان يحفظ أسرار تحركاته على نحو ملحوظ لكى لا يثير مخاوف المستكشفين البريطانيين ، والذى ضمن سلامتهم باتفاقية مع الحكومة البريطانية [107] وهذا ما حمل القنصل البريطانى على الكتابة لحكومته فى شهر فبراير عام 1824 ما يفيد بانه لا اساس من الصحة [108] للخوف المتزايد فى برنو من اعداء طرابلس للقيام بغزوها كما ورد فى التقارير التى ارسلها المستكشفون .

---

104 ــ وحيث كان السلطان ، فى ذلك الوقت ، على علاقة طيبة مع باشا طرابلس ، والذى استلم منه مؤخرا بعض الهدايا ، فقد عبر عن دهشته ، حول تصرف بوخولوم ، عميل الباشا ، الى كلابرتون ، فى شهر فبراير عام 1824 ، وعلى هذا « انا متاكد من ان الباشا لم يعن ابدا ان يضربنى بيد ، فى حين يقدم الهدايا باليد الاخرى : على الاقل تبدو طريقة غريبة بالنسبة للاصدقاء » انظر :

-Clapperton's Narrative, Section III, quoted in E. W. Bovill (ed.), op. cit., Vol. IV, p. 677 -

105 F. O. 76/18, Denham to Warrington, 11 September 1823; AFF. ET. B[1], Mure to Chateaubriand, 14 July 1823, in C.C.T.B. Tome 35.

106 ــ المصدر السابق . وايضا :

Toole to Warrington, 11? November 1823; H. Barth, op. cit., Vol.III, p. 440.

107 ــ كان الباشا سيتسلم 5000 جنيه استرلينى للقيام ببعثة برنو والعودة الى طرابلس . انظر :

F. O. 76/14, Warrington to Bathurst, 5 August 1820; and F. O. 76/18, Warrington to W. Horton, 4 September 1824.

108 F.O. 76/18, Warrington to W. Horton, 2 February 1824.

مع هذا ، فقد كانت رسالة وارنجتون مظللة بالنظر لما كان يجرى فى فزان ، وكان من الواضح ، ان الباى هناك ، يتصرف طبقا لارشادات الباشا ، حيث قفل برنو عن التجار العرب والتبو والتجار الاخرين عن طريق فرض ضرائب مرهقة على جميع ما يورد من برنو منذ حوالى سبتمبر عام 1823 [109] . ثانيا ، رفض ان يطلق سراح ابناء الشيخ الكانمى عندما طلبوا ذلك وساند ذلك الرفض بالتهديد باستعمال القوة اذ اعتبر اولئك الابناء عندئذ رهائن مقابل « اذعان واخلاص » والدهم فى المستقبل [110] .

لقد تصاعد الشك والتوتر فى برنو ، نتيجة للتقارير المتعلقة باعمال الباى فى فزان والحقيقة ان الباشا قطع ببراعة جميع الاتصالات الرسمية مع برنو ، حيث احتجز الرسول الذى احضر أخبار موت بوخولوم : « ... كان الكل مذعورا ومرتبكا ، وأن كل أنواع التقارير ظهرت للوجود ..... » [111] وعلى هذا تحتم على الشيخ ان يقوم باتخاذ بعض الاحتياطات الامنية للبلاد . وامر بخروج بقية الحراس العرب الذين نجوا من مذبحة مندرا على اساس انه ..... لايريد ان يكون لديه جنود عرب مسلحون فى برنو لاية مدة أخرى [112] .

ثم اقام قوة حارسة قوية ، على طول مشارف الصحراء التى تقود الى برنو ، وكان على هؤلاء الاتصال بكوكا فورا ، اذا ما شاهدوا اية تحركات عسكرية تجاه برنو . واخيرا مع نهاية السنة ، نوفمبر 1823 امر بخروج جميع العرب من اقاليمه فى خلال شهر [113] واخذ الشيخ بعض الاحتياطات الدفاعية ، الى جانب كل تلك الترتيبات الامنية فبالاضافة الى اصلاح اسوار المدن ، وتزويدها بحراس كان هناك التجنيد المعتاد ، والتدريبات واستعراض الجنود ، وزاد من أسلحته بالحصول على ذخائر حربية جديدة من مدافع ومسدسات وبنادق قصيرة وبتصنيع الخرطوش محليا ، فى حين وظف بعض الرجال للعمل يوميا فى شحذ وصنع رؤوس الحراب [114] .

---

109 F.O. 76/17, Warrington to W. Horton, 7 November 1823.
110 C.O. 2/13, Denham to Goulbourn, 10 March 1822.
111 Major Denham's 'Narrative' in E. W. Bovill (ed.), op. cit., Vol. III, p. 403.
112 F.O. 76/17, Toole to Warrington, 24 September 1823.
113 F.O. 76/18, Toole to Warrington, 11? November 1823.
114 Major Denham's 'Narrative' in E. W. Bovill (ed.), op. cit., Vol. III, p. 412.
كان دنهام مفيدا جدا هنا ، يشرف على صناعة الخرطوش ، انظر المصدر السابق .

ظل الشيخ ينتظر بعد هذه الاستعدادات الدفاعية والامنية وكله تصميم على مقاومة غزو الباشا والذى كان متوقعا فى اى وقت بعد رحيل المستكشفين طبقا للتقارير الواردة بالخصوص . وفى أثناء ذلك قرر الشيخ ان يقوم المستكشفون بممارسة بعض الضغط على الباشا عن طريق القنصل الانجليزى لاطلاق سراح ابنائه من فزان وليكف عن القيام بغزوته المبيتة[115] .

لقد أظهرت المحادثات بين الباشا والقنصل البريطانى فى مطلع نوفمبر 1822 حول اطلاق سراح أبناء الشيخ الكانمى[116] الكثير من براعة الباشا الدبيلوماسية ففى حين أعترف بأن احتجاز الابناء كان طبقا لاوامره ، الا انه اكد بأن ذلك لم يكن الا من اجل سلامة المستكشفين الانجليز فى ارضه . واذا ما توجب اطلاق سراح الابناء الان كما طلب القنصل ، فإنه يود اولا ان يعفى من مسئولية التعهد الذى قطعه على نفسه بحماية المستكشفين الى ومن برنو وحيث ان القنصل ما كان ليستطيع الموافقة على ذلك الشرط ، فقد فشلت المحادثات . وعندما استؤنفت فى اليوم الثالث (8 نوفمبر) اقترح الباشا صيغة جديدة ، كانت ترمى الى خدمة « أهدافه السياسة »[117] وبمقتضاها يقوم الباشا والقنصل بالكتابة الى الشيخ بما يفيد بان تاخر ابنائه كان بسبب الانتظار لهذه الرسائل وايضا الهدايا من الباشا ومن الحكومة البريطانية واذا لم يكن بامكان الشيخ الانتظار اية مدة اطول فيمكنه ان يجدد طلبه الافراج عن ابنائه عن طريق الدكتور اودنى الى باى فزان ، اما فيما يتعلق بمسألة الغزو ، فإن الباشا نفى ان تكون لديه اية نوايا عدوانية تجاه برنو .

ومع هذا ، فان هذا النكران ، لم يزل الذعر والشك فى برنو . ومن ثم ، فعندما ارسل الشيخ فى فبراير عام 1824 ، الحاج على كمبعوث خاص الى الباشا للحصول على أمره بأطلاق سراح الابناء فى فزان[118] اثير موضوع غزوه المخطط مرة اخرى ولكن الباشا كرر نفيه

---

115 C.O. 2/13, Denham to Warrington, 12 September 1823.

116 ـ انظر :

117 ـ المصدر السابق

F.O. 76/17, Warrington to R. Wilmot Horton, 7 & 8 November 1823.

118 F.O. 76/18, Warrington to R. W. Horton, 2 February 1824.

ولكنه لم يصدق مرة اخرى ، ولذا فقد التمس مبعوث الشيخ بالنيابة عن سيده التدخل الانجليزى ، عن طريق القنصل ، لايقاف غزو الباشا المرتقب :

لقد كانت اخر كلمات موظف الشيخ التوسل لان تقوم بريطانيا ، بمنع ارسال أى جيش ضد أبناء وطنه [119] .

وعلى الرغم من ان بريطانيا ، كانت مهتمة بالعلاقات بين طرابلس وبرنو بسبب اعمالها الاستكشافية فى دواخل افريقيا [120] فإن تدخلها لم يتعد الضغط غير المباشر والذى مارسته حتى ذلك الوقت من خلال مستكشفيها وقنصلها محاولة حمل الباشا التزام الضبط بعدم القيام بأية سياسة عدوانية تجاه برنو . لقد ساعد ذلك الضغط قضية برنو وكان الرأى العام هناك إن وجود المستكشفين البريطانيين فى برنو ، خلال 1822 ـ 1824 قد منع وقوع غزو الباشا المبيت على تلك البلاد[121] .

ولكن اذا كان صحيحا ان بعثة برنو كانت العامل المساعد فى منع تنفيذ مخطط الباشا فى الفترة1822 ـ 1824 ، فلماذا لم ينفذ ذلك المخطط بعد رحيل البعثة كما كان متوقعا ؟ ، ولماذا تم التخلى على المخطط بحلول سنة 1825؟ ان الاجابة تتبلور فى عاملين اساسيين : الاول واجه الباشا مشكلة من سينظم بفاعلية القوة الضرورية للعملية ، فمصطفى الاحمر باى فزان والذى اوكلت له المهمة ، قد برهن بأنه ضابط مخلص وفعال ولادل على ذلك من ادارته لحملة باقرمى ، خلال سنة 1821ـ1822، (122) ولكنه كان يعانى من توعك صحى . فبعد شهر سبتمبر سنة 1823 بقليل وعندما امر الباشا بتصعيد عمليات التعبئة وقع مصطفى ضحية لداء السل والذى استمر فى انهاكه حتى مات اخيرا فى نهاية تلك السنة (123) .

---

119 ـ المصدر السابق ، وايضا Warrington to Horton, PS dated 28 February 1824.

120 ـ حول هذا العمل الاستكشاق ، انظر :
A. Adu Boahen, op. cit., Chaps. I-IV;
E. W. Bovill (ed.), op. cit. Vols. I-IV; and his *The Niger Explored.*

121 R. G. S., Denham to Bathurst, 12 September 1823.

122 ـ انظر اعلاه .

123 F.O. 76/17, Toole to Warrington, 24 September and 8 October, 1823;
F.O. 76/18, Warrington to Toole, 21 January 1824.

وبموت مصطفى الاحمر وقع مشروع برنو فى مشاكل ايجاد المنظم - فالى جانب المتوفى كان هناك المكنى الذى بدا مخطط برنو مع الباشا والذى ارسل نحو الجنوب لمساعدة مصطفى فى شهر سبتمبر عام 1823 (124) وعلى الرغم من ذلك، فمن المحتمل ان الباشا امتنع عن اسناد قيادة مغامرة برنو للمكنى بسبب طموحات الأخير الشخصية. فقد اشار رتشى ولايون اللذان كانا آنئذ فى بعثة استطلاعية بمرزق اثناء باكاوية المكنى، لخطة سرية وضعها المكنى لاستغلال الباشا فى تحقيق طموحه الشخصى. فكان سيحث الباشا على توفير الاموال اللازمة لاعداد الجيش والذى سيهزم به برنو. ثم بعد ذلك يتنكر لتحالفه مع طرابلس. وينصب نفسه حاكما مستقلا على برنو (125). والان وحيث ان المكنى بدون منصب، يبدو من المحتمل انه كشف عن دوافعه الخفية تجاه مشروع برنو للباشا، والذى إعرض عن توليته قيادة المخطط بعد موت مصطفى الاحمر

اما العامل الثانى والاكثر قبولا فى مسألة فشل تنظيم القوات فى فزان فهو العامل الاقتصادى. لقد كانت مشكلة الباشا الرئيسية تكمن فى كيفية ايجاد راس المال للعملية. وقدر فى سنة 1820 كما اشير اعلاه (126) بانة سيحتاج الى حوالى 25,000 جنيه استرلينى ولكن ولسوء الحظ كانت فترة 1817- 1824 فترة دخل محدود فلم تغط مصادره المالية مصاريفه المختلفة الا بصعوبة. وبالفعل وقع الباشا فى الدين بحلول سنة 1824، واصبح مدانا لتجار الدول الاوروبية المختلفة بحوالى 250,000 جنيه استرلينى (127). ولمحمد على باشا مصر بـ 250,000 جنية استرلينى اخرى (128) فأصبحت مجموع ديونه حوالى 500,000 جنيه استرلينى .

---

124 - انظر اعلاه .

125 C.O. 2/9, Ritchie to Goulbourn? 10 May 1819; Capt. Lyon, op. cit., p. 294.

126 - انظر اعلاه .

127 F.O. 76/18, Warrington to Horton, 31 March 1824

128 F.O. 76/17, Warrington, to Horton, 16 November and 2 December 1823.

ربما جاء الدين من محمد على، نتيجة لمساهمة الباشا فى الحرب العثمانية. اليونانية هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، من الشراء الطارىء للحبوب، الذى قامت به طرابلس من مصر، اثناء مجاعة سنة 1819 - 1820، حول هاتين المسالتين، انظر: الصفحات الاخيرة من هذا الفصل.

وقد وقع الباشا تحت طائلة هذه الديون الهائلة ، فى نفس الفترة التى حاول فيها توسيع اراضيه الى برنو نتيجة للعوامل التالية .

الاول الغاء الاتجار بالرقيق المسيحى فى سنة 1816 وهو كما اشير اعلاه (129) يحرم الباشا من جزء كبير من دخله عن طريق القرصنة . فاذا ما واسى نفسه بان جزءا هائلاً من مصادر القرصنة مازال متوفرا عن طريق بيع السفن المؤسرة واحمالها ، فإنه عندئذ لايخدع الا نفسه ذلك لان بيع السفن ألغى فى مؤتمر أكسس ـ لا ـ تشبيل المنبثق عن مؤتمر فيينا حيث قرر « الخمسة الكبار » من الدول الاوروبية ـ بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا وفرنسا ـ طبقا للمادة 39 من مسودة اتفاقية ذلك المؤتمر :

.. القيام بجهد رسمى عن طريق المفاوضات لحث دول شمال افريقيا فى النهاية على التخلى عن اعمال السلب ... (130) .

وعلى هذا ففى سنة 1819 ظهر على ساحل طرابلس اسطول انجليزى ـ فرنسى مشترك ، تحت قيادة توماس فريمانتل والعميد بحرى جورين لاجبار الباشا على توقيع اتفاقية يعلن بموجبها نهاية هجومات القرصنة من قبل قراصنته ، فى البحر المتوسط (131) .

وهكذا تم تقييد القرصنة فيما بين 1816 ـ 1819 تدريجيا ثم تقلصت عملياتها واخيرا منعت نهائيا . وكانت لهذه التطورات اثار خطيرة على مصادر الباشا المالية او كما صاغها وارنجتون :

كان مفعول ابطال تجارة الرقيق حرمان الباشا من جميع مصادر الدخل تقريبا ، والتى دعمت هذه الايالة لعصور . (132) .

تكمن اهمية هذا التصريح ، بانه خلال الفترة التى اعقبت « الالغاء » مباشرة ازدادات مشاكل الباشا المالية تفاقما ، ومن ثم وقع فى الدين كما اشير اعلاه (133) .

ثانيا : لقد جره التخفيض المفاجىء لدخله من خلال الالغاء فى سنة 1817 ـ 1818 ، لتبنى اجراءين كان لهما مضاعفات خطيرة

---

129 ـ انظر : الفصل الثالث اعلاه

130 C.O. 2/10, F.O. to Sir R. Liston, 18 May 1819.

131 — c . o . 2/10, إن مجلد المراسلات باكمله حول البعثة الانجليزية الفرنسية المشتركة الى دول شمال افريقيا لاخضاع القرصنة ، انظر ايضا :

AFF. ET. B1, Mure to Dessole, 12 and 19 October 1819, in C.C.T.B.Tome 34.

132 F.O. 76/19, Warrington to Bathurst, 8 August 1825.

133 ـ انظر نهاية الفصل .

على اقتصاد الدولة فيما بعد ، ففى ابريل عام 1817 طلب القنصل البريطانى ، تعويضا من الباشا عن سفينة من هانوفر ، تم تاسيرها فى سنة 1816 من قبل احد قراصنة طرابلس (134) وبالنظر لان الطلب جاء بعد سنة فقط ، من التهديدات البحرية للورد اكسماوت فى البحر المتوسط ، لم يكن امام الباشا خيار الا الموافقة على دفع ماطلبه القنصل ، وهو حوالى 8500دولار .

ولم يكن فى استطاعة الباشا دفع اى مبلغ اكبر نقدا (135) بسبب ظروفه المالية الصعبة ، لذا اضطر للدخول فى اتفاق مع القنصل لدفع نصف « الفاتورة » بعملة طرابلسية ، والنصف الباقى بالشعير ليباع فى مالطا . وقبل النصف الثانى من الاتفاقية فورا ، واستمر الباشا خلال عشرينيات القرن التاسع عشر (136) فى التعهد بتسخير انتاج بلاده لتسوية ديونه . بيد ان النصف الاول من تعهد الباشا ، قد واجه مشاكل ، فعند تسديد بعض الدفعات بصعوبة قرر الباشا فى أواخر سنة 1818 كأجراء يائس تخفيض قيمة عملة طرابلس . وسرعان ما بدا التضخم ويسرعة وخلال سنة واحدة ، وصل معدل 200٪ (137) . وافلت من يده وبالتدريج زمام التحكم فى التضخم مع اواخر عشرينيات القرن التاسع عشر كما سنرى فيما بعد (138) .

ثالثا : وبصرف النظر عن آثار الالغاء والتخفيض هناك ايضا ، خلال تلك الفترة تكرار للكوارث الطبيعية ، والتى حلت بطرابلس منذ حوالى اواخر القرن الثامن عشر (139) فقد ادت قلة الامطار فى سنتى 1819 ـ 1820 الى حالة من المجاعة ، فالصورة العامة لم يسبق لها مثيل فى الضيق والفاقة (140) على الرغم من استيراد كميات كبيرة من الحبوب من الاسكندرية وحتى من اوروبا . وسببت قلة المواد الغذائية تضخما عاما ولم يقتصر على المدن الساحلية

---

134 F.O. 76/11, Warrington to Goulbourn, 15 April 1817.

135 F.O. 76/13, Warrington to Goulbourn, 25 August 1819.

136 ـ انظر : الفصل الخامس أدناه .

137 F.O. 76/13, Warrington to Goulbourn, 25 August 1819; AFF. ET. B[1], Mure to Dessole, 30 October 1818.

138 ـ انظر الفصل الخامس ادناه .

139 ـ انظر : الفصل الثانى اعلاه .

140 F.O. 76/14, Warrington to Bathurst, 7 February 1820.

الكبيرة كطرابلس وبنغازى ولكنه انتشر ايضا فى الدواخل . واشتكى المستكشفان البريطانيان ، ريتشى والقبطان لايون ، على سبيل المثال بمرارة من ان المواد الغذائية فى مرزق عاصمة فزان كانت « غالية الثمن » ([141]) .. ولاكمال الحلقة المعتادة تفشى عام 1820 ، وباء حمى التيفوس ([142]) فى طرابلس ووباء الطاعون بدرنة . وكان لهذين الوباءين اثارهما السيئة على السكان . وبحلول سنة 1822 كان خراب الكثير من البيوت فى طرابلس وصورة « الدمار » ([143]) فى بنغازى تعبيرا عن حالة الانهيار العام الذى اصاب خلال سنتى 1819 ـ 1820 يخبر قصة الكساد العام لسنة 1819ـ1820 .

رابعا : اجبر الباشا وبسبب عامل خارجى على استنزاف مصادره المالية المحدودة فى ذلك الوقت . فقد كان اليونانيون منذ حوالى 1821 فى تمرد ضد الباب العالى ([144]) الذى اجبر حكام الشمال الافريقى ، فى تونس والجزائر وحتى فى مصر (تحت محمد على) على المساهمة فى المجهود الحربى . وحيث ان يوسف باشا مازال تابعا من الناحية الشرعية للباب العالى فانة كان لزاما عليه ايضا ان يسهم فى الحرب العثمانية اليونانية . وبذلك قام فى سنة 1821 بشراء وتجهيز سفن حربية وضعها تحت تصرف السلطان ([145]) وكما اشترى سفناً جديدة ، فى الفترة مابين 1823 و 1824 وبعث ما مجموعه حوالى 8 سفن الى بحر ايجة بنيت ثنتان فى حوض سفن بحرية طرابلس ([146]) وليس من السهل تحديد مجموع مصاريف الباشا البحرية على وجه الدقة ، حيث لاتوجد احصائيات عن تكاليف اصلاحات للسفن القديمة ولا السفن التى تم بناؤها محليا . الا ان السفن التى قام بشرائها من التجار الاوروبيين ، قد كلفت حوالى 70,500 دولار ([147]) سبب هذا بكل تاكيد اعباء مالية اضافية

---

141 C.O. 2/9, Ritchie to Warrington, 8 August 1819; and Ritchie to Goulbourn? 24 March 1819.

142 F.O. 76/14, Warrington to Bathurst, 7 February 1820.

143 C.O. 2/12, H. Bechy to Bathurst, 15 March 1822.

144 For a brief and up-to-date account, see M. S. Anderson, *The Eastern Question* 1774–1923 (London, 1966), Chap. 3.

145 ـ فعندما كان الباشا بطيئا حول القيام بهذا الواجب استلم توبيخا قاسيا من الباب العالى ، فى اواخر سنة 1823 . انظر :

AFF. ET. B[1], Vattier de Bourville to Chateaubriand, 1 January 1824, in C.C.T.B. Tome 35.

146 F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 17 October 1823; F.O. 76/18, same to Horton, 31 December 1824.

147 ـ وضع هذا التقرير طبقا لاحصائيات قدمها

وهكذا فإنه من الصعب على الباشا ، مع كل هذه المتطلبات على مصادره المالية ، ومع ازدياد ديونه ، ان يوفر 25000جنيه استرلينى (125000دولار) لتنفيذ مخطط برنو ولكن بتقديره المزايا الاقتصادية التى سيتحصل عليها نتيجة للمغامرة فإنه قرر ان يوفرها من قرض خارجى طلبه من الحكومة البريطانية فى سنة 1820(148) وحيث ان تلك الحكومة غير راغبة فى ذلك ، فان حصول الباشا على القرض لم يتم . وظلت احتياجاته المالية الاخرى فى تزايد مطرد ، وخاصة مصاريفه البحرية والتى كانت اقل صعوبة فى ايجاد دائنين الامر الذى قرر به مرة اخرى ان يجرب حظه مع الحكومة البريطانية ففى سنة 1824 قدم الباشا ، طلبه الثانى من اجل قرض بريطانى ، بمبلغ قدره 50,000 جنيه استرلينى على ان يسدد فى خلال 4 الى 6 سنوات مع فائدة قدرها 12٪ (149) . وتفادى هذه المرة بذكاء ذكر مشروع برنو ، بسبب رغبة بريطانيا فى عمليات الاستكشاف فى تلك المنطقة . وساند القنصل الانجليزى الطلب بقوة ، لثلاثة اسباب اساسية . الاول سياسى ، فعن طريق ذلك القرض « سنتمكن من تحكم اكيد فى هذه الحكومة » (150) . ثانيا ان التعهد بانتاج بنغازى كتأمين على القرض سيساعد فى سحب الانتاج من هذه الايالة الى المستعمرة البريطانية (مالطا) (151) ثالثا : هناك ضمانات جيدة للقرض ، فعلى سبيل المثال ، وبصرف النظر عن انتاج بنغازى ، هناك ضمان متمثل فى الاعانة المالية السنوية وقدرعا 18,000 دولار من هولندا والدانمارك والسويد ولكن بالرغم من كل ذلك ، لم تكن الحكومة البريطانية مرة اخرى كما كان فى سنة 1820 مهتمة بذلك ، فجاء الرد بالرفض فى قولها :-

على العموم ... على الرغم من انه لاتوجد عقبات من شأنها ان تعرقل اية ترتيبات يمكن ان يضعها المجلس بقصد مساعدة باشا طرابلس عن طريق تقديم سلفة ..... فإنه لايمكن ضمان ذلك من قبل

Vattier de Bourville to
Chateaubriand, 1 January 1824, in AFF. ET. B[1], C.C.T.B. Tome 35.

148 ـ انظر : الصفحات الاخيرة من هذا الفصل

149 F.O. 76/18, Warrington to Horton, 30 June 1824.

150 ـ المصدر السابق

151 ـ المصدر السابق

حكومة جلالة الملك بصورة مباشرة او غير مباشرة (152) .

ولم تقدم الحكومة اى تفسير لهذه الاجابة ، ولكن بالنظر الى اقتصاد طرابلس المخلخل فان رفض منح او ضمان القرض وامتناع ايه شركة بريطانية عن القيام بتلك المجازفة اصبح امرا واضحا .

وهكذا فان الصعوبات المالية التى لم تحل وعدم الحصول على المساعدة المطلوبة بصورة ملحة فى شكل قرض اجنبى حالت دون حصول الباشا على المصادر المالية اللازمة لتنفيذ طموحه بنجاح والمتمثل فى بسط سلطان طرابلس على برنو ، فتحتم عليه بذلك التخلى عن المشروع الذى بقى فى عالم الآمال ليوجه اهتمامه الى المشاكل الاقتصادية والسياسية فى ليبيا نفسها .

152 F . O . 9/8,Horton to Warrington , 25 October 1824

الفصل الخامس
مفترق الطرق ١٨٢٥ ـ ١٨٣٢

قرر الباشا ، بعد التخلى عن مخططه الاستعمارى العمل على استعادة قوة طرابلس الى المستوى الذى وصلته خلال العقد الاول من عهده .ولقد حقق بعض النجاح ، حتى حوالى سنة 1828 ، ولكنه بعد الاربع سنوات التالية ، أى فى سنة 1832 ، أصبح فشله واضحا ، ذلك لان العوامل الاساسية ، التى يمكن أن تضمن تكرار نجاح فترة 1795 ـ 1805 ، ببساطة لم تعد قائمة بعد فبدلا من الاستقرار والسلام العام فى البلاد ، الذى ميز الفترة 1795 ـ 1805 كانت الفترة 1825 ـ 1832 على النقيض من ذلك ، فترة ثورات خطيرة فى دواخل الايالة تشبه الى حد كبير الفترة 1806 ـ 1817 تلك الحالة اضطرت الباشا الى الجمع بين مشاكل الدين ومشاكل الانعاش . ومع هذا ، وأيضا خلافا للوضع الذى استمر حتى سنة 1805 ، أصبحت المشكلة الاقتصادية المتمثلة فى ايجاد دخل كاف لمواجهة احتياجات الباشا أكثر تفاقما . وفى الحقيقة فقد ألقى بطرابلس ، فى سنة 1832 ، الى الافلاس ، ومعه بدأت الثورة .

واتضحت معالم السياسة الجديدة ، فيمابين سنة 1825 و 1826 إذ بدأ الباشا منذ مطلع سنة 1826 ، فى تقوية السلطةالمركزية ، فى طرابلس ، كما سنرى فيما بعد (1) ورجع أيضا كما فعل فى العقد الاول من بداية حكمة الى البحرية كاداة سياسية منذ بداية عام 1825 ، وانتهز فرصة عقد اجتماع كبير تقديراً لمساهمته فى انجاح بعثة برنو ، ليعلم القنصل الانجليزى عن عزمه على اعادة تسليح اسطول قرصنته (2) . وأتم تفسير خطوته هذه فى مقابلة تالية (3) مع القنصل نفسه بعد رحيل بعثة برنو الى

1 ـ انظر ادناه.

2 F.O. 76/33, 'A Statement to Lord Goderich by Shereef Mohammed Hassuna D'Ghies late Minister of the Pasha of Tripoli' no date but certainly 1832.
3 F.O. 76/19, Warrington to Bathurst, 20 February 1825.

لندن. فقد أكد فى البداية على رغبته الصادقة فى المحافظة على صداقة الحكومة البريطانية ، وقدم الدليل على ذلك، ليس فى المساعدة الحديثة العهد التى قدمها الى بعثة برنو فحسب، ولكن أيضا فى اطلاق سراح كل اليونانيين الذين أسرتهم بحريته أثناء الحرب فى بحرايجة وارسالهم الى بريطانيا . ولكنه ذكر بأن بعض الدول الاروبية مثل روما والنمسا وبروسيا، والتى قامت بمفاوضات مسودة اتفاقيات تجارية ، منذ سنة 1818 ، مع طرابلس ، تحت رعاية الحكومة الانجليزية قد فشلت حتى الآن فى أقرارها والمصادقة عليها . بالاضافة الى أن هناك بعض الدول الاوروبية الاخرى مثل نابولى ، سردينيا وتوسكانى ، لها أيضا اتفاقيات موقعة بالكامل مع طرابلس من خلال المساعى البريطانية ولكن فشل هؤلاء أيضا فى الايفاء بشروط اتفاقياتهم فلم يقدموا « الهدايا القنصلية » المعتادة. ولم تتلق تظلماته أية اجابات حتى الان . وأنه ظل هاديا ظاهريا ، لمجرد تقديره بريطانيا . وأمل الا يجبر على الوصول الى تسوية مع القوى المعنية عن طريق اعادة استخدام بحريته (4) .

لقد واجهت هذه البحرية اهمالا كبيرا ، بعد حملة اكسماوث لسنة 1816 (5) وقد أجاب فى سنة 1819 ، على سبيل المثال ، فى اجابته لبعثة فريمانتل - جوريان التى كان غرضها الاعلان عن نهاية القرصنة فى البحر المتوسط بقوله :

على ملكى فرنسا وبريطانيا أن يعرفا بأننا لم نرسل ولوقت طويل ، سفنا حربية للمضايقة أو للتحرش بأية دولة أوروبية (6)

وبعد أربع سنوات أى فى سنة 1823 ، أرسل مبعوث خاص من القسطنطينية ، لتأنيب الباشا بسبب محدودية مساهمة طرابلس فى حرب السلطان ضد اليونانيين (7) فرد الباشا عمليا بزيادة حجم بحريته عن طريق شراء الكثير من السفن خلال الفترة مابين سنتى 1823 - 1824 (8) وقرر ، مع ظهور رغبته فى البحرية مرة أخرى ، احياء طموحه القديم

انظر : من اجل ترجمة فرنسية L. C. Féraudi, *Annales Tripolitaines* (Paris, 1927), p. 333.

4 F.O. 76/19, Warrington to Bathurst, 20 February 1825; and F.O. 76/17 same to same, 25 July 1823.

5 AFF. ET. B[1]. Mure to Montmorency 21 February 1823 in C.C.T.B Tome 35.

6 C.O. 2/10, 'Joint British and French Mission to the Barbary States for suppression of Piracy 1819', Pasha to Jurien and Freemantle, 17 Dhu'l-Hijja 1234, as encl. in Freemantle to Admiralty, 23 December 1819.

7 F.O. 76/17, Warrington to Wilmot Horton, 17 October 1823; also AFF. ET.B[1], Vattier de Bourville to Chateaubriand, 1 January 1824, in C.C.T.B.Tome 35.

8 ibid.

فى جعل طرابلس قوة بحرية . ولذا فقد ركز على زيادة قوة بلاده البحرية فيما بين سنة 1825 ـ 1827 وتم بناء بعض السفن محليا ، ومع شراء عدد كبير آخر ، وأحضرت سفينتان ، فيما بين يونيه ، ويوليه سنة 1827 ،من شركة هنتر وروس فى مالطا (9) . كما كان لشركة جوزيبى موسكات ، أيضا من مالطا عقد دائم لتوفير جميع احتياجات البحرية ، وكان مقرها فى بنغازى . وأصبحت بحرية طرابلس تضم ، فى سنة 1828 ، 23 سفينة (10) ودعم البرنامج البحرى ببرنامج عسكرى وخاصة بين سنتى 1826 ـ 1828 . ثم جددت تحصينات المدينة مرة أخرى ، وأصبحت منيعة بالمدافع الثقيلة وبمدافع متوسطة بلغ عددها 17 مدفعا (11) . وحاول أن يعيد تنظيم جيشه ، مع نهاية سنة 1826 ـ ودرب فيلقا مدفعياً بنظام وتدريب أوروبى ـ وصفه وارنجتون فى سنة 1827 بالنمط الجديد فى التدريب (12) ووصفه القنصل الفرنسى فى سنة 1828 بـ «النظام الجديد» ومن المحتمل أن يكون ذلك تقليداً لمحمد على فى مصر (14) . ولقد حاول الباشا رغم فشله فى الحصول حتى على مساعدة فرنسية لتدريب الضباط (15) أن يكون الجيش مجهزا على نحو جيد بالذخيرة الحربية ، التى يحصل عليها بأنتظام من الدول الاوروبية . وتحصل فى سنة 1827 ، من الحكومة السويدية والدانماركية على «معدات حربية ثقيلة» (16) فى حين وصلت قائمة شراء البارود من أحد التجار الاوروبيين الى حوالى 20,000 دولار (17) بالاضافة الى ارسال طلبات معتادة ، من خلال القنصل الانجليزى ، الى شركة هـ . فتام ـ شيرنج كروس بلندن وأشتملت القائمة فى أحد المناسبات على 50 مدفعا تطلق قذائف زنة كل منها 24 رطلا مع ناقلات الخ ... ، مع 5,000 طلقة و 2,000 بندقية خاصة بجند

---

9 F.O. 76/21, Warrington to Hay, 23 and 24 June and 18 July 1827.
10 F.O. 76/27, Warrington to Hay, enclosing Diary for January-June 1830, entry dated 22 January; F.O. 76/23, Same to Murray, 1 October 1828.
11 F.O. 76/23, Warrington to Murray, 1 October 1828.
12 F.O. 76/21, Warrington to Hay, 15 July 1827; also F.O. 76/20, same to same, 26 December 1826.
13 AFF.ET.B[1], Rousseau to Baron de Damas, 21 February 1828, in C.C.T.B.Tome 35.
14 ـ فيما يتعلق بجيش عي باى، انظر على سبيل المثال: T. Little, *Modern Egypt* (London, 1967), p. 33; and P. M. Holt: op. cit., pp. 182,ff
15 AFF.ET.B[1], Rousseau to Baron de Damas, 21 February 1828, and ibid. Ministre Secrétaire d'Etat du Dept. des Affaires Etrangères to Rousseau, 22 May 1828, both in C.C.T.B. Tome 35.
16 F.O. 76/21, Warrington to Hay, 15 November 1827.
17 ـ المصدر السابق

المشاه مع حراب وأحزمة و200 بندقية بواقياتها (18) .

بدأ الباشا وهو يعيد بناء طرابلس كقوة فى شمال افريقيا ، فى استخدام بحريته ببراعة منذ سنة 1825 مثلما كان فى الفترة 1795 ـ 1805 ضد الدول الاوروبية التى فشلت فى الايفاء بشروط اتفاقياتها مع طرابلس جزئيا أو كليا، . وقامت البحرية بأسر عدة سفن فيما بين 1825 ـ 1828 ، وخاصة خلال السنة الاخيرة ، من روما والنمسا وتوسكانا ونابلولى ، الخ ... (19) وأضطرت السويد أن تدفع للباشا حوالى 65,000 دولار مقابل سلامة تجارتها فى البحر المتوسط ، فى حين دفعت الدانمارك ، على وجه السرعة مبلغ 20,000 دولار لاستئناف المفاوضات التى سبق أن كانت مستمرة مدة سنة كاملة (20) وأجبرت توسكانا على دفع الهدايا القنصلية ومقدارها 3,000 دولار والتى كانت تراوغ فى دفعها منذ سنة 1817 (21) وفى نفس السنة درأسر سفن من روسيا وهامبورج حوالى 6,500 دولار و 20,000 دولار على التوالى (22) . وبعد سنة أى فى سنة 1828 ، رفضت نابولى فى البداية ، طلبات الباشا وقررت ارسال اسطول يتكون من 19 سفينة حربية ، تحت قيادة العميد بحرى دون جارافا للهجوم على طرابلس ـ بيد أنه نتيجة لتحصينات طرابلس المنيعة والقوة الدفاعية العائمة لبحرية الباشا، أصيب قصف جارافا فى الفترة مابين 24 و 29 أغسطس عام 1828 بأخفاق كامل ، وكلف نابولى ، فى النهاية مقابل السلام دفع مبلغ 20,000 دولار (23) .

وهكذا ، ظهرت فى الفترة مابين سنة 1825 ـ 1828 كقوة بحرية من جديد . وعلى الرغم من ذلك ، برهن هذا الانجاز فى التحليل النهائى بأنه كان

18 ـ المصدر السابق، بالاضافة الى:ـ

F.O. 76/22, Council Office to R. Horton, 11 January 1827; and Board of Trade to same, 19 October 1827.

19 F.O. 76/23, Warrington to Huskisson, 20 April 1828, same to Murray, 17 September and 1 October 1828, and same to Hay, 31 December 1828, enclosing Diary for July-December 1828. Also F.O. 76/21 ,Warrington to Hay, 23 June and 1 November 1827. F.O. 76/19, Warrington to Hay, 29 August 1825. Also AFF.ET.B1, Rousseau to Damas, 28 October 1825, 2 March 1826 and 10 August 1828, all in C.C.T.B. Tomes 35 and 36.

20 F.O. 76/19, Warrington to Hay, 2 October 1825; F.O. 76/20, same to Bathurst, 24 March and 1 September 1826.

21 F.O. 76/21, Warrington to Bathurst, 11 May 1827.

22 F.O. 76/24, Warrington to Hay, 5 January 1828.

23 F.O. 76/23, Warrington to Murray, 5 and 19 September and 28 October 1828; and also to Hay, 1 December 1828 enclosing Diary for July-December 1828; F.O. 76/33, 'A Statement, ...by Hassuma D'Ghies to Lord Goderich, 1832; Also AFF.ET.B1, Rousseau to Damas, 19 August 1828, in C.C.T.B. Tome 36.

خادعا ، ويشبه الومضة الاخيرة لنار تخمد ، حيث وجدت طربلس نفسها ، بعد أربع سنوات أى خلال سنة 1832 ، متورطة فى ثورة وافلاس . ويكشف تحليل هذا الوضع ، على العوامل السياسية والاسرية الخارجية والاقتصادية التالية :

أولا هناك مشكلة المحافظة على قوة السلطة المركزية ضد تجاوزات القناصل الاوروبيين وخاصة قنصل الانجليز . وظهرت هذه المشكلة فى قضية حقوق القناصل الاوروبيين ، فى حماية رعاياهم ، ضد أى شكل من اشكال الظلم أوالاضطهاد من السلطة المحلية التى تقوم مفاهيمها فى العدالة على أساس الشريعة الاسلامية ، والتى تختلف عن القوانين الاوروبية . لقد منح هنا الحق فى الحماية الى القناصل الاوروبيين ، نتيجة معاهدة عثمانية (24) . وحيث أن طرابلس مازالت من الناحية الرسمية القانونية جزء من الامبراطورية العثمانية ، فقد استمر القناصل فى ممارسة هذا الحق فى طرابلس .

ومع هذا فعند بداية عهد الباشا ، كان عدد الأوروبيين اذا استثنينا الاسرى ، صغيرا جدا ومعظمهم كان ضمن من عملوا بالخدمات القنصلية . غير أنه بدخول المالطيين فى الحياة التجارية للبلاد ، منذ حوالى سنة 1805 ـ 1806 ، بدأ عدد المقيمين المالطيين فى التزايد تدريجيا . ووصل عدد الجالية المالطية ، مع نهاية عشرينيات القرن الثامن عشر ، الى حوالى 1,500 نسمة (26) . وحيث أن هؤلاء المالطيين وعددا قليلا آخر من الجنسيات الاوروبية ،أولئك الذين هم من الجزر الايونية كانوا يتمتعون بحقوق الرعايا البريطانيين فقد دخلوا بذلك تحت حماية القنصل البريطانى .

كان أحد آثار هذا الوضع الاجتماعى، فى طرابلس ايجاد مشاكل للباشا فى محاولاته تحسين دخله التجارى ، كما أشير الى ذلك أعلاه ، وكما سيظهر فيما بعد خلال هذه الفترة (27) . وكان الاثر الاخر سياسيا ، فمع تزايد عدد الرعايا الانجليز ازدادت السلطة القضائية للقنصل البريطانى .

24 ـ كمصدر مختصر، انظر:ـ

G. L. Lewis, *Turkey* (3rd ed. London, 1965), pp. 31–2. See also J. Wansbrough, 'Imtiyāzāt' in *Ecy. of Islam* new edn, (Leiden, 1960–), forthcoming Vol. III.

25 ـ انظر : الفصل الثالث اعلاه

26 F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 10 April 18

27 ـ انظر الصفحات التالية، فيما يتعلق بالمصدر السبق، انظر الفصل الثالث اعلاه.

واستطاع المالطيون خلال فترة 1825 ـ 1832 أن يكونوا فى واقع الامر تحت القنصل البريطانى فى طرابلس «دولة داخل دولة» حيث كانوا أحرارا منفصلين بالكامل عن السلطة القضائية والادارية للباشا وديوانه ... فقد كانوا على سبيل المثال مستثنيين من دفع الضرائب . واخفقت محاولة الباشا، فى سنة 1829 تغيير ذلك الوضع بسبب معارضته القنصل البريطانى (28) . ولذلك اطلق على القنصل البريطانى الذى كان يترأس الجالية المالطية المستقلة فى طرابلس وفى مالطا لقب الباشا وعرف يوسف باشا نفسه بذلك فعلق بقوله :

حتى إننى أخبرت من قبل القناصل الاخرين بأنك أنت الباشا ولست أنا

بيد أن حماية القنصل البريطانى (29) لم تكن مقتصرة على الرعايا البريطانيين فقط ، ولكنها أيضا امتدت من طرفه على أساس أنها تساعد على تعزيز النفوذ البريطانى لتشمل السكان المحليين (30) فغالبا ما كان يتزعم وارنجتون وفود المشائخ العرب إلى القلعة « مقر الاقامة الرسمية للباشا » مفوضين اياه فى محاولة تخفيض أو الغاء الضريبة أو العقوبة المفروضة عليهم (31) . بالاضافة الى أنها أصبحت تقليداً عاما لمعظم المذنبين السياسين ، مثل ثوار غريان فى فترة 1825 ـ 1827 و 1830 وعبد الجليل فى الفترة 1831 ـ 1832 بل وحتى ابن الباشا المتمرد محمد باى 1817 ـ 1820 أن يؤمنوا حماية لانفسهم ولعائلاتهم فى الحرم القنصلى البريطانى (32) . وعند ما أمر وزير المستعمرات القنصل، أخيرا فى سنة 1834 ، بالتوقف عن تقديم الحماية السياسية لرعايا الباشا ، اشتملت القائمة عمليا على رعايا من جميع المعارضين السياسين البارزين من أمثال محمد التركى والرايس مراد والحاج محمد بيت المال (33) .

وكانت محاولة الباشا للتعامل مع هذه الممارسة والتى تنتهك حرمة

أنظر ايضا.

[28] F.O. 76/27, Warrington to Hay, 17 February 1830, enclosing Diary for July-December 1829.

[29] F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 13 July 1826.

J. Richardson, *Travels in the Great Desert of Sahara*, (London, 1848), Vol. I, pp. 325-6.

[30] F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 13 July 1826.

[31] F.O. 76/33, 'A Statement.....', by Hassuma D'Ghies to Lord Goderich, 1832.

32 ـ انظر: الصفحات الاخيرة من هذا الفصل، وحاشية رقم 89 . أنظر أيضا:

F.O. 76/31, Warrington to Hay, 24 February 1832. Denham, a member of the Bornu Mission, 1821-25,

[33] F.O. 76/37, Warrington to Stanley, 11 March 1834.

السلطة المركزية فى طرابلس ، تعيين حسونة الدغيس كرئيس للوزراء ووزير
الخارجية ، فى مطلع سنة 1826 (34) وكان الدغيس مرتبطا بعلاقة
مصاهرة مع الاسرة القرمانلية (35) بيد أن الباشا قد اختاره أيضا لانه
شخص على دراية جيدة بالا وروبيين ، وثبت أن مهمته لم تكن المهمة
السهلة من بين اعضاء ديوانه البارزين . لقد كان رئيس الوزراة أحمد ،
رجلا مسنا عمره حوالى 71 سنة وأصبح « عديم الجدوى والقيمة (36) ».
ولقد حولت معظم اعماله الوظيفية، منذ بعض الوقت، الى الحاج محمد بيت
المال ، الذى كان عمره 31 سنة وكان نشطا ويتميز بالحزم فى اتخاذ
القرارات دون تردد، وذلك مايؤهله بسهولة لمثل ذلك المنصب (37) . ومع
هذا ، فأن خبرته الديبلوماسية ، قبل أن يصبح عضوا بارزا

فى الديوان ، خلال مطلع عشر ينيات القرن الثامن عشر كانت
مقتصرة على شمال افريقيا وخاصة الجزائر وكذلك على تركيا . أما
فيما يتعلق بمصطفى قرجى والمنشق الاسكتلندى أمير البحر
الرايس مراد ، فقد كان الباشا فى حاجة ماسة إليهما ، الاول
للجمارك والآخر للبحرية التى تقوم طرابلس الآن بتنشيطها مرة
ثانية . ومن ثم كان عليه فى النهاية أن يدعو حسونة الدغيس ، الذى
كان يعيش آنذاك فى قرية قرب تونس(38) .
ثالثا ، أكتسبت أسرة الدغيس ، على مدى فترة طويلة ، الكثير من

---

34 F.O. 76/33, A statement. . ., by Hassuna D'Ghies to Lord Goderich, 1832.

35 – كانت اختاه متزوجتين من ابنى الباشا، احداهما لسيدى ابراهيم والاخرى لعلى، الذى نجح فيما بعد فى أن يصبح باشا فى فترة 1832 – 1835 . أنظر:
F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 29 July 1822, and F.O. 76/18, same to W. Horton, 28 February 1824.

36 F.O. 76/18, Warrington to Horton, 28 February 1824.

37 – وصف الحاج محمد بيت المال من قبل وارنجتون فى سنة 1824 ، فى المصدر السابق : «كرجل فى حوالى الثلاثين من عمره، ويتمتع بطلعة بهية ومظهر مهيب، وأحد أفضل رجال الحاشية الكيّسين» فى بلاط طرابلس الذى يعوز رجاله البراعة السياسية.
وبصرف النظر عن الحاج محمد بيت المال وغيره من الوزراء الذين ذكروا اعلاه، يشتمل الديوان أيضا على : الحاج محمد محسن، عميد بلدية طرابلس، ومحمد الكيخيا نائب الباى، وهوروس المولد، والمكنى الباى السابق لفزان، وخليفته حسن باى، أنظر
F.O. 76/18, Warrington to Horton, 28 February, 1824 and AFF.ET.B', 'Notice sur le Pacha de Tripoli de Barbarie' by Vattier Bourville, A. Consul, 8 June 1825, as enclosure in his desp. to Baron de Damas, 8 July, 1825, in C.C.T.B. Tome 35.

38 F.O. 76/33, 'A Statement. . .', by Hassuna D'Ghies to Lord Goderich, 1832.

الاحترام فى طرابلس[39] نتيجة لسيطرتها التجارية والمالية ، التى لم تمتد الى اجزاء من الداخل الافريقى غدامس ، فزان ، تمبكتو ، الخ .. فحسب ولكن أيضا الى مرسيليا وباريس . وقدمت الاسرة منذ القرن الثامن عشر سلسلة من الشخصيات العامة التى تتمتع بدراية واسعة حول الشئون الاوروبية . ولم يلعب بعض من أفراد الاسرة ادوارا بارزة فى المفاوضات ، لعقد الاتفاقيات بين طرابلس والدول الاوروبية . مثل البندقية ، السويد الخ ... فحسب ولكن كان أحد افرادها مبعوثا سياسيا أيضا ، لدى بلاط ستكهولم وكوبنهاجن فى القرن الثامن عشر . بالاضافة الى أن آخر فرد من عائلة الدغيس ، تولى منصبا عاما فى طرابلس كان محمد والد حسونة ، الذى كان المفاوض الرئيسى لشئون طرابلس مع الدانمارك والسويد وأسبانيا وأمريكا ، أثناء العقد الاول من حكم الباشا[40] وأخيرا جاء حسونة نفسه الذى بقى فى باريس ولندن حوالى 7 سنوات ، فى مهمات عمل ودبلوماسية ـ قبل عودته النهائية الى طرابلس فى سنة 1823[41] .

ثم تولى المنصب الجديد فى مطلع سنة 1826 ؛ والذى برّر قبوله إياه بأنه كان :

" شعورا بالمسؤولية وحدها ، وعلى أمل فى أن أقدم بعض الخدمات لابناء وطنى "[42] .

كان هدف حسونة الدغيس الاساسى مساعدة الباشا للخروج من حالة الانهيار التى وصلت اليها سلطته ودخله[43] . وكانت خطوته الاولى نحو تقوية السلطة المركزية ، كبح تلك المزايا التى يتمتع بها القناصل الاوروبيين ، والتى لم ينص عليها فى اتفاقياتهم مع طرابلس . ونصح الباشا على سبيل المثال ، فى شهر فبراير عام 1826 بأن يرفض طلبات القنصل الفرنسى فى اطلاق 33 طلقة تحية

39ـ المصدر السابق. أنظر أيضا:

F.O. 76/37, Warrington to Hay, 19 February 1834.

40ـ أنظر الفصل الثانى من هذا الكتاب. وأنظر أيضا:

F.O. 76/33, 'A Statement. . .', by Hassuna D'Ghiesto Lord Goderich, 1832.

41 F.O. 76/16, Warrington to Wilmot, 1 December 1822 and 15 June 1823; also F.O. 8/12, Hay to Goldschmitt & Co.

42 F.O. 76/33, A Statement. . ., by Hassuna D'Ghies to Lord Goderich, 1832.

43ـ المصدر السابق.

لاسطول فرنسى ، وأعقب ذلك بتوبيخ رسمى لمختلف القناصل ، للتقيد بنصوص الاتفاقات الدولية فى مثل هذه القضايا[44] . ورفض بطريقة مشابهة ، فى نفس السنة ، اعفاء نبيذ مستورد من قبل سردينيين الى طرابلس ، من دفع الضرائب اللازمة ، كما تم تخفيض مثل هذه المزايا ، بالنسبة لقائمة من رعايا بريطانيين مالطيين ، بعد سنتين تاليتين ، أى فى سنة 1828[45] بالاضافة الى ذلك فإنه نظم حضور الباشا لاحتفالات القنصليات[46] ، ومقابلاته مع القناصل . ربما كانت جميع هذه النظم التشريفية والمزايا الدبلوماسية غير ذات أهمية ، غير أنها أعطت مؤشرا بأنه من ذلك الوقت فصاعدا ، يتحتم على القناصل الاوروبيين أن يؤدوا أعمالهم ، مع طرابلس ، على أساس الاتفاقيات المعقودة بين طرابلس والدول التى يمثلونها ، على نحو دقيق . لقد أوضح رئيس ووزير الخارجية نفسه فى مراسلاته مع الشيخ الكانمى ، فى سنة 1827 بفخر بأن طرابلس الآن ، تحت ادارته ، بلد مختلف لا يستطيع فيها المسيحيون (يعنى الأوروبيين) أن يتصرفوا كما تعودوا من قبل[47] ولاحظ القناصل الاوروبيون أنفسهم التغير ، وحاول القنصل الفرنسى روسو مرتين خلال السنة 1826 طلب صرف أو استقالة حسونة الدغيس الا أن الباشا رفض طلبه بلباقة أما بالنسبة للقنصل وارنجتون ، فقد كان رد فعله المبدئى نوعا من الموافقة على الدغيس كما كتب فى تقريره :

«من خلال حكمته ومعرفته ، ستحصل هذه الحكومة على كل ميزة ، ومن توليه هذا المنصب ، سيكون بأمكانه مقاومة أى عدوان على مبادىء القانون الدولى الرسمى»[48] .

---

44 F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 19 February 1826.

45 F.O. 76/20, Warrington to Hay, 15 September 1826, enclosing P. Negri (Sardinian consul) to Warrington, 4 September 1826; also F.O. 76/23, same to Hay, 31 December 1826, enclosing Diary for July-December 1828.

46 - إن عدم حضور الباشا فى حفلة عيد ميلاد ملك فرنسا، يوم 4 نوفمبر 1826 ، دفع القنصل الفرنسى إلى أن يطلب عزل حسونة الدغيس أنظر: وفيما يتعلق بتفصيل عن هذه الحادثة انظر:

F.O. 76/20, Warrington to Hay, 4 November and to Bathurst, 8 November 1826.
R. vadala, op. cit., pp. 226-241

47 F. O 76/22 , Worring Ten to Godrich , 31 Octeber 1857 وبه بيان بتاريخ 30 اكتوبر عام 1827 ، من محمد بن سادا Muhammed ben Sada الذى رجع حديثا من برنو.

48 F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 20 February 1826.

وعلى الرغم من ذلك ، فعندما أدلى القنصل وارنجتون بهذا البيان ، في فبراير عام 1826 كان تأثير أنظمة الدغيس عكسية فى معظمها ، على مزايا القنصل الفرنسى . ولم يتحقق وارنجتون بعد من أن هذه السياسة الجديدة ستؤثر على مركزه أيضا . ولذا فبعد شهرين تاليين (ابريل) ، قد أندهش حينما علم ، بأنه من خلال تمثيله الذى تم مع حكومة طرابلس ، قد أمر بأن يتوقف على تمثيل النمسا والبرتغال وتوسكانا ونابولى وروما وهولندا لدى طرابلس[49] ، ولقد عزا حسونة الدغيس عندما قدم توصياته بأتخاذ هذه الاجراءات للباشا الى أسباب أقتصادية وسياسية . فمن خلال تمثيل وارنتجون لهذه الدول الاوروبية ، كان من الصعب على الباشا ، أن يحصل من هذه الدول على جميع «الهدايا القنصلية» وكان القصد من هذا الاجراء أيضا ، انقاص السلطان القضائى لوارنجتون ، واقتصار اختصاصاته على الرعايا البريطانيين .

وكانت خطوة حسنوة الدغيس الثانية ، نحو تقوية السلطة المركزية الحد من تدخل القنصل فى المسائل التى تخص الرعايا البريطانيين ومنعها نهائيا ، فى القضايا التى تهم المواطنين وحدهم . وعلى هذا ، أصدر الامر بأن على كل المالطيين أن يقدموا قضاياهم اليه شخصيا ، أو الى أى من موظفى الباشا فى المكان الاول . أما فيما يتعلق بالحماية القنصلية فقد حرمت تماما على كل مواطن[50] والذى يجب عليه من ذلك الوقت فصاعدا ، أن يدرك أن هناك مصدراً واحداً من الحماية : وهو الباشا وديوانه . ومع هذا ، فإن هذه الأوامر لم تصدر فى شكل علنى ، بل قدمت سريا الى جميع الجهات الادارية والمدنية والعسكرية من جامعى الضرائب والشرطة والحراس وموظفى الجمارك والقضاة الاقلميين والقضاة الدينيين وكتابهم (الفقهاء) الخ .... بالاضافة الى أن التعليمات قد صدرت الى نفس الجهات منذ حوالى 1827 - 1828 ، على القيام بحملة دعائية ضد القنصل البريطانى . وكان عليهم تصويره على أنه السبب وراء مصاعبهم المالية - لكى يرغموا الباشا على فرض ضرائب إضافية على دفعات

[49] F.O. 76/40, Bathurst to Warrington, 18 April 1826; also F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 9 June 1826.
[50] F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 13 July 1826.

لتسديد الديون التى يطلبها الرعايا البريطانيون[51] .

وعلى الرغم من أن القنصل البريطانى لم يكن يعى تماما الحملة ضده ، حتى حوالى سنة 1830 الا أنه عرف من منذ منتصف سنة 1826 بأجراءات الدغيس فيما يخص المالطيين والحماية القنصلية ولذا فإنه اشتكى بمرارة لحكومته فى يوليه عام 1826 شارحا المصاعب التى يواجهها من الحكومة الطرابلسية ، فيما يتعلق بالقضيتين المذكورتين[52] وبعد شهر أى فى اغسطس عندما اثار المشكلة مرة أخرى مع حكومته عزا سياسة الدغيس الجديدة ، الى «محاولته المضحكة» فى ادخال أعراف وتقاليد[53] الدستور البريطانى الى طرابلس .

لقد أعرب الدغيس فعلا عن اعجابه بنظام الحكومة البريطانية والتى شاهدها خلال مهمته الفاشلة الى لندن ، فى فترة 1821 - 1823[54] أما فيما اذا فكر هو نفسه فى أن يبنى طرابلس على أساس النمط الدستورى البريطانى فإنه أمر مشكوك فيه فى ذلك الوقت . ومع هذا ، فأن محاولته لتركيز انظار المعارضة المحلية على القنصل البريطانى والرعايا المالطيين البريطانيين قد ساهمت كثيرا فى تقليص المكانة المفرطة لذلك القنصل منذ حوالى 1826 وحتى نهاية نظام يوسف باشا[55] .

ومع هذا ، فقد فشلت الاجراءات السياسية لحسونة الدغيس ، بوجه عام ، فى تحقيق النتائج المطلوبة . لقد تم كبح التأثير الشخصى للقنصل البريطانى ، ولكنه استمر فى ممارسة سلطانه على الرعايا

---

51 F.O. 76/27 Fraser to Murray, 11 December 1830. For the British debts see
فيما يتعلق بالديون البريطانية انظر نهاية هذا الفصل.

52 F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 13 July 1826.

53 - المصدر السابق. أنظر:
Warrington to Bathurst, 17 August 1826

54 - فشلت البعثة بسبب رفض الحكومة البريطانيةي الاعتراف بحسونة الدغيس، كسفير رسمي، * وبسبب ادعائه لدين يقدر بـ 40,000 دولاراً، نيابة عن والده ضد الحكومة الاسبانية التى ادعت أنها قامت بتسويته مع بعثة وليام أكورت William a Court لسنة 1831 أنظر الفصل الثالث أعلاه، وقبل أن يعود الى طرابلس فى يونية سنة 1823 ، وصلت ديونه للبريطانيين الى حوالى 7,000 أو 8,000 دولار أنظر:
F.O. 76/16 Warrington to Wilmot, 1 December 1822, and F.O. 8/12, Hay to Goldschmitt and Co.

55 - لقد تحسّر وارنجتون بمرارة، بأنه "اثناء الفترة التى بدأت فيها عملى، كان تأثير العلم البريطانى غير محدود" ولكن بتولى حسونة الدغيس "أخذت الشئون البريطانية تتراجع منذ ذلك الوقت" أنظر: F.O. 76/37 , Warrington to Hay , September 1 , 1834

البريطانيين . بالاضافة الى أن بسط الحماية القنصلية على السكان الوطنيين أستمرت هى الاخرى حتى سنة 1834[56] . وإنه ، لمن سخرية القدر أن يجد حسونة الدغيس الذى حارب بعنف ضد ذلك النظام أن يجد نفسه مجبرا فى سنة 1829 على طلب الحماية القنصلية تحت العلم الامريكى ، وذلك عندما أرغم على ترك طرابلس كما سنرى فيما بعد[57] . إن محاولة تحديد نطاق السلطة القنصلية قادت أيضا الى خلافات متكررة مع القنصل البريطانى ـ فيما بين سنة 1826 ـ 1830 فعلى سبيل المثال نكس القنصل العلم البريطانى مرة كل سنة على الاقل[58] . ليشير الى انهاء العلاقات الانجلو طرابلسية الودية . وكان فى ذلك الوضع تشجيع لمعارضى النظام الذين أملوا أن تقوم بريطانيا بقصف طرابلس ، وتفرض تنازل الباشا . وعلى هذا قرروا أن يراعوا صداقة القنصل البريطانى لقاء الدعم ، الذى قدمه لقضيتهم أثناء السنوات الحرجة للثورة 1832 ـ 1835[59] .

وكانت النتيجة الاضافية لسياسات حسونة الدغيس ، أنها بدلا من تقوية السلطة المركزية كما كان يتوقع منها ، فإنها ساعدت على إيجاد مشاكل أكثر للسلطة ، وهى مشاكل اعطت انطباعات على الضعف . وأدت محاولة تشويه سمعة وتقليص نطاق السلطة القنصلية منذ حوالى منتصف سنة 1826 ، الى ارتفاع التوتر الاجتماعى بين المالطيين والاهالى وتمثل ذلك التوتر غالبا فى أعمال العنف بحيث أصبح المالطيون هدف الاهانات العامة «كلاب مسيحية» والاعتداءات وفى بعض الاحيان الاغتيال . وأشار وارنجتون ، فى يوليه عام 1826 ، الى ثلاث حالات من الاعتداءات[60] واستشرى هذا الانحلال فى النظام الاجتماعى منذ حوالى عام 1828[61] ، وعقب شجار حول الدفع بين خباز مالطى وصبى عربى

56 ـ انظر هذا الفصل.

57 ـ أنظر: نهاية هذا الفصل.

58 ـ أنظر: على سبيل المثال.
F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 17 August 1826;
F.O. 76/21, same to same, 22 May 1827; F.O. 76/23, same to Hay, 31 Dec-
ember 1828 enclosing Diary for July-December 1828; and F.O. 76/27, same
to same 4 September 1830. See also F.O. 76/33, 'A Statement. . .', by Hassuna
D'Ghies to Lord Goderich. 1832.

59 ـ انظر: الفصل السادس أدناه.

60 F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 13 July 1826.
61 F.O. 76/23, Warrington to Hay, 31 December 1828, enclosing Diary for July-December 1828.

يبلغ من العمر 14 سنة ، انضم مالطى آخر يدعى قوزمان ضد الصبى ودفع هذا الجنود الذين يحرسون البحرية ، للدفاع عن الصبى العربى ضد مهاجميه . ثم ضرب قوزمان على وجه الخصوص ، بدون رحمة ونهب دكانه .

وعندما طلب القنصل الانصاف رد من قبل أحد وزراء الباشا ، الحاج محمد بيت المال وكان على ما يبدو يقوم بتنفيذ تعليمات الدغيس فنكس القنصل علمه وتدخل الباشا بسرعة وأمر بتوقيف وحبس زعيم الفتنة من حراس البحرية ، واطلاق المدفع تحية لاعادة رفع العلم من جديد . وفى نفس الوقت هب السكان الى حمل السلاح للدفاع عن مدينتهم ضد «المسيحيين»[62] ولكن ظهور الباشا الشخصى فى شرفة القلعة هدأ الحالة ولو مؤقتا ، حيث انضم الجنود الآخرون الى حراس البحرية ليفتحوا بوابات السجن عنوة ويحرروا رفيقهم . وتم تفادى العصيان العام فى مدينة طرابلس ، عندما وافق الباشا على منح عفو عام على جميع المتورطين فى القضية .

إن هذه المشكلة الخاصة بالوضع الاجتماعى نتيجة غير مباشرة لمحاولة الحد من نطاق السلطة القنصلية ، وبها استمرت المزايا الخاصة للمالطيين ، حتى بعد أن ترك حسونة الدغيس منصبه ، فى سنة 1829[63] وفى الحقيقة فبحلول سنة 1830 شملت الاعتداءات على «المسيحيين» فى الشوارع وكان معظمهم من المالطيين من الرعايا البريطانيين ، شملت الآن حتى القنصل البريطانى وأفراد عائلته . وتم الاعتداء ، فيما بين سبتمبر وأكتوبر عام 1830 ، على القنصل وأبنه فريدرك ، وابنته ، خلال أوقات مختلفة[64] وترتب عن ذلك انذار شديد من الحكومة البريطانية محذرة مما سينجم من نتائج اذا ما أجبرت على سحب بعثتها البريطانية من طرابلس[65] .

---

62 F.O. 76/23, Warrington to Hay, 31 December 1828, enclosing Diary for July-December 1828.

63 ـ أنظر نهاية هذا الفصل.

64 F.O. 76/27, Warrington to Murray, 6 September and 1 November 1830; also F.O. 76/40, Murray to Warrington, 13 November and to Yuseff Bashaw, 8 December 1830

65 ـ وحيث أن الباشا اعتذر عن الهجومات، كما وعد ايضا بتقوية الاجراءات الامنية القنصلية البريطانية، فقد قررت الحكومة البريطانية عدم اتخاذ أى أعمال عدوانية الى جانب تحذيره ضد قيام أى هجوم فى المستقبل. أنظر: F,O 76/40, G0drich to Yusef , 8 December 1830

ومنع الباشا ذلك فورا عن طريق تقديم الاعتذار الضرورى ، والعقاب الصارم للمذنبين الا أنه وبكل تأكيد لم يستطع مع ذلك ايقاف الشغب والذى استمر حتى نهاية حكمه فى سنة 1832 . وكان الانطباع العام أن السلطة المركزية بدأت تفقد قدرتها تدريجيا على السيطرة على شئون طرابلس .

الى جانب المشاكل السياسية التى ظهرت نتيجة لمحاولة تقوية قبضة السلطة المركزية اصبح استقرار طرابلس السياسى خلال تلك الفترة هو الآخر مهدداً بالمشاكل الاسرية فلم يعن نفى محمد باى ، الى مصر ، فى سنة 1817[66] نهاية مثل تلك المشاكل لأن شعبية محمد كانت كبيرة جدا فى داخل طرابلس وضواحيها مثل المنشية[67] حتى أن الباشا كان فى خوف دائم ، من احتمال تصاعد عمليات العصيان تأييداً له اذا ما رجع الى البلاد . ولذا وبعد استجابته لتدخل محمد على ، والسماح لمحمد بالعودة بايا على درنة ، حرم عليه الباشا دخول طرابلس . والتزم بهذا الامر على نحو صارم . بحيث انه فى نوفمبر عام 1820 حينما تفشى مرض الطاعون فى درنة ، منع محمد باى من النزول فى طرابلس ، ولم يسمح لسفينته بالرسو . واعقب الباشا ذلك ، باستعداد عسكرى مسعور كإصلاح التحصينات والمدافع وامدادات الاسلحة والتجنيد الخ ...[68] واصر ايضا ، بعد سنتين من هذه الحادثة ، على ان يحتفظ بزوجات وابناء محمد ، الذين منحوا منذ سنة 1817 ، الحماية البريطانية ، كرهائن[69] واستاء محمد من تحديد اقامته فى نطاق درنة ، ومنع عائلته من الانضمام اليه ففر الى منفاه الثانى فى مصر ، حيث توفى فى سنة 1828[70] .

ان غياب محمد عن المسرح السياسى ، فى طرابلس لم ينه مشاكل

66 ـ انظر: الفصل الثالث أعلاه.

67 ـ لقد تم تبنى ابن محمد كباشا فيما بعد، بدلا من يوسف فى سنة 1832 . فى المنشية. حول هذا الموضوع انظر: الفصل السادس أدناه

68 F.O. 76/14, Warrington to Bathurst, 17 November 1820; F.O. 76/16, same to same 5 July 1822; also AFF.ET.B1, Mure to Pasquier, 10 March 1820, in C.C.T.B. Tome 34.

69 F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 29 July 1822.

70 F.O. 76/23. Warrington to Huskisson, 16 June 1828.

الباشا الاسرية.اولا : انتقل طموح محمد الاسرى وروح التمرد الى ابنه ، الذى يحمل نفس الاسم والذى وفر فى شخصه القيادة اللازمة ولم شمل المعارضة ضد نظام يوسف باشا ، طوال الفترة 1835 ، كما سنرى فيما بعد[71] . ثانيا : فى حين كان محمد بعيدا وكان ابنه مايزال قاصراً ، استمر ابنا الباشا الآخران احمد وعلى فى تنافسهما على العرش ، وعندما اصبح احمد باياً ، فى سنة 1817[72] كانت سياسته ، طالما كان اخوه الاكبر محمد بعيدا عن الاحداث ، حماية مركزه كصاحب حق لاينازع فى وراثة العرش ضد اخيه على الذى لم يخف طموحه .

وكانت القصة المتداولة فى القلعة ، ان عليا اخبر والده ، عندما كان صبيا بأن طموحه عندما يصبح رجلا ان يكتسب العرش بالطريقة التى فعلها والده من خلال إراقة الدماء .

لقد اصبحت طموحات على الاسرية ومكايده قوية خلال عشرينيات القرن التاسع عشر لدرجة انها هيأت المجال امام ذعر عام ، بأن موت الباشا سيكون نذيرا بوقوع طرابلس فى اضطراب سياسى خطير . وكما لاحظ جون تايويت ، الذى كان يعيش آنئذ مع القنصل البريطانى فى سنة 1823 .

> ينتظر الاجانب وكذلك الاهالى
> موت الباشا الحالى باهتمام كبير[74]

وناقش القنصل نفسه خلال سنة سابقة 1822 المشكلة مع الباشا وسأله ماذا كان لديه حلا ، واجابه الاخير بأن :

> ... من واجبه ان يحافظ على هدوء الامور
> اثناء حياته ، ولكن بعد ذلك ، عليهم

71 ـ انظر نهاسة هذا الفصل، والفصل التالى.

72 ـ انظر الفصل الثالث اعلاه حول ظهور يوسف باشا والد على، أنظر الفصل الاول.

73 F.O. 76/16. Warrington to Bathurst, 5 July 1822.

74 C.O. 2/16, Tywhitt to ?, 25 September 1823.

عيّن تايوت Tywhitt ليلتحق ببعثة برنو، فى سنة 1823 ثم عين من قبل دنهام كنائب للقنصل ببرنو، حيث توفى فيما بعد بفترة قصيرة.

Niger Explored, pp. 119-20 and 139-40; and also F.O. 76/19, Warrington to Bathurst, 22 June 1825.

(يعنى ابناءه) ان يثقوا فى العناية الالهية[75] .

وكان اسلوب الباشا فى المحافظة على « هدوء الامور » خلال الفترة 1825 ـ 1832 ، ان اسند لعلى دورا هاما فى ادارة شئون البلاد وكان على بالاضافة الى عمله كوالٍ على غريان فإنه كان يشارك فى تداولات الديوان[76] . وغالبا ماكان يظهر اثناء مقابلات الباشا مع القناصل الاوروبية . ويشاهد ايضا بصحبة الوزراء البارزين مثل حسونة الدغيس والحاج محمد بيت المال ، الخ .. فكان بذلك مرتبطا ارتباطا وثيقا بسياسات حكومة الباشا وساعدت هذه المرحلة من حياة على فى العمل على تنمية قدراته فى الادارة السياسية ، كما تبين ذلك فى رسالة التوصية بالخلافة له والتى بعث بها الباشا الى الباب العالى ، فى سنة 1832[77] .

وعلى الرغم من ذلك فإن الباشا لم يكن موفقا فى الاحتفاظ بعلى تحت المراقبة اذ كانت هناك بعض المناسبات التى تغلب فيها طموحه فى العرش على ولائه ، حدثت مثل هذه المناسبات ، فى منتصف عام 1826 ، عندما كانت طرابلس مشحونة بالشائعات حول حدوث انقلاب . يشير احد المصادر بأن محمد باى ربما بمساعدة مصرية قد استطاع العودة من منفاه للقيام بآخر محاولة لتولى العرش . وبذلك امر الباشا جميع مشايخ ضواحى طرابلس ـ قاعدة محمد السياسية ـ بالحضور الى المدينة ، حيث احتفظ بهم كرهائن[78] وعندما لم تظهر اية علامة على وجود شىء من ذلك القبيل

---

75 F.O. 76/16, Warrington to Bathurst, 29 July 1822.

76 ـ انظر: على سبيل المثال:
, F.O. 76/27, Warrington to Hay, 17 February 1830, enclo-
sing Diary for July-December 1829, and ibid., same to Murray, 11 Oct-
ober 1830. For ʿAli's governorship of the Gharian, see AFF.ET.B[1],
Schwebel to Sebastiani, 22 July 1831, in C.C.T.B. Tome 37; and R. Vadala, op. cit., p. 211.

77 ـ انظر الوثيقة رقم 7 فى انهيار الاسرة القرمانلية لعمر على بن اسماعيل، صفحات 391 – 393 من اجل نسخة من رسالة يوسف باشا المؤرخة بتاريخ 1832/1248 – 1833 الى السلطان العثمانى محمود الثانى، يعلن فيها عن تنازله لصالح إبنه على، ويعبر فيها على أمله فى أن يصدر فرمانا للمصادصة على تولى على على طرابلس.

78 F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 13 July 1826.

تم اطلاق سراحهم ، ورغم ذلك فإنه تم اكتشاف تآمر فيما بعد ، خلال شهر اكتوبر عام 1856 ، عندما اتضح انه كان فى نية على اغتيال والده الباشا ، واخيه الاكبر احمد ، ومؤيدى الاخير داخل الاسرة ليتولى السلطة ويعلن نفسه الباشا . وفى تحقيق رسمى كامل فى المؤامرة أجراه الديوان فى 18 اكتوبر عام 1826 ، اوصى بأن ينفى على ، وان ينفذ حكم الاعدام فى معاونيه[79] الا ان الباشا غير رأيه ، فيما بعد ، كما غير توصيات الديوان - فبدلا من النفى ، واجه على سخرية الجمهور فى ساحة السوق ، حيث اعلن انه خائن وجرد من لقب الباى[80] .

وتم ارجاع اللقب اليه ، فى سنة 1828 بعد موت احمد ، باى طرابلس بعد فترة قصيرة من وفاة محمد الباى المنفى بمصر[81] . بيد ان محمد ابن الاخير جادل ضد احقية على فى اللقب وادعى انه من حقه . واستمر هذا النزاع حتى عام 1832 ، عندما بدأ محمد فى مطالبته بالباشاوية ، وبهذا اقحم طرابلس فى ثورة 1832 - 1835[83] .

ادت المضاعفات السياسية لتلك المشاحنات الاسرية الى حدوث تصدع كبير داخل الاسرة الحاكمة ترتب عنه ضعف فى السلطة المركزية . وصادف،ان واجهت طرابلس مشكلة اخرى اثناء تلك الفترة 1825 - 1832 وهى الثورات السياسية التى قام بها الاهالى فى الدواخل . فشهدت السنوات 1825 - 1827 تفجر ثورة اهالى غريان [83] . وكان من الممكن ان يظل اولئك الاهالى الذين تم اخضاعهم فى سنة 1803[84] خاضعين لسلطة الباشا ، لولا الخيانة السياسية التى اثارت عداءاً قوياً فى نفوسهم ذلك انهم لكى يظهروا ولاءهم المستمر للباشا وافقوا فى سنة 1820 على ارسال احد ابناء قادتهم ، الشيخ بلقاسم بن خليفة ، ليعيش فى المدينة ويعمل فى ادارة

79 F.O.76/20,Warrington to Bathurst, 18 October 1826.
80 Ibid., Warrington to Bathurst 27October 1826.
81 F.O. 76/23,.Warrington to Huskisson, 16 June 1828.
82 - أنظر نهاية هذا الفصل والفصل التالى.
83 F.O. 76/19, Warrington to Horton, 15 May 1825; and F.O. 76/21, same to Hay, 1September 1827.
84 See above, Chap. 3 ,pp.47-8.

الباشا ، وقلد فورا قيادة الجيش ومنح لقب آغا[85] . ولكن بعد سنتين تقريبا تم اغتياله من قبل عملاء يحوم الشك حول قيام الباشا بتأجيرهم[86] وبسبب هذه الحادثة المفاجئة ، كان اقصى ما استطاع اهالى غريان القيام به لم يتجاوز حدود التعاطف مع الثورة ، ولكن وبعد ثلاث سنوات ، اى فى سنة 1825 ، قد اصبحوا منضمين بالقدر الذى مكنهم من اعلان استقلالهم عن طرابلس .

قامت قوات الباشا وقوامها حوالى 5,000 جندى بالقضاء على التمرد[87] ولكن لم يكن قضاء نهائيا . وكان على الباشا ان ينظم ، فى سنة 1826 ـ 1827 قوة اكبر تتكون من 4,000 خيال و7,000 من المشاة ، تحت قيادة ابنه الثالث على ، الذى نجح فى النهاية فى اخماد الثورة[88] وتحتم مرة اخرى ، فى سنة 1831 ، ان تعاد نفس قصة الثورة والاخماد[89] ودخلت هذه المرة مأساة ثورات الاهالى مرحلتها الاخيرة والحاسمة مع عبد الجليل ، كانت ثورة عبد الجليل بن سيف النصر ، التى بدأت فى يولية عام 1831 الى حدما كما هو الحال فى ثورة اهالى غريان استمراراً لمشكلة قديمة ـ تخص الى حد بعيد اولاد سليمان . وكانت الاسباب الاساسية لثورة سياسية واقتصادية . اولا كانت عشيرة سيف النصر ، والتى ينتمى اليها عبد الجليل والتى تمارس سلطتها السياسية تقليديا على اولاد سليمان ، قد وقفت دائما ، ومنذ القرن الثامن عشر[90] ضد المركزية السياسية فى طرابلس ، فهى بالتالى ضد السياسة المركزية ليوسف باشا ، وكانت ضد السياسة نتيجة لمضامينها الاقتصادية المتمثلة فى دفع الضرائب السنوية المنتظمة وفرض ضرائب اضافية احيانا والخضوع لنظم الباشا الاقتصادية ، فطلب التخفيض او الالغاء الكامل للضرائب السنوية ، فى سنة 1806 ـ 1807 هو الذى اكسب الدعم الشعبى

85 F.O.76/16, Warrington to Bathurst, 24 June 1822.
86 Ibid.
87 F.O. 76/19, Warrington to A.G. Laing, 8 July 1825.
88 F.O. 76/21, Warrington to Hay, 1 September 1827.
89 AFÉ.ET.B!. Schwebel to Sebastiani, 22 July 1831, in C.C.T.B. Tome 37
أحضرت رهائن غريان الى طرابلس. بيد أنهم هربوا فيما بعد وتحصلوا على حماية من العلم البريطانى
حول هذا الموضوع أنظر:
90 ـ حول معارضتهم ضد أحمد الاول، مؤسس الاسرة القرمانلية أنظر الفصل الاول.

للثورة[91] اما فى سنة 1830 فإن اجراءات ومطالب الباشا المالية[92] اثرت بشكل خطير فى نفوس السكان . فعبد الجليل عندما طلب من الباشا ، عن طريق القنصل البريطانى فى مطلع سنة 1832 ان يخفض مبلغ الضرائب التى ستجمع من السكان انما كان يتكلم نيابة عنهم واستمر فى هذا الوضع ، حتى بعد الاطاحة بالاسرة القرمانلية ففى سنة 1838 على سبيل المثال ، اخبر الباشا التركى ، فى طرابلس بأن السكان فى بنى وليد وفزان تحت سلطته ولايستطيعون دفع اكثر من 15,000 دولار كضرائب . وهذا اقل بكثير مما كان يطلب فى السابق وهو مبلغ 250,000 دولارا[94] .

ان اثر حملة عبد الجليل ضد عبء ضرائب الباشا قد ساعد على اندلاع الثورة فى يوليه 1831 حيث انتشرت نحو الجنوب الى فزان من بنى وليد والتى كانت مركز قيادتها العسكرية بعد ان تم التغلب على مؤيدى الباشا فى مصراتة[95] وبعد ثلاثة اشهر تم اخذ فزان فيما عدا عاصمتها مرزق والتى وضعت تحت الحصار[96] .

ومع حلول نهاية سنة 1831 كان لنجاح الثورة اثار بعيدة المدى فقد تعززت قوات عبد الجليل الى ان اصبحت مابين 20,000و50,000 جندى طبقا لتقديرات القنصل البريطانى والفرنسى ، على التوالى[97] وبهذه القوات انزل عبد الجليل هزيمتين رئيسيتين بقوات الباشا التى بلغ مجموعها مايقارب 250,000 جندى تحت قيادة سيدى ابراهيم وعلى باى والمكنى الباى السابق لفزان[98] وسقطت مرزق ، عاصمة فزان ، فى ايدى الثوار واقام عبد الجليل معسكرا لجيش الاحتلال هناك[99] وتكشف استرداد **مرزق** عن

91 ـ أنظر الفصل: الثالث.

92 ـ أنظر أدناه: لقد كانت الطلبات ضرورية نتيجة لتنامى ديون الباشا.

93 ـ أنظر أدناه: يشتمل على رسالة من عبد الجليل الى وارينجتون (بدون تاريخ).

94 F.O. 101/2, Warrington to Palmerston, 9 May 1838,

95 AFF.ET.B[1], Schewbel to Sebastiani, 22 July 1831, in C.C.T.B. Tome 37. The Misurata loyalists were led by one of the Pāshā's sons, Sīdī Umar.

96 F.O. 76/29, Warrington to Hay, 20 September 1831; also AFE.ET.B[1], Corresp. Consulaire, Tome 37: Schwebel to Sebastiani, 20 September 1831.

97 AFF.ET.B[1], Schwebel to Sebastiani, 4 November 1831, in C.C.T.B. Tome 37; and F.O. 76/29, Warrington to Goderich, 4 August 1831.

98 AFF.ET.B[1], Schwebel to Sebastiani, 20 October 1831, in C.C.T.B. Tome 37; F.O. 76/31, Warrington to Hay, 28 January 1832.

99 AFF.ET.B[1], Schwebel to Sebastiani, 6 December 1831, in C.C.T.B. Tome 37.

مصاعب شديدة للباشا ولابنه على (1832 ـ 1835) ووضع احتلال عبد الجليل فزان فى سنة 1831 نهاية للحكم القرمانلى فى ذلك الاقليم . والى جانب احتلال فزان ، اعلنت مدينتا ترهونة وغريان وكذلك كامل مقاطعة الجبل ولاءها لعبد الجليل[100] . كما تمكنت الثورة بفضل انتصاراتها العسكرية وانتشارها السريع من سد طرق التجارة مع طرابلس وغدامس ومع برنو وبلاد الهاوسا عن طريق فزان بمنتهى الفاعلية[101] وكان الاثر الاقتصادى الذى ترتب عن ذلك قطع الشريانيين التجاريين اللذين كانا يغذيان طرابلس ولمدة طويلة من السودان .

هناك عامل آخر ساهم فى نجاح الثورة غير مسألة الحملة ضد ضرائب الباشا المفرطة ويتمثل فى القيادة الجيدة التى كان يتمتع بها عبد الجليل . وكان موضع تقدير واحترام بسبب عائلة سيف النصر ـ التى مارست تأثيرا سياسيا كبيرا على بدو اولاد سليمان ، وبسبب انحداره من اصل شريفى ، بالاضافة الى صلة مصاهرته مع سلطان المغرب[102] ولكن لم يكن مرد شهرة عبد الجليل الى قبيلته ، او زواجه او ارتباط مولده فقط ، بل لانه امتلك صفات القائد . فهو شخص ملتزم وذو مبادىء ، وصارم فى تطبيق النظام وقادر على احلال النظام من خلال الفوضى . وعلى الرغم من خصائص الحياة الصحراوية ، وميل البدو الى الانقسامات ، فأن عبد الجليل لم يتوقف عند تنظيم جنوده والمحافظة على ترابطهم وانما دربهم تدريبا ممتازا واحكم ضبطهم حتى ان العقيد وارنجتون الذى زار معسكره فى بنى وليد سنة 1832 اشاد بالفورية التى كانت تنفذ بها اوامر عبد الجليل ولم ينته الترحيب الصاخب الذى قابلت به الجنود وعائلاتها وارنجتون ومرافقيه الا انه :

> غريب ان يقال وكما لو كان سحرا ، [انه]
> فى لحظة وما ان اومأ الشيخ بطرف برنوسه

---

100 F.O. 76/31, Warrington to Hay, 12 and 24 February 1832.
101 AFF.ET.B[1], Schwebel to Sebastiani, 15 August and 13 September 1831; also F.O. 101/2, Warrington to Palmerston, 9 May 1838.
102 F.O. 76/29, Warrington to Hay, 20 September 1831.

(عباءته) حتى تغير المشهد من صخب
وفوضى الى صمت وسكون[103] .

ان الذى اتى بوارنجتون الى هذا المشهد ، عند هذه المرحلة ، هى محاولة الباشا للتفاوض مع عبد الجليل . وكنتيجة لمحادثات اولية ، من خلال مرابط ، يدعى يوسف فى ديسمبر عام 1831 ، تمت مفاوضات سلام فى يناير عام 1832 . ورأس محمد التركى ممثلى الباشا ، الى معسكر عبد الجليل فى بنى وليد وكان القنصل البريطانى الوسيط الاساسى ويعتبر اختيار القنصل لهذه المهمة ، مدهشا كما سنرى .

انتهز وارنجتون الفرصة بدافع من رغبته المعتادة فى تعزيز (شهرة ونفوذ العلم البريطانى) فى الدواخل[104] عندما طلب منه عبد الجليل فى اغسطس عام 1831 - ضمان حماية عائلته وممتلكاته فى طرابلس فسأل وارنجتون بدوره الباشا للسماح له بالتوسط لحل الخلاف[105] ورفض الباشا الفكرة بسبب عدم ثقته الى حد كبير فى نزاهة وارنجتون كوسيط كما أنه لم يدرك السبب فى الحاح القنصل البريطانى فى تقديم الحماية البريطانية لعائلة عبدالجليل .

.... رجل كهذا ، متمرد ، إنه بالفعل هو الذى يستطيع ان يغتال ويقتل رعايانا[106] .

---

103 F.O. 76/29, Warrington to Hay, 28 January 1832.
ومن المحتمل أن يحتوى على العرد انطباعا من مراسلات وارنجتون الذى كان يحاول من خلالها اقناع حكومته، حول قوة تأثير عبدالجليل وعلى هذا سيكون حليفا ذا اهمية بالنسبة للمطامع البريطانية، إلا ان وصف القنصل الفرنسى لمركز عبدالجليل تؤكد انطباعه حول قدرته القيادية الخارقة فى منطقة شاسعة فى دواخل طرابلس أنظر، على سبيل المثال:
Schwebel's desps. of 13
and 20 September 1831 and also 13 January 1832, to Sebastiani in AFF.-
ET.Bl., C.C.T.B. Tome 37. See also L.C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, pp. 348-9.

104 - إن ظهور محمد التركى فى سياسة طرابلس، خلال هذه الفترة الغامضة، ولكن بكل تاكيد بعد أن ترك حسسونة الدغيس وظيفته. ومن المحتمل أن ظهوره قد كان نتيجة لبراعته الدبلوماسية والتى خولته لقيادة بعثته المعقدة. فى مطلع سنة 1832 للتفاوض مع عبدالجليل.

105 F.O. 76/29, Warrington to Goderich, 4 August 1831.
English Consul, 30 September 1831.
Warrington to Hay, 5 October 1831, enclosing Yusef Bashaw to the

كما علم أيضا بالاتصالات المنتظمة بين القنصل و "المتمرد المطلوب رأسه فى طرابلس نتيجة لخيانته » ومرة أخرى كان لدى الباشا فى سبتمبر عام 1831 دليل آخر على تعاون وارنجتون مع عبدالجليل وذلك ان مؤيدى الباشا فى ترهونة ضبطوا عدد خمسين بقرة وبعض الضباء وحمل ثمانية من الابل بالطرونة ، كانت مرسلة كهدايا من قبل عبدالجليل الى القنصل وارنجتون[107] ، كما عرف الباشا اقتراح عبدالجليل بتقديم طرابلس للبريطانيين مقابل دعمه فى كسب السيطرة الكاملة . لقد أرسل القنصل تقريرا الى حكومته يناير 1832 عن مشاعر عبدالجليل ومؤيديه البارزين .

قالوا بأن الفرنسيين أخذوا الجزائر بطريقة عدائية اما بالنسبة للانجليز ، فانهم مستعدون أن يقدموا اليهم البلاد بكاملها ويضعوا أنفسهم تحت الحماية المباشرة للعلم البريطانى[108] .

لماذا غير الباشا قراره السابق فى ديسمبر عام 1831 ، مع علمه بذلك النفاق البين من جانب وارنجتون ، فدعاه ليتوسط بينه وبين عبدالجليل ؟ إن أحد التفسيرات ربما يكمن فى موقفه اليائس ، الذى ترتب عن النجاح السريع الذى احرزته الثورة ، وفشل قواته الخاصة ، وايضا وكما سيتضح بعد قليل[109] ضغط التزاماته المالية من دائنيه الاجانب وعلى الرغم من ذلك ، فإن وساطة وارنجتون خلال أواخر ديسمبر عام 1831 وأوائل يناير عام 1832 لم تحقق شيئا كما لم يحقق استئناف المحادثات فى نفس الشهر ، بين عبدالجليل ووزير الباشا محمد التركى ، أى نجاح[110] . كانت فزان المشكلة المحيرة ، كما أوضحت شروط السلام[111] المتنقلة ذهابا وأيابا

107 ـ المصدر السابق: عندما طلب وارنجتون باسترجاع الهدايا اجاب الباشا ببساطة: "أخبر القنصل بانه أرسل نسيماً وسنرجع ريحا" وكان رد فعل وزارة المستعمرات على هذه الاجابة مدونا باختصار على هامش فى مراسلة لوارنجتون: «لم أفهم هذا، وآمل أن السيد لن يتدخل فى نزاع بين الباى و رعاياه».

108 F.O. 76/31, Warrington to Hay, 28 January 1832.

109 ـ انظر نهاية هذا الفصل.

110 AFF. ET.B[1], Schwebel to Sebastiani, 10 January 1832, in C.C.T.B. Tome 37. F.O. 76/31, Warrington to Hay 24 February 1832.

111 ـ فيما يتعلق بهذا انظر:

F.O. 76/29, Warrington to Hay, 23 December 1831; and same to same, 28 January and 9 February 1832.

بين طرابلس وبنى وليد . وطبقا للباشا ، اذا مااستسلم عبدالجليل وتخلى عن التمرد ، فإنه سيعفو عنه وعن مؤديه البارزين . ومن الممكن أن يقدم له منصبا إداريا فى مدينة طرابلس أو اذا أراد فإنه من الممكن أن يستمر واليا على بنى وليد . كما سيقدم لاخوته أيضا مناصب هامة ، فعلى سبيل المثال ، يمكن أن يتولى احدهم على خليج سرت . ثانيا على عبدالجليل أن يدفع 15,000 دولار نقدا ، 4,000 كيلة من الشعير ، 1,000 رأس من الابل و 500 عبد[112] . ثالثا ، وفى انتظار هذه الدفعات كضمان ، حتى يستتب السلام ـ فإن أحد أخوة عبدالجليل ـ عمر ، وبعد ثلاثة أشهر سيف النصر وثلاثين من مؤيديه البارزين ، يحفظون رهائن فى طرابلس . رابعا ، على عبدالجليل أن يرتب اعادة الممتلكات والبضائع ، التى أخذها جنوده من فزان . ثم عليه بعد ذلك أن يسحب ممثليه من مرزق لأن فزان سوف لن تظل أبدا تحت ولاية الشيخ عبدالجليل[113] .

لم يلح عبدالجليل كثيرا على الشروط الثلاثة الاولى[114] . وكان مستعدا أن يرسل الرهائن بشرط أن يكونوا تحت حماية العلم البريطانى هناك . أما فيما يتعلق بشخصه فإنه لايفضل الذهاب الى طرابلس . أما بخصوص مسألة الدفع ، فانها شرط صعب ، لأن "أيدينا فارغة الآن"[115] على حد قوله ، غير انه سيحاول التماس ذلك من مؤديه ومع كل ذلك فهو فى حاجة الى أن يعطى الوقت الكافى . ويستطيع الآن أن يرسل 200 عبد فقط وسيجمع الباقى فيما بعد ، من فزان . وبالاضافة الى اجاباته على شروط الباشا ، فقد حدد هو الآخر شروطه أيضا[116] أولا : يجب كتابة شروط السلام ، مع ضامن ويفضل أن يكون القنصل البريطانى . ثانيا : على الباشا أن يسحب

112 ـ المصدر السابق، وأيضا:ـ

AFF.ET.B1, Schwebel to Sebastiani, 6 December 1831, in C.C.T.B Tome 37.

113 F.O. 76/31, Warrington to Hay, 28 January 1832, enclosing Youssuf Qaramanli to Warrington, 30 Argeb/1247.

114 ـ المصدر السابق

Warrington to Hay 9 February 1832 enclosing Ab Gellele to Warrington, 2nd Ramaddan/1247.

115 F.O. 76/29, Warrington to Hay, 23 December 1831, enclosing Ab Gelleel to Warrington, n.d.

116 F.O. 76/31, Ab Galleel to Warrington, 2nd Ramaddan/1247, as encl. in Warrington to Hay, 9 February 1832.

قواته ، التى يقودها على باى ، الى طرابلس . ثالثا : يجب على الباشا ألا يرجع المكنى واليا على فزان وانه يجب على من يرسل الى هناك ، أيا كان ، الا يكون له أكثر من خمسين مرافقا ، وأن عليه أن يدير الاقليم جنبا الى جنب مع جيش يعسكر هناك مع عبدالجليل . وأخيرا ، يجب جمع الضرائب من الاقليم بمشاركة ممثلى الباشا وضابط من جيش عبدالجليل .

وحيث أن هذا الاجراء السياسى المزدوج ، لادارة فزان كان معارضا لفكرة الباشا فى ضرورة انبثاق جميع السلطات من طرابلس ، وحيث أن عبدالجليل رفض تقديم أية تنازلات اضافية ، فقد توقفت المفاوضات ، وخرقت الهدنة ، واستؤنفت العمليات العدائية . وأمر الباشا ، حتى قبل بداية الجولة الثانية من المفاوضات عندما أدرك موقف عبدالجليل حيال فزان ، أمر المكنى بالزحف بحوالى 3,000 من جنوده ، لاسترجاع فزان[117] وقدر لقضية الباشا الفشل ، نتيجة لعدة أسباب . أولا : أصبح صعبا بالنسبة للمكنى أن يصل الى مرزق حيث أخذت قوات عبدالجليل مواقعها على طول الطريق الى فزان . ثانيا : ومع فشل المفاوضات فإن القوات المشتتة تحت قيادة ابنه على والتى منيت بهزيمتين خطيرتين ، لم يلق وضعها العسكرى أى تحسن فاستسلمت لليأس . ومع وصول امدادات اضافية من جميع الجهات للعدو (غريان ، فزان)[118] فإن معنويات قوات على قد انخفضت الى أدناها فقرر مع زيادة حالات الهروب وزيادة محاولات العصيان ، أن يقوض خيامه ويعود الى طرابلس[119] . وكان العامل الثالث الذى شل ، على نحو كبير قضية الباشا ، هو وضعه المالى[120] .

وعلى هذا فبعودة قوات على وللصعوبة التى واجهها المكنى فى

117 F.O. 76/31, Warrington to Hay, 24 February 1832; also AFF.ET.B[1], Schwebel to Sebastiani, 8 May 1832, in C.C.T.B. Tome 37

118 ـ تلقى عبدالجليل من فزان وحدها دعما عسكريا وصل 20,000 من الجنود، وامدادت وصلت قيمتها حوالى 120,000 دولار، من اجل مواصلة الحرب حتى النهاية أنظر:

76/37, Warrington to Hay, 28 January 1832.

119 F.O. 76/31, Warrington to Hay, 24 February 1832.

120 ـ انظر نهاية هذا الفصل.

استعادة فزان فرض على الباشا أن يظل فى وضع دفاعى فى داخل مدينة طرابلس ، فى حين سيطر المتمردون على جزء كبير من البلاد ، من بنى وليد فى الشمال الى فزان فى الجنوب . وظل الوضع دون تغير حتى يوليه عام 1832 ، عندما نشبت الثورة الاسرية ، وأندمجت فيما بعد مع ثورة عبدالجليل[121] .

واجهت طرابلس التهديد بالغزو الخارجى ، فى هذه الفترة 1825 - 1832 ، اضافة الى مشاكل السلطة المركزية والصراعات الاسرية وثورات الاهالى التى سبق ذكرها . وكانت مصر مصدر ذلك التهديد . لقد كانت العلاقات الطرابلسية - المصرية جيدة ، ففى سنة 1820 على سبيل المثال ساعد محمد على باشا مصر فى ارسال امدادات الحبوب الى طرابلس اثناء فترة المجاعة التى مرت بها[122] بيد أنه يبدو ، ومنذ أواخر سنة 1822 ، ان الدولتين قد أصبحتا أقل اتفاقا وظلت طرابلس ، فيما بين سنة 1826و1831 فى خوف مستمر من غزو تقوم به جارتها الشرقية .

وهناك سببان أديا الى تلك الحال . الاول إنه من المحتمل أن معرفة أهداف محمد على الاستعمارية تجاه السودان وسوريا[123] قد اتاحت الفرصة لتبلور الرأى القائل بأن له نفس النوايا حيال طرابلس ، وتأكد يوسف باشا من هذا ، بحلول سنة 1823 . وجاء مع نهاية تلك السنة ، محمد دوربى ، وهو عميل لمحمد على باشا ، الى طرابلس ، ليسترد من يوسف باشا الدين البالغ 250,000 دولار الى سيده[124] . وكانت رسالته الى يوسف باشا أن يسلم بنغازى ودرنة وفزان الى مصر ، لفترة 12 سنة وأن سيده مستعد حتى لتقديم قرض اضافى ، اذا ماكان هذا الاقتراح مقبولا . وكان طبيعيا أن يرفض يوسف باشا هذا الاقتراح على أساس انه كان :

.... أفضل قليلا من احتلال دائم لافضل جزء من اقليمه[125] .

121 - أنظر الفصل السادس التالى

122 - أنظر: الفصل الرابع أعلاه، والحاشية رقم 128 فى نفس الفصل.

123 For a brief reference, see H. Dodwell, op. cit., Chaps II, IV, V and VI.
123 F.O. 76/17, Warrington to Wilmot, 16 November 1823.
124 F.O. 76/17, Warrington to Wilmot, 16 November 1823.

125 - المصدر السابق Warrington to Wilmot, 2 Decamber 1832

وفى النهاية ، تمت الموافقة على تسوية الدين عن طريق دفعات من العبيد[126] .

ثانيا : والى جانب مسألة نوايا محمد على الاستعمارية ، كان هناك سبب للخوف من امكانية الغزو ، عن طريق تكرار مشكلة اللاجئين السياسين . وأصبحت مصر ، ابتداء من أحمد الثانى المأوى المألوف لأعضاء الاسرة القرمانلية ، الذين فشلوا فى تولى العرش كما هو الحال على سبيل المثال ، مع محمد باى 1817 - 1828 [128] ولذا ، فأية شائعات عن أية حركة على الحدود الشرقية ، كانت تفسر بأحتمال مجىء أحد المتنافسين من الاسرة ، الى طرابلس مع دعم عسكرى من محمد على .

بالاضافة الى ذلك ، كان لمحمد على نفسه لاجئوه السياسيون فى طرابلس ، الذين كان يعمل على استعادتهم . ففى أواخر 1822 - 1823 ، على سبيل المثال ، منح الباشا حق اللجوء السياسى الى 6 من المماليك الذين هربوا من المذبحة المشهورة ، لسنة 1811 ، بالقاهرة[129] ، حيث استقروا فى كردفان حتى سنة 1821 ومنها الى دارفور بعد أن أجبرتهم حركة عسكرية لمحمد على الانتقال اليها ثم الى وادای وأخيرا الى فزان[130] بيد أن اثنين من هؤلاء المماليك قاموا بدور فعال فى المعارضة ضد محمد على باشا وعلى هذا ، عندما وصلت اخبار تحرك قوات مصرية قوامها حوالى 2,000 جندى مع ضباط فرنسيين إلى طبرق[131] قرب الحدود كان المتوقع أن محمد على سيغزو طرابلس ، ربما انتقاما من الباشا على رعايته

126 ـ أنظر الفصل الثالث الحاشية رقم 6 .

127 ـ أنظر الفصل الثالث .

128 - أنظر H.Dodwill,op,eit,p.35 Warrington to Wilmot,14 and 19 October 1832 M.129 - F.O 76/16 وقد وضع معلوماته على أساس تقارير من دنهام وأودنى الذين كانا فى مرزق انذاك ، عاصمة فزان . من أجل التقارير الاصلية انظر:

C.O. 2/13, Denham to Bathurst, 27 September and 6 October and to Wilmot, 3 November 1822; and Oudney to Warrington and to Wilmot, 27 September 1822. For another account see F.O. 76/18 Warrington to Horton 12 January 1824 enclosing Toole to Warrington 27 October 1823.

130 F.O. 76/20 Warrington to Hay 26 June 1826.

131 See F.O. 76/20 Warrington to Hay, enclosing 2 Diaries, one for Tripoli and one for Benghazi July-December 1828; F.O. 76/29, same to Hay 17 October 1831, enclosing Diary for Benghazi, January-June, 1831.

للمماليك . وأعيد هذا النمط من عبور الحركة العسكرية المصرية للحدود ، فيما بين أواخر سنة 1828 وأوائل سنة 1829 وفيما بين ابريل ويونيه سنة 1831[132] . وفي كل مرة ، كان الهدف اعتقال اللاجئين واعادتهم الى مصر . ومع هذا ، فبالنسبة لطرابلس ، تعنى كل مرة ذعرا عاما .

ووصل خوف طرابلس من غزو خارجى ذروته بفزع سنة 1830 عندما وصلت الاخبار فى أواخر فبراير عام 1830 عن طريق لجهورن ، بأن مصر وبتحالف مع فرنسا وروسيا وبريطانيا ستحتل طرابلس بالاضافة الى الدولتين المغربيتين ، تونس والجزائر[133] ولم يساعد القنصل السردينى الا فى زيادة ذلك الذعر ، عندما قال إن لديه تأكيدا رسميا للتقرير عن طريق السفير الفرنسى بفلورنسا . ثم جاء تجار يهود طرابلسيون ليعلنوا أنهم وبسبب الاخبار ، قد أجبروا على ترك بضائعهم فى لجهورن ، وأنهم لم يرجعوا الى طرابلس الا لقفل حساباتهم وانهاء اعمالهم التجارية[134] .

وظهر رد الفعل الرسمى فى الاجتماعات المتكررة والسرية للديوان وفرض ضريبة عامة لجمع مليونى دولار أسبانى وتعبئة البحرية والقوات المسلحة . وتحرك كل من مصطفى قرجى رايس البحرية والحاج محمد بيت المال وسيدى عمر ، مع 70,000 من الجنود على التوالى الى برقة والبومبا وسرت ، للدفاع عن الحدود الشرقية[135] .

بالاضافة الى أن الباشا ، بعد أن استلم الاخبار مباشرة ، استدعى القنصل البريطانى من أجل مقابلة ليلية ، حيث وكما اشار الاخير :

---

132 F.O. 76/27, Warrington to Hay, Confidential of 8 March 1830;

وانظر ايضا: من أجل تفاصيل الخطة والانقسام الذى سببته فى الوزارة الفرنسية وردود الفعل العدوانية حولها من القسطنطنية ولندن.

H. Dodwell, op. cit., Chap. IV,

133 F.O. 76/27, Warrington to Hay, Confidential of 10 March 1830.

134 ـ المصدر السابق.

135 F.O. 76/27, Warrington to Hay, Confidential of 8 March 1830.

قد خلف فى نفسى الانطباع عن الاهمية الكبرى للحادثة والاهتمام الكبير الذى ولدته[136] .

ووضعت سفينة تحت تصرفه ، ليكتب للاميرال وحاكم مالطا أولا ، ثم الى الحكومة البريطانية. ثانيا : وفى نسخة من المراسلة الى وزارة المستعمرات النص الآتى :-
ستؤكد له (يعنى الباشا) الاحداث بإنه لايوجد خطر يخشى من هجوم من مصر[137] .

وتشير الاحداث هنا الى الاحتلال الفرنسى للجزائر[138] والذى حدث بعد وقت قصير من موجة الذعر التى عمت طرابلس ، وساعد فى تبديد الخوف من هجوم فرنسى - مصرى تجاه ذلك البلد . ولكن كنتيجة غير مباشرة لـ "الاحداث" عم طرابلس الذعر من جديد ، بعد ذلك بوقت قصير . حيث أن الفرنسيين ، ونتيجة لنجاحهم فى الجزائر ، قرروا الهجوم على طرابلس أيضا[139] . وعلى هذا ، ففى يوم 9 أغسطس عام 1830 ظهر أسطول فرنسى مكون من 6 سفن حربية تحت قيادة العميد بحرى بارون دى روزامل قرب شاطئ طرابلس

وبعد نزوله قدم روزامل انذارا بأنه على الباشا خلال 48 ساعة ، اما ان يقبل قبولا كاملا الشروط المقدمة ، او يواجه قصفا بحريا . وتحت هذه الظروف ، لم يكن امام الباشا خيار الا ان يوقع على الاتفاقية المسماة بـ «معاهدة التجارة والملاحة».

---

136 - المصدر السابق .

137 - انظر: , Warrington to Hay, Confidential of 10 March 1830.
S. H. Roberts, *History of French Colonial Policy* 1870-1925 (London, 1929), Part II.

138 - لقد تم ارسال روزامل الى طرابلس لانجاز تلك المهمة، وأخبر بالتحديد فى التعليمات التى صدرت له بأن فرنسا تريد أن تستغل الرعب الذى سيطر على الجزائر نتيجة لاعادة علاقاتها مع ايالة طرابلس Avec in Regence de Tripoly وانظر ايضا:

AFF.T.B[1], Instruction to Rear Admiral Rosamel, dated 30 June 1830, in C.C.T.B. Tome 36.

139 R. Vadala op. cit., p. 244; see also L. C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, p. 347.

« ١٤٠» فى 11 اغسطس عام 1830 مع فرنسا .

وتنص المادة الثانية من الاتفاقية على الغاء حرب السفينة المسلحة ووضع حد لحجم بحرية طرابلس . وفى ذلك :

> اعطاء شكل محدد وواضح لوجهات النظر التى صدرت عن القوى الكبرى فى مؤتمر اكس لاشايل « ١٤١ ».

اما المادة الثالثة فكانت عن الغاء استرقاق المسيحيين « ١٤٢ » فهى ببساطة اعادة لاتفاقية اكسماوت لسنة 1816 « ١٤٣ » والغت المادة «5» تقديم الهدايا القنصلية والاعانات المالية من الدولة الاوربية بالاضافة الى تأكيد حرية التجارة للرعايا الفرنسيين المادة «6» وكذلك تاكيد الامتيازات الاجنبية العثمانية «المادة 8» .

هناك مادتان اخريان هامتان بالاضافة الى هذه المواد جديرتان بالملاحظة فى هذه الاتفاقية المفروضة . قدمت المادة الاولى اعتذار الباشا على الظروف التى قادت الى رحيل روسو من طرابلس وعن «التقارير الافترائية» التى نشرت حوله «١٤٤» كان رحيل روسو القنصل الفرنسى عن طرابلس ، فى 1825 نتيجة لحادثة جوردان وحيث تناول انبوهن وبوفل هذه المسألة « ١٤٦ » ، فلا ضرورة لاعادتها هنا بالتفصيل . فقد وصل الرائد جوردن لاينج الى طرابلس فى مايو عام 1825 ثم سافر فيما بعد «فى شهر يوليه» الى غدامس ومن ثم الى تمبكتو مصحوبا بالشيخ بابانى من غدامس زوده به الباشا كمرشد « ١٤٧ » . وقتل لاينج فيما بعد بطريقة غامضة فى ساهاب بالقرب من تمبكتو ، مما حدا بالقنصل البريطانى الى اتهام الباشا ووزيره

140 ـ حول نص فرنسى كامل للمعاهدة، انظر: الملحق الثالث حول الترجمة الانجليزية انظر F.O 76/27 Warrington to, Murray , 14 Augsut 1830
AFF ET.B1, Rosamel to Baron Duperre, Ministre de la Marine, 13 August 1830 in C.C.T.B. Tome 36.
اما بالنسبة للترجمة العربية من الاصل التركى انظر: عمر على بن اسماعيل، انهيار الاسرة القرمانلية، صفحات 448 – 452 ، بتاريخ 1830/1246 .

141 ـ المصدر السابق.

142 ـ انظر : الفصل الثالث أعلاه.

143 F.O. 76/27, Warrington to Murray, 14 August 1830, enclosing copy of treaty.

145 AFF. ET.B1, Rousseau to Prince de Polignac, 23 October 1829, in C.C.T.B. Tome 36; also F.O. 76/27, Warrington to Hay, 17 February 1830, enclosing Diary forJuly-December 1829.

146 A. Adu Boahen, op. cit., pp. 85–90; and E. W. Bovill (ed.) op. cit., Vol. 1, Chap. XI: 'The Missing Journals.'

147 C.O. 2/15, Laing to Bathurst, 24 May 1825; F.O. 76/19, Warrington to Bathurst, 22 June 18 and 24 July 1825

الاول حسونة الدغيس بقتله «148» كما اتهم روسو ايضا بانه شريك فى ذلك على اساس ثلاثة اسباب . الاول هناك تقرير صدر فى جريدة فرنسية تدعى «لى توال» «149» نشر قبل وصول خادم لاينج المسمى بنجولا وابن اخ باباني المدعو الاخضر الى طرابلس فى شهر سبتمبر عام 1828 و اللذين اكدا اخيرا موت لاينج «150» ثانيا : كما نشرت صحيفة محلية «لانفستيجاتير افريكيين» كان يحررها روسو تقريرا متشابهاً عن موت لاينج ، خلال سنة 1827 ، اى سنة قبل تاكيد موته فى طرابلس . ثالثا : عبر روسو عن عزمه فجأة على نشر معلومات حول دواخل افريقيا «152» والتى هى وفقا لوارنجتون ، لايمكن ان تكون الا على اساس يوميات لاينج .

وحيث ان الدغيس ورسو صديقان فقد كان استنتاج وارنجتون ، أن الدغيس حصل على يوميات لاينج ثم باعها الى روسو «153» وكان ضغط وارنجتون على الدغيس شديدا بالقدر الذى ارغمه على ترك طرابلس فى سنة 1829 «154» وبعد ثلاث سنوات ذهب الى لندن ليدافع عن نفسه امام الحكومة البريطانية «155» ولكنه فشل فى اقناعها بالتخلى عن تقرير وارنجتون.

أعطى الباشا للاينج رسالة تصديق «الى من يرى هذه الرسالة فى الداخل الافريقى لحاملها، هو ضابط انجليزى يدعى الرائد لاينج اذا كان فى حاجة لاى نقود كسلفة فى رحلته هذه، فان اولئك الاشخاص الذين يقومون بمنحه سلفة ستدفع لهم بكل امتنان من قبل القنصل البريطانى هنا فى طرابلس، ونحن نضمنه.

عبدالله يوسف باشا القرمانلى

وتشكل ملاحظة السلة هذه المرفق الثالث، فى: Warrington to Bathurst , June 22 1872 F.O 76/19

148 F.O. 76/22, Warrington to Bathurst, 31 March 1827; F.O. 76/23, Warrington to Murray, 2 September 1828. See also *The Quarterly Review* 42 (1830), pp. 450-75; AFF.ET.B1, Rousseau to Baron Damas, 8 April 1827, in C.C.T. B. Tome 36.

149 F.O. 76/23, Warrington to Murray, 2 September 1828, enclosing Bungola's Deposition, dated 1 September 1828.

150 *L'Étoile*, Paris, 2 May 1827.

151 - لم تثمر جهودى حول هذه الورقة فى طرابلس، مالطا وباريس ومع هذا يشير اليها وارنجتون فى تقريره السرى المؤرخ 28 اكتوبر عام 1828 الى هاى فى F.O 76/23 ولكن لاتوجد نسخة منها.

152 F.O. 76/23, Warrington to Hay, Conf., 28 October 1828.

153 F.O. 76/23, Warrington to Hay, Confidential of 28 October 1828: 'Suffice

ونكفى الاشارة هنا الى انها (أوراق للاينج قد أحضرت فى مارس الاخر، اثنى عشر شهرا وباعها حسونة الدغيس الى القنصل الفرنسى، مقابل تخفيض 40% من دين كبير كان بينه و بين القنصل حوالى 600 فرنك.

154 F.O. 76/27, Warrington to Hay, 17 February 1830, enclosing Diary for July–December 1829.

155 F.O. 76/33, 'A Statement...', by Hassuna D'Ghies to Lord Goderich, 1832.

كانت هناك نتيجة اخرى لقضية لاينج تتمثل فى انها كانت مصدر توتر فى العلاقات بين فرنسا وطرابلس بطريقة غير مباشرة بسبب المزاعم الخاطئة التى قدمـها وارنتجون لحكومته. اذ كتب فى شهر اكتوبر عام 1828 ، الى بلاده قائلا:

لدى اسباب فى الشك ، بان القنصل الفرنسى ربما يكون قد سرق مذكرات الرائد لاينج «156».

واستمر بعد ذلك ، فى الضغط على الباشا لاسترداد اليوميات ونكس العلم ليشير الى قطع العلاقات الديبلوماسية بين بريطانيا وطرابلس . واعتمد الباشا على ما استلمه من وارنجتون ضد روسو والدغيس فاضطر ان يعلن فيما بعد ، فى سنة 1829 قائلا :

... الان اظن بأن حسونة الدغيس والقنصل الفرنسى كانا السبب وراء مقتل الرائد لاينج «157» .

. وقبل وارنجتون ذلك بلهفة وارسل تقريرا لحكومته حول الموضوع بحماس واضاف بانه اعاد رفع العلم البريطانى منذ ذلك الحين ثم استغل بيان الباشا وواجه روسو بطلب يوميات لاينج «158» ومن ثم اعطى الانطباع بان الباشا كان اول من وجه الاتهام ضد روسو وحيث أن الباشا لم يحسب تصريحه كما طلب روسو لذا انزل الاخير العلم الفرنسى وغادر طرابلس الى مرسيليا فى سبتمبر عام 1829 «159» وشكل الاعتذار عن تلك الحادثة فيما بعد محتوى المادة الاولى من اتفاقية روزامل .

لقد ضايق هذا الاعتذار القنصل البريطانى الذى رأى فيه تشهيراً غير مباشر بشخصه وذهب وفد مفوض من افراد عائلة الباشا وديوانه تحت

---

156 F.O. 76/23, Warrington to Hay, 28 October 1828.

157 F.O. 76/33,

"اوراق تشرح الظروف الذى أتهم فيها باشا طرابلس، سيدى حسونة الدغيس بتجريد أوراق الرائدلاينج الراحل"

158 F.O. 76/26, Warrington to Hay, 13 August 1829.

159 Ibid.; AFF.ET.B1, Rousseau to Prince de Polignac, 23 October 1829, in C.C.T.B. Tome 36.

رئاسة على باى للاعتذار سريا الى القنصل وشرح ما كان واضحا ـ بان الاتفاقية بكاملها كانت ببساطة خدعة . وعلى الرغم من ذلك اصر القنصل البريطانى على ان يقدم اليه الاعتذار بـ «طريقة وقورة ورسمية» كالاتفاقية وانزل العلم البريطانى مرة اخرى .

وهرع الباشا نتيجة لمازقه هذا بارسال مبعوثه عمر الشلى الشخص الثانى فى البحرية الى لندن ليشرح الموقف من مسألة لا ينج وليوضح بان اتفاقية روزامل ، قد انتزعت منه تحت الاكراه بالتهديد . كما وعد ايضا بالدفع للدائنين البريطانيين والذى يعرف انه مدان لهم بحوالى 160,000 دولار « 161 » وعبرت الحكومة البريطانية عن امتنانها من رسائل الباشا وتفسيراته حول الاتفاقية الفرنسية ومشاعر الصداقة وعاملت قضية لاينج ودفع الديون البريطانية على انها مسائل لم تتم تسويتها بعد . وكانت الحكومة البريطانية فى الحقيقة تنتظر تقرير التحقيق الخاص لها الذى كلفت به النقيب فريزر من البحرية الملكية الذى ارسل فى شهر اكتوبر عام 1830 للتأكد فيما اذا كانت الاتفاقية الفرنسية تهدد المصالح البريطانية فى طرابلس وثانيا للتعرف عن مصير يوميات لاينج ففيما يتعلق بالقضية الثانية كان تقرير فريزر ببساطة مؤيدا لاستنتاجات وارنجتون . اما بخصوص الاتفاقية الفرنسية فعلى الرغم من انها قد تسىء الى وارنجتون شخصيا فانها لاتخرق الاتفاقية الانجليزية مع طرابلس « 162 » .

اما المادة الاخرى من اتفاقية روزامل لسنة 1830 التى تمثل اهمية خاصة هى المادة السابعة والتى تنص على دفع 800,000 فرنك لتسوية ادعاءات الرعايا الفرنسيين « 163 » . وكان ارتباك الباشا المالى احد العوامل

---

160 F.O. 76/27, Youssef Bashaw Caramanli to Murray, 3 and 4 September 1830, as well as Fraser's Report C.O., dated 11 December 1830.

161 F.O. 76/27, Youseff Bashaw Caramanli to Murray, 3 September 1830; ibid., Warrington to Murray, 9 September 1830. Also AFF.ET.B[1], The Spanish Consul General (now acting for France) to Minstre des Affaires Etrangèrs, Paris, 18 September 1830, in C.C.T.B. Tome 36.

162 F.O. 76/27, Fraser's Report to C.O. dated 11 December 1830. For Fraser's

حول تعليمات فريزر انظر: واشار وارنجتون الى وصول فريزر الى طرابلس يوم 3 ديسمبر 1830 ، فى مراسلته بتاريخ 10 ديسمبر الى مورى فى F.O, 76/27

163 ـ قصد من وراء جزء صغير من هذه النقود مساهمة فى دفع جزء من تكاليف حملة روزامل ـ راجع س 1,7 من الاتفاقية، الملحق 3 فيما بعد، بيد ان دفع مجموع الدين قد واجه بعض الصعوبات وكان الباقى مع مطلع سنة 1832 ، حوالى 140,000 فرنكا او 28,000 دولارا.

الرئيسية التى سببت ثورة 1832 فى طرابلس . وفى الواقع وصلت ديون الباشا الاجمالية للتجارة الاوربيين فى اوائل تلك السنة حوالى 300,000 دولار «164» . واصبح الباشا مفلسا بالفعل وكذلك معه الدولة فى طرابلس

اصبحت المشكلة الاساسية فى ضوء مشاكل الباشا الاقتصادية ، والتى بدأت منذ فترة 1806 ـ 1817 واستفلحت منذ 1817 1824 الى 1824 «165» تتمثل فى مدى قدرته على تمطيط موارده لتقابل التزماته المالية بيد ان فترة 1825 ـ 1832 قد جاءت هى الاخرى بمتاعبها الاقتصادية .

لقد كان هناك فشل خطير فى انتاج المواد الغذائية وتصدير المحاصيل خلال سنة 1827 نتيجة لانعدام الامطار وسبق ذلك تفشى الوباء فى اواخر سنة 1826 عندما وصفت نفقات المعيشة فى طرابلس فى اطار ما يسمى بـ «اسعار المجاعة» «166».

بالاضافة الى ذلك فان الاستكشافات البريطانية لدواخل افريقيا قللت من تصدير الرقيق من السودان عبر طرابلس وكان اثر تلك الخسارة من ذلك الدخل هو ما اصبح يشعر به الباشا عندئذ وقد قدر القنصل البريطانى تلك الخسائر فى اوائل سنة 1826 بحوالى 10,000 جنيه استرلينى «167» ترتبت عن ركود فى تجارة الرقيق مع السودان كنتيجة لبعثة برنو وماكان ليمكن لهذا المصدر من الدخل ان يصل الى نفس المستوى بعد البعثة المذكورة وخاصة اذا اخذنا فى اعتبارنا انشغال الباشا بالمشاكل التى تمت مناقشتها اعلاه . وهكذا فما بامكان الباشا الحصول عليه كدخل منتظم من تجارة الرقيق قد قطعته الحكومة البريطانية . ففى اوائل سنة

164 ـ حسبت من ارقام قدمها القنصل الفرنسى شوبيل Schwebel الى سيبستيانى Sebastiani فى مراسلته فى 2 فبراير عام 1832 الموجودة فى AFF,ET BI,C.C.T.B Tome 37 بيد انه كانت هناك صعوبة فى مبلغ دين الباشا بسبب عملية تغير الملاك والتغير السريع الذى يطرأ على القيمة بين للدائنين. حول هذا الموضوع أنظر: نهاية هذا الفصل. والحاشية رقم 208 أدناه.

165 ـ انظر الفصل الثالث والرابع اعلاه

166 F.O. 76/24, Warrington to Hay, 5 January 1828, enclosing Trade Returns for 31 December 1827. Also F.O. 76/21, Warrington to Bathurst; 16 April and to Hay, 6 August 1827.

167 F.O. 76/20, Warrington to Hay, 29 January 1826.

1826 قدم القنصل وازنجتون مسودة اتفاقية بينه وبين حسونة الدغيس يتعهد فيها الباشا بالغاء تجارة الرقيق مقابل تعويض سنوى قدره 30,000 دولار لمدة 10 سنوات واذن برفع الرسوم الجمركية للتوريد وللتصدير من 3٪ الى 6٪ «168» ولكن الحكومة رفضت الاقتراح بحجة ان مبدأ التعويض يجب ان يكون المحاولة الاخيرة بالاضافة الى ذلك فان الاعتراض الاقوى كان ضد الزيادة المقترحة فى الرسوم الجمركية .

ان عرقلة التجارة القائمة بين رعايا
صاحب الجلالة وطرابلس بوضع نظامى
جمركى مرتفع انما هو اجراء سيمثل على
طول الزمن سياسة غاية فى الريبة «169»

وسيقوم مثل هذا الاجراء ايضا الى تعقيدات دولية مع الدول الاوروبية الاخرى والتى ستخترق اتفاقياتها برفع الرسوم الجمركية .

والى جانب مشكلة الدخل من تجارة الرقيق فان الغزو البحرى خلال هذه الفترة لم يعد مربحا كما كان فى 1795 ـ 1805 . وقد نقصت عائدات هذا المصدر بشكل كبير بسبب طلبات الدول الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا من طرابلس التقيد بمعاهدة اكسماوت لسنة 1816 وايضا باعلان بعثة جوريان ـ فريمانتل لسنة 1819 .. وكمثل على ذلك نتيجة لشكوى من روما لباريس فى سنة 1826 ، امرت زيارة بحرية فرنسية تحت قيادة النقيب اروس دى سولسا الباشا باعادة ثلاث سفن تحمل العلم البابوى تم اسرها من قبل قراصنة طرابلس وكان عليه ان يدفع تعويضا قدره 10,600 فرنك «170» وادى تدخل بريطانيا على نحو مشابه فى سنة 1827 الى ان يكلف الباشا 11,200 دولار كتعويض لها «171» . بالاضافة الى ذلك ففى جميع حالات الاسر فى هذه الفترة ليس بالامكان التخفظ على اطقم السفن كعبيد ومن ثم لا يمكن الحصول على اموال مقابل فك اسرهم .

---

168 F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 27 February 1826.

169 F.O. 160/47, Hay to Warrington, 30 April 1826. There is another copy of this dispatch in F.O. 76/40.

170 F.O. 76/20, Warrington to Bathurst, 20 February 1826; R. Vadala, op. cit. pp. 223–4; L. C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, pp. 337–8.

171 F.O. 76/21, Warrington to Bathurst, 22 May and 7 June, and to Hay, 1 November 1827.

لم يصبح دخل البحرية محدوداً فحسب خلال تلك الفترة وانما ارتفعت تكاليفها ايضا فعلى سبيل المثال ، ان احدى السفن كانت تكلف الباشا فى العادة حوالى 20,000 دولار قد تم بيعها له بحوالى 30,000 دولار فى سنة 1827 بسبب تسهيلات الدفع الطويلة الاجل وفى الواقع فأن ضمانات على ديون وجب سحبها مقابل اعانات من الدانمارك والسويد لم يحسن دفعها قبل سنة 1833 «[172]».

واذا كانت البحرية قادرة على تحمل مصروفاتها فى هذه الفترة بشىء من الصعوبة فان تكاليف الجيش هى الاخرى مرتفعة فتجهيز فيلق مدفعية جديد والبسته ودخائره الخ.. ليس بالامر الهين وازدادت التكاليف فى هذه الفترة لان طرابلس كانت فى ذلك الحين فى حالة حرب مستمرة «الصراع الاسرى والتهديد الخارجى وثورات الاهالى كما اشير اعلاه» [173] كما عقدت الثورات العربية مشاكل الباشا الاقتصادية عن طريق الامتناع عن دفع الضرائب فى الدواخل فوفقا لتقديرات تقريبية كان مجموع ضرائب الباشا حوالى 500,000 دولار سنويا غير انه فى سنة 1831 ، على سبيل المثال وبسبب الثورات لم يستطيع الا بصعوبة جمع ما يزيد عن ثلث هذا المبلغ لقد كلفت ثورة عبدالجليل وحدها فيما يخص الخسارة فى الدخل حوالى 60,000 دولار سنويا [174] بالاضافة الى هذه السلسلة من الثورات فقد تأثر الانتاج الزراعى للسكان وبدرجة كبيرة وانعكس ذلك الى حد ما على تجارة طرابلس الخارجية والتى ظلت تعانى من عجز خلال تلك الفترة . ولقد كان الفارق بين الواردات والصادرات على ، سبيل المثال ، فى السنوات 1825 و1826 و1830حوالى 46,980 دولارا

172 F.O. 76/21, Warrington to Hay, 24 June and 7 November 1827; also F.O. 76/22, F.O. to Hay, 31 August 1827.

173 ـ انظر نهاية هذا الفصل.

174 AFF.ET.B1, Schwebel to Sebastiani, 2 February 1832, in C.C.T.B. Tome 37. F.O. 76/33, 'A Statement. . .', by Hassuna D'Ghies to Lord Goderich, 1832; F.O. 101/2, Warrington to Palmerston, 1838,

و54,070 دولارا و281,450 دولاراً على التوالى [175] . والسؤال هنا كيف واجه الباشا هذه المشاكل الاقتصادية ؟ لقد فشلت بعض محاولاته فى حلها فى حين ساعد البعض الآخر على تسبب اضرار اضافية الى اقتصاد طرابلس . واستمرت عملة طرابلس فى حالة عدم استقرار منذ تخفيضها ، فى سنة 1818 - 1819 [176] وألغى الباشا القرش الطريلسى ، وسك سلسلة جديدة من القطع المعدنية [177] .
وضرب فيما بين 1825و1832 عملة جديدة مرة فى السنة على الاقل وتم اصدار قطع معدنية جديدة مرتين على سبيل المثال ، فيما بين مارس وابريل عام 1830. [178] .

كانت احد النتائج للسك المتكرر واظهار القطع المعدنية الجديدة تخفيضا متكررا وتذبذبا فى قيمة العملة ، واستمر هذا النمط حتى نهاية عهد نظام يوسف باشا ففى اغسطس عام 1825جرى تخفيض قدره 50٪ وفى يونيه عام 1831 حوالى 100٪اى من 12الى 24 قطعة معدنية طرابلسية للدولار الاسبانى الواحد ([179]) وفى يوم من ايام مارس 1829 كان انخفاض العملة سريعا جدا ، واربك التذبذب اسعار السوق بالقدر الذى استثار السكان للقيام بعمليات شغب ، او « اعمال ثورة » ([180]) على حد قول وارنجتون . ولم يستطيع الباشا تهدئتها ، الا بتراجعه وسحب عملته التى ضربها حديثا وطلب من حامليها الذهاب الى القلعة من اجل

---

175 - لقد جمعت هذه الارقام وحللت من قبلى من عائدات تجارية مختلفة مع مراسلات فى F.O76, Vols 17.32 وهناك ايضا عائدات تجارية فى مراسلات تحت عنوان "شئون تجارية" (Commerciales Af-faires: فى سلسلة A. FF. ET.Bi, C.C.T.B غير اننى فضلت استخدام سلسلة F.O لانها اكثر شمولا ولاتعطى على سبيل المثال، العائدات التجارية لطرابلس وبنغازى فحسب ولكنها تقدم عائدات كل الدول الاوروبية والدول الاخرى التى لها علاقات تجارية مع طرابلس خلال هذه الفترة.

176 - انظر الفصل الرابع أعلاه.

177 F.O. 76/20, Warrington to Hay, 21 October 1825.
سكت عملات طرابلس تحت اسماء مختلفة مثل 'fondoky'manhbud', 'uklek', 'adlea', 'rial', .. الخ حول مصدر عن العائدات التجارية انظر الحاشية 175 اعلاه.

178 F.O. 76/27, Warrington to Hay, 1 December 1830, enclosing Diary for January—June, 1830.

179 F. O. 76/20 Warrington to Hay, 17 October 1831, enclosing diary for January-June, 1831; F.O. 76/19, same to Horton, 8 August 1825.

180 F.O. 76/25, Warrington to Hay, 31 March 1829.

استبدال مناسب . وكان احد آثار تخفيض وتذبذب العملة التضخم الذى عمل ضد اقتصاد الدولة . حيث ان التجار الاجانب غالبا ماكانوا يلجأون الى فرض اسعار مرتفعة على بضائعهم وتصل ارباحهم احيانا الى 200٪(181) كما افسح المجال امام المضاربات المالية بين التجار اليهود والمالطيين من حوالى سنة 1827 نتيجة لاصدار العملات المتلاحقة واسعارها الجديدة ، حيث يترقب اولئك المضاربون اللحظة المناسبة اثناء التذبذب السريع ليختزنوا كميات كبيرة من عملة طرابلس فى اماكن مثل مالطا وليجهورن (182) . ويتسبب ذلك فى نقص العملة المدة الكفيلة بإعطاء فرصة مناسبة لارتفاع اسعار الصرف ، وفى اثناء ذلك يقوم المضاربون بأحضار العملات القديمة الى طرابلس ، لتباع بفائدة .

هناك ملاحظة اضافية على سياسة الباشا المالية ، وهى انها لم تمكنه من تخفيض ديونه ، كما كان يتوقع . حيث كان التجار الاوربيون فى جميع معاملاتهم مع الباشا يصرون دائما خلال تلك الفترة على ان تتم بوسيط صرف دولى وهو فى منطقة البحر المتوسط الدولار الاسبانى (183) . ولم يكن الا رعايا الباشا الذين عليهم تحمل الخسائر نتيجة تلك التذبذبات السريعة والمربكة فى حين استمر التجار الاوروبيون فى الكسب .

واذا كانت سياسة الباشا المالية قد دمرت اقتصاد طرابلس ، فان محاولاته لتحسين مصادرها التجارية ، قد فشلت بسبب الارباح التى اثقلت بها . وكانت حلول الباشا ، خلال هذه الفترة كما فى فترة 1806 - 1817 لمشكلة زيادة دخله التجارى هو اتباع النظام الاحتكارى والذى بمقتضاه تتم جميع المعاملات التجارية عن طريقه هو شخصيا ، وذلك بشراء جميع منتجات الاهالى بثمن يحدده هو ، ثم يعيد بيعه للتجار الاجانب ، وفقا لاسعار الصرف الدولية ، وقد اعلن الباشا سياسته التجارية هذه ، فى سنة 1827 - 1828 (184) بيد انها لم تستمر طويلا ، اذ احتج التجار الفرنسيون والرعايا المالطيون البريطانيون عن طريق قناصلهم بأن الاحتكار

181 F.O. 76/19, Warrington to Hay, 24 December 1825.

182 F.O. 76/24, Warrington to Hay, 30 September 1827.

183 - كان سعر الصرف لهذه الفترة 1825 - 1832 دولارا أسبانيا واحدا لـ 4/6 استرلينى انظر المصادر المشار اليها فى حاشية رقم 175 أعلاه.

184 F.O.76/24, Warrington to Hay, 5 January 1828.

يعتبر خرقا للاتفاقيات التجارية المبرمة بين طرابلس والدول الاوروبية (185) .

ولذا فى سنة 1829 تم التحول عن سياسة الاحتكار الكامل الى سياسة اخرى تختلف عنها جزئيا حيث سيظل الباشا مسيطرا على تجارة البلاد الخارجية ، ولكن من خلال موظفين وسطاء تؤجر لكل منهم سلعة تجارية على اساس سنوى . وقد تمت الاشارة لنظام التأجير هذا فى مرحلة سابقة من هذا الكتاب (186) . الا ان الفارق فى نظام سنة 1829 يتمثل فى حجم قائمة المواد المؤجرة التى اتسعت بشكل كبير لتشمل البارود والرصاص والصوان والطواحين والصابون المصنوع محليا والتبغ والفحم النباتى والاخشاب والملح الخ ... بالاضافة الى انه طبقا لبرنامج التأجير زاد الباشا بطريقة غير مباشرة مقدار 75٪ فى الرسوم الجمركية على البارود والنبيذ والمشروبات الكحولية و100٪ على الصوان والرصاص . كما فرضت ضرائب جديدة على الخبز وزادت نسبة 1٪ رسوما اضافية على جميع الواردات بوجه عام (187) ولكن لم تحل هذه التنظيمات التجارية مشاكل الباشا حيث لم يسمح بالعمل بها لمدة طويلة ، واستمر القنصل البريطانى فى رفع اعتراضاته نيابة عن الرعايا المالطيين البريطانيين ، على اساس ان نظام التأجير يعتبر خرقا لاتفاقية سنة 1751 . وتمت الموافقة على اعتراضات القنصل البريطانى من قبل حكومته وأجبر الباشا مع حلول السنة التالية على سحب نظام التأجير (188) .

وفى السنة نفسها (1830) وجهت ضربة قوية لنظام التأجير بعد زيارة العميد بحرى روزامل (189) نتيجة لتأكيد مبدا حرية التجارة لجميع الرعايا الفرنسيين .

مازالت ديون مختلف التجار الاوروبيين مستمرة فى الزيادة .

---

185 - المصدر السابق .

186 - أنظر : الفصل الثالث أعلاه .

187 F.O. 76/25, Warrington to Hay, 5 May 1829; F.O. 76/27, same to same, 17 February 1830, enclosing Diary for July–December 1829.

188 F.O. 76/25, Warrington to Murray, 10 October 1829; F.O. 76/27, Diary for January–June, 1830; Also AFF.ET.B[1], Dom M. Ruiz Sainzto Mole, 18 September 1830, in C.C.T.B. Tome 37.

189 - أنظر الصفحات السابقة.

وبصرف النظر عن عوامل ردود الفعل المعاكسة التى اشير اليها ، فيما يخص موارد الباشا المالية ، فانه مما ساهم فى زيادة تضخم ديونه ايضا ماترتب على نظام « التذكرة » من مضاعفات ، ولقد عرفنا كيف وقع الباشا فى سنة 1817سند تعهد ، رهن فيها بعضا من انتاج بنغازى ، كتسوية لجزء من المبلغ الذى توجب عليه اعادة دفعة بسبب سفينة من هانوفر (١٩٠) ان هذا النظام اصبح خلال عشرينيات القرن الثامن عشر ، طريقة سهلة لخروج الباشا من مصاعبه المالية ولكن مع اواخر عشرينيات القرن الثامن عشر كان قد اصدر دون شك سندات تعهد اكثر مما تستطيع مصادر صادرات بنغازى دعمه فبدا المطالبون بهذه السندات يصرون على الانصاف من الباشا بسبب ايفائه جزئيا فقط لتلك السندات او عدم ايفائه اطلاقا وتحتم على الباشا ان يدخل فى اتفاقيات اضافيةلتسوية الاحتجاجات المعلقة بسندات التعهد فدفع التعويضات عن التأخر الذى تسبب للدائنين فكانت تضاف النفقات فى كثير من الحالات الى الدين الاصلى .

وعلاوة على ذلك وجد شكل آخر لنظام التعهد ساعد على تضخم قيمته الحالية تمثل فى اقدام بعض التجار الاوروبيين (على سبيل المثال) السويد ، الدانمارك ، النمسا الخ .. والذين كانت بلادهم صغيرة واقل نفوذا فى بلاط طرابلس من بريطانيا ، على بيع سنداتهم الى الرعايا المالطيين البريطانيين . كان احد الامثلة التقليدية سند التعهد الذى قدمه ايناود المالطى والذى رفض الباشا قبوله على اساس ان ملكيته كانت مشبوهة (191) . وفى الحقيقة كان سندايناود بقيمة 12,383 دولارا مملوكا فى الاصل لوالن وهو تاجر سويدى فى طرابلس . وفى عريضته الذى تقدم بها يوم 7 يوليو 1831 الى وزارة المستعمرات مطالبا بتسوية لادعائه ضد الباشا واوضح الى اللورد جود رتش بان سنده مثل بقية سندات الاخرين ... « .. كثير منها من اصل اجنبى ولكن من خلال التغير والتبادل ،

190 ـ أنظر الفصل الرابع.

191 Minutes by Hay on Eynaud's claim in F.O.76/30, ?, 1831.

وغيرها من العمليات التجارية الاخرى ، قد اصبح من الممتلكات البريطانية (192) .

وغالبا ما يتم شراء هذه السندات بتخفيض وصل خلال سنة 1830الى 50٪ (193) ثم قدمت فيما بعد . الى الدفع وفقا لقيمتها آنئذ مضافا اليها تكاليف التعويضات والارباح فيما توجب من حالات ومن ثم اصبح مثل تلك السندات تستخدم فى جميع الاغراض المتعلقة بالحوالات ، وظهرت مضاربات مالية ضخمة داخل ذلك النظام ففى شهر يوليو عام 1832 ، على سبيل المثال وبصرف النظر عن ال88,303 دولارات التى اعترف بانها ادعاءات بريطانية ، دهش الباشا عندما ووجه بسند تعهد آخر بلغت قيمته 89,390 دولاراً - يدعى « الجدول الجديد » (194) كانت تلك نتيجة بيع وشراء السندات والتى ظهرت مع انتشار الاخبار ، بان قوة بحرية بريطانية فى طريقها الى طرابلس لطلب تسوية الادعاءات البريطانية

ان الشكاوى ضد عدم فاعلية سندات تعهد الباشا « بالكامل او فى بعض قيمتها اصبحت منذ حوالى سنة 1827 امرا مألوفا وتكررت بدرجة كبيرة فيما بين 1829و1830 » (195) ومنذ السنة الاخيرة ساء الوضع بسرعة الى ان انتهى بأزمة سنة 1832 كانت هناك اعداد كبيرة من السندات فى التداول فى سنة 1827 تم بيعها لمضاربين بتخفيضات كبيرة . ولكن بالرغم من ذلك ، وكما اعترف وارنجتون بصراحة فأنه

ليس بالامكان منع الباشا من اعطاء مثل تلك السندات او منع رعايا اية دولة من اخذها (196) .

وهكذا استمرت تلك الحلقة المفرغة - اصدار السندات وعدم

---

192 المصدر السابق:

193 - F.O. 76/28, Warrington to Hay, 31 Mareh 1830 . تشير الى ان سندات التعهد الخاصة ببنغازى كانت "بفاقد بلغ نصف قيمتها".

194 - أنظر الحاشية رقم 208 ادناه

195 F.O. 76/21, Warrington to Hay, 7 November 1827; F.O. 76/25, same to same, 10 October 1829, and Diary for January–June, 1829; F.O. 76/27, Diary for June-December 1829 and for January–June, 1830. See also AFF.ET.B[1], Dom M. Ruiz Sainz to Mole, 19 August 1830, especially the enclosures.

196 F.O.76/21, Warrington to Hay, 7 November 1827.

الايفاء بها ، واصدار سندات جديدة مضاف اليها التعويضات والفوائد ، وهكذا دواليك . وكانت النتيجة ، بأنه فيما بين سنة 1829 و1830 ملأت القنصلية البريطانية وكذلك الفرنسية السندات المحتج عليها ـ واستمر القنصل البريطانى فى تقديم احتجاجات رسمية للباشا محاولا حثه على تسوية ادعاءات التجار المالطيين وتلك التى تخص شركة « هنتر وروس المالطية » .

واشتد ضغط القنصل ، على وجه الخصوص فى عام 1830 نتيجة لعزمه على مقاومة مايعتقد بأنه تزايد فى النفوذ الفرنسى فى طرابلس ، خلال تلك السنة (197) كانت سنة 1830 بدون شك سنة الاحتلال الفرنسى للجزائر ومن الطبيعى ، ان خوف الباشا من القوة الفرنسية جعله يرضخ لتلبية المطالب الفرنسية ومن ثم كانت اتفاقية روزامل ، والتى طبقا لوارنجتون نفسه ، قد انزلت استقلال طرابلس الى الحضيض (198) وبالنظر الى ان الاسلوب الروزاملى « قد افاد بعض الشى فى تسوية الادعاءات الفرنسية » فان وارنجتون قرر ان يحذو حذوه فى تصعيد ضغطه على الباشا ، فانزل علمه وكتب الى الاميرال فى مالطا مؤكدا ضرورة حضور قوة بحرية لانها اللغة الوحيدة التى يمكن للباشا فهمها . ولكى يحقق هدفه فانه اكد للاميرال :

ان ادعاء الفقر مجرد تظاهر فسعادته قادر على ان يكون تحت تصرفه ومتى شاء مبلغ مليونى دولار (199) .

وهو تأكيد لم يكن صحيحا وفقا لتقديرات فريزر الدقيقة التى تشير الى « الحالة السيئة التى عليها وضعه (يعنى الباشا) المالى » (200) وايضا وفقا لاعتراف وارنجتون نفسه ، فيما بعد (201) .

وعلى اية حال استجاب الاميرال لطلب وارنجتون ، الذي ارسل هـ . م . س . فريت تحت قيادة ود هاوس وكانت النتيجة ان اضطر الباشا فى اكتوبر 1830 للدخول فى اتفاقية مع القنصل البريطانى ، مضمونة من قبل على باى (ابن الباشا) يدفع الباشا بمقتضاها حوالى

197 F.O.76/27, Warrington to Murray, 14 August 1830.
198 F.O.76/37, Warrington to Hay, 1 September 1834.
199 F.O. 76/27, Warrington to Vice-Admiral Pulteney Malcolm, 8 October 1830, enclosed in Warrington to Murray, 11 October 1830.
200 F.O. 76/27, Fraser's Report, dated 11 December 1830.

حول هذه البعثة الى طرابلس انظر ادناه.

201 ـ أنظر. الحاشية الرقم 204 ادناه.

21,000 دولار خلال اسبوعين اما الباقى وقيمته حوالى 147,000 دولار فنتم تسويته على دفعتين أخريين ، احداهما فى بداية سنة 1831 ، والثانية فى حوالى منتصف تلك السنة (202) .

ولقد وجد الباشا لاسباب عديدة ، من الصعب الايفاء بوعده . وكان علية ان يسوى تعهد آخر بحوالى 80,000 فرنك او حوالى 16,000 دولار للباب العالى كتسوية لبعض الادعاءات الالبانية (203) وتعهد ايضا بقيمة جميع صادرات بنغازى للفرنسيين حتى يتم تصفية دينهم بالكامل (204) بالاضافة الى انه يواجه مشكلة عبدالجليل والتى بالاضافة الى تكاليفها العسكرية الباهظة فإنه استحال معها جمع الضرائب .

وعلى الرغم من ان القنصل كان واعيا تماماً بـ« هذه الحالة من الثورة » وعلى الرغم من انه اعترف ايضا بـ« الفقر المدقع للبلاد بصفة عامة » (205) الا انه استمر فى حث حكومته على

القيام بأحتجاجات اكثر صرامة[206] لكى تتم تسوية الادعاءات وبعد ان قام نائب الادميرال هولتام ببعض المحاولات الفاشلة فى كل مرة عن طريق السفن البريطانية فيما بين اواخر سنة 1831 واوائل سنة 1832[207] تدخلت الحكومة البريطانية اخيرا حيث رأى اللورد جود رتش الان بأنه «مدرك مثل (صاحب الجلالة) للصعوبات التى تحيط بالباشا ، وأنه مازال يجد بعض الاعذار لهذه النداءات المتكررة من جلالته ذلك ان استعداد الباشا الذى ابداه للايفاء بالمطالب الاكثر الحاحا لدولة اوروبية اخرى (فرنسا) لا يمكن أن يترك لجلالته أى خيار آخر الا الاصرار على الانصاف لرعاياه على الاقل»[208] .

202 F.O. 76/27, Warrington to Murray, 11 October 1830, enclosing copy of agreement.

203 AFF.T.B1, Schwebel to Sebastiani, 10 January 1832, in C.C.T.B. Tome 37. F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 29 January 1832; Cf. also E. Rossi, *Storia...*, p. 222.

204 AFF.ET.B1, Schwebel to Sebastiani, 10 February 1832, C.C.T.B. Tome 37; also F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 10 April 1832, esp. enc. I— Warrington to Bashaw 6 April 1832— والتى احتجت ضد هذا الاجراء كخرق لاتفاقية سنة 1751 .

205 F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 29 January 1832.

206 ibid., Warrington to Goderich, 10 May 1832.

207 F.O.76/31, Warrington to Goderich, 29 January and 10 May 1832.

208 F.O.76/40, Goderich to Warrington, 30 May 1832.

وكانت النتيجة ان نزل ر.س. دونداس وأ.جراى وج. جراى بالسفن الحربية البريطانية فى طرابلس وطالبوا جميعاً مع القنصل البريطانى مقابلة رسمية مع الباشا يوم 14 يوليه وقدموا طلب حق الاولوية فى تسوية فورية لجميع الادعاءات البريطانية المتوجبة الدفع[209] والتى وصلت الى حوالى 200,000 دولار تقريبا وشرح الباشا حالة «مصادره المالية المنهكة»[210] التى يرثى لها ووجه الانتباه الى مشاكله السياسية الداخلية وخاصة مشكلة عبد الجليل وتوسل بعد ذلك بأن يمنح وقتا كافيا.

وما ان انتهت مدة الانذار 48 ساعة حتى قام البريطانيون بالهجوم وفى حالة من اليأس عرض الباشا ان يدفع حوالى 180,000 دولار خلال 55 يوما وان يدفع الباقى على مدى عامين بفائدة قدرها 6٪ ولما لم يتلق أية اجابة على ذلك رفع عرضه باضافة 10,000 دولار اخرى وخفض مدة دفع الباقى الى سنة ونصف السنة. وكان يأمل فى جمع الـ90,000 دولار التى سيدفعها فورا من بيع سفينتين كبيرتين على الاقل من سفنه وبيع جميع بنادقه النحاسية وجزء من ممتلكاته المنزلية الخاصة على سبيل المثال المجوهرات والآوانى الفضية الخ ... ويكمل الباقى من تبرعات اعضاء الاسرة الحاكمة ومن الطبقة الغنية والمواطنين[211].

رفض هذا العرض من قبل دونداس والذى تولى المسئولية الكاملة فى اتخاذ القرار بعد ان انهى وارنجتون جميع مهامه الدبلوماسية وكانت حجته بأن العرض لا يمثل جميع المطالب البريطانية وهو تنفيذ محدود لتعليماته ومع هذا فقد ادى قراره هذا فيما بعد الى ندم

---

209 F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 17 July 1832.

لقد وصل المجموع 200,000 دولار كالاتى: (أ) 88,303 دولارا مع 73,000 دولار والى تم دفعها من قبل الباشا منذ اكتوبر 1830، شكلت «القائمة القديمة» (ب) 89,930 دولاراً ـ تشكل "القائمة الجديدة" ـ تتكون فى معظمها من سندات قد تغيرات ملكيتها من مالكيها الاصليين، والذين كانوا يف معظمهم من غير الرعايا البريطانيين. (ج) وتكونت الاخرى من «طلبات من الطبقات الدنيا مثل الخدم الخ...» F.O Warrington to Godrigh,25 Juiy 1832

210 F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 25 July 1832, enclosing Bashaw to English Consul, 23 July 1832 (Eng. translation of the Arabic original).

211 F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 25 July 1832, enclosing Bashaw to Warrington, 2 July 1832.

جميع المعنيين - الباشا والقنصل والدائنين الانجليز والحكومة البريطانية نفسها[212].

وفى تلك الاثناء بالذات تمت دعوة الديوان للاجتماع الذى حضره جميع المشايخ وفى يوم 20 يوليه 1832 كانت الازمة موضوعا للشرح والمناقشة وتوصل المجتمعون الى ضرورة فرض ضريبة عامة على السكان . وانتشر المشايخ بعد ان وعدوا بالعمل بأقصى ما فى استطاعتهم لجمع تلك الضريبة ولكن جاءت اجاباتهم فيما بعد من ضريح «المرابط الكبير» الذى التجأوا اليه للحماية خوفا من السجن معلنين بالاجماع عدم مقدرة السكان على دفع أية ضريبة[213] . فكان ذلك الموقف ايذانا ببدء الثورة الشاملة ، حيث انتهز حفيد الباشا محمد الفرصة التى اتاحها الاهتياج العام للسكان فأعلن نفسه الباشا الشرعى رافعا راية الثورة :

هكذا يا صاحب السعادة «يعنى الادميرال» قد عرفت بأنه ونتيجة لتحميل رعيتنا بالضرائب من اجل الايفاء بطلبات صاحب الجلالة ملككم فانك بذلك قد سببت فى قيام الثورة ...[214] .

---

212 F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 25 July 1832, enclosing Bashaw to Warrington, 2 July 1832; also F.O. 76/36, 'Letter from the Bey (i.e. Pāshā) to William IV, King of England', 5 July 1833; and F.O. 76/40, Goderich to Warrington, 4 September 1832.

213 F.O. 76/36, 'Letter from the Bey to William IV, King of England', 5 July 1833.

214 F.O. 76/36, 'Letter from the Bey to William IV, King of England', July 1833.

يقتبس الباشا هنا من رسالته المؤرخة بتاريخ 2 أغسطس 1832 ، الى هنرى هولتام Sir Henry Holham الادميرال والقائد العام للقوة البحرية لـ H.B.M فى البحر المتوسط.

الفصل السادس

الحركة ١٨٣٢ ـ ١٨٣٥

اتخذت ثورة 1832 ـ 1835 مبدئيا، مظهرا اسريا نتيجة لازمة الافلاس التى ترتبت عن تنامى ديون الباشا ولكنها تطورت فى مدة سنة وانتشرت لتتشكل مع ثورة عبد الجليل فى الداخل قضية عامة الا انها سرعان ما فقدت حماستها ووقعت فى مأزق وذلك عندما اتاحت المجال لتدخل السلطان العثمانى فجرت البلاد الى عواقب بعيدة الاثر تمخضت فى سنة 1835 عن انهاء الاسرة القرمانلية وفقدان البلاد لذاتيتها المستقلة وقيام الحكم التركى المباشر.

بدأت الثورة فى 25 يوليه 1832 م[1] ففى صباح ذلك اليوم كانت مدينة طرابلس بأكملها تتناقل الاشاعة بان بعضا من اعضاء الاسرة القرمانلية على وشك الاطاحة بالباشا. فحدث ذعر واضطراب واندفع السكان نحو السلاح للدفاع عن انفسهم وفى اجتماع عقد فى المنشية فى ذلك المساء[2] تم كشف النقاب عن قادة الحركة.

كان اولئك القادة ينتمون فى معظمهم الى طبقتين: الاولى كانت تتكون من اولئك الذين يمكن وصفهم بـ«طبقة الملاك» التى تكونت على نحو ملحوظ من التجار الاتراك واليهود والممولين والذين اثارتهم الضريبة العامة التى اقترحها الباشا[3]. اما الطبقة الثانية فكانت تضم بعض اعضاء الادارة مثل الحاج محمد بيت المال والرايس مراد

---

1 F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 28 July 1832; F.O. 76/36, Letters from the Bashaw to William, King of England, a Memo? 1833. Also AFF.ET.B1 Schwebel to Sebastiani, 27 July 1832, in C.C.T.B. Tome 37.

2 ـ حول تفصيل عن المنشية انظر: الفصل الاول، والحاشية رقم 58 لقد كانت المنشية تقليديا مستثناة من دفع الضرائب للباشا حيث كانت مسرحاً للثورة عندما اراد الباشا خرق ذلك الامتياز بفرض ضريبة عامة ـ -AFF.ET.B1, Schwebel to Sebatiani, 27 July 1832, inC.C.T.B. Tome 37.

3 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 1 August 1832.

المنشق الاسكتلندى والادميرال الطرابلسى[4] ويبدو ان معارضة هؤلاء الموظفين لم تكن بدرجة كبيرة ليوسف باشا ولكن كانت ضد الرئيس الجديد وزير الخارجية محمد الدغيس فهو كخليفة لاخيه حسونة 1826 ـ 1829 ربما مكن لاسرته الثرية ومركزها الاجتماعى من التدخل فى علاقته مع زملائه فى الديوان[5] . لقد كان متكبرا ومستبدا واصبح بسبب كبر سن الباشا يتمتع بنفوذ كبير مما اثار استياء اعضاء الادارة القدامى وفى مقدمتهم الحاج محمد بيت المال الذى ساءه ان يسبقه الى ذلك المتصب منصب وزير الشئون الخارجية عضوان من تلك العائلة وربما كان ذلك هو السبب فى امتناعه فى بداية الانتفاضة عن العودة الى طرابلس من بنغازى التى ذهب اليها فى مهمة اشراف على جمع الضرائب السنوية مفضلا الذهاب الى مالطا ومنها عاد الى طرابلس ليترأس الحركة المضادة فى المنشية[6] .

لم يعلن قادة حركة المنشية فى طرابلس عن اهدافهم فى أية وثيقة ولكن من خلال الحكم على ممارساتهم يتضح انه[7] لم يكن فى نيتهم انهاء الاسرة القرمانلية ولكن اقصى ما كانوا يطالبون به هو ان يكون لهم باشا صغير السن من احد افراد تلك الاسرة يمكن ان تضبط سلطته وخاصة ما يتعلق منها بفرض الضرائب على السكان تضبط على نحو سليم منذ البداية ولما كان سيدى على الباى وريث العرش فى الغالب يشارك والده اراءه السياسية فى ضرورة تمتع الباشا بالسلطة المطلقة فانه من الصعب قبوله لاى اقتراح من شأنه انقاص تلك القوة ولذا رأوا اختيار قرمانلى آخر يتوق الى العرش ومن المحتمل انصياعه لطلباتهم ورغباتهم .

فوقع اختيارهم على محمد حفيد يوسف باشا[8] ليقوم بذلك الدور

---

4 ـ فيما يتعلق بالرايس مراد وسيرة حياته فى سياسات طرابلس ، انظر الفصل الثانى اعلاه . اما بخصوص الحاج محمد بيت المال ، انظر : الفصل الخامس اعلاه .

5 ـ حول فترة منصب حسونة الدغيس ، انظر : الفصل الخامس أعلاه . أما عن التاريخ العام لاسرة الدغيس ، وظهورها فى السلطة فى الحياة السياسية والتجارية لطرابلس ، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، انظر :
F.O. 76/33, 'A statement...', by Hassune D'Ghies to Lord Goderich, 1832.

6 ـ انظر :
L.C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, p. 354.

7 ـ انظر ادناه (نفس الصفحة)

8 F.O. 76/31, Warrington to Goderich, 28 July 1832; F.O. 76/36, Letters from the Bashaw to William, King of England, a Memo? 1833, AFF.ET.B[1], Schwebel to Sebastiani, 3 August1832, in C.C.T.B. Tome 37.

فهو الى جانب طموحه الشخصى لاعتلاء العرش كانت له روح التمرد التى ورثها عن والده كما اشير اعلاه[9] وعلاوة على ذلك فبسبب سنه فان «هذا الطفل[10] كما سماه محمد الدغيس بازدراء - سيقع بسهولة حسب ماكان يعتقد تحت سيطرة اولئك الذين ساعدوا على وضعه فى السلطة.

وعلى هذا وقبل ما يمكن ان يوصف بانه «اجتماع تأسيسى» فى المنشية فى مساء يوم 26 يوليه سرد قادة الحركة قائمة بمساوى حكم يوسف باشا: كالظلم واستخدام القوة بدون هوادة واهمال الانتعاش الاقتصادى للبلاد والضرائب الطائلة وحالة السكان المعدمة المصاحبة لها واخيرا الافلاس ثم شجب النظام بالاجماع واعلن خلع يوسف باشا. وتبع ذلك اعلان تنصيب محمد باشا جديدا[11] واعلن الباشا الجديد فيما بعد اثناء حفل تقلد منصبه تعيين وزراء فى الديوان فعين اخاه احمد فى منصب الباى والحاج محمد بيت المال فى منصب رئيس للوزراء كما عين الرايس مراد اميرا للبحر وعبدالجليل واليا على فزان[12].

كان اجتماع المنشية الى جانب خلع الباشا القديم وتنصيبه باشا جديدا مهما بالنظر لما حاول ان يحقق لطرابلس فقبل ان ينصب الباشا الجديد اخذ عليه تعهد بأنه ومن سيخلفه فى المستقبل فى ادارة شئون البلاد عليهم قبول الاسترشاد والمراعاة لجملة من الشروط التى تطورت فى الواقع الى دستور[13] وبذلك يمكن القول بأن تلك الحركة فى المنشية قد شقت طريقها نحو ملكية دستورية وهو مظهر للحركة التى يمكن ان يوجد لها نظير مشابه فى ذلك الوقت فى تركيا العثمانية[14].

لقد صدمت اخبار الحركة فى المنشية الباشا واعضاء ديوانه

---

9 - انظر: الفصل الخامس اعلاه.

10 F.O. 76/34, Warrington to R. W. Hay, 6 February 1833.

11 F.O. 7/36, Letters from the Bashaw to William, King of England, a Memo? 1833.

12 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 6 August 1832.

13 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 23 August 1832, enclosing Dickson to Warrington, 22 August 1832, and same to same, 4 September 1832.

14 - انظر: B. Lewis, *The Emergence of Modern Turkey* (Oxford University Press, 2nd edn, 1968), Chaps. III and IV,

البارزين وكانوا على وجه الخصوص قلقين من ان تحريض السكان ضد الضريبة عامة التى قبل بها فى البداية العديد من المشائخ قد اخذ الان بعدا جديدا من قبل التمرد الاسرى بقيادة محمد وكذلك من قبل حركة عبدالجليل بالداخل والتى لم يتم اخمادها بعد . وبرز عندئذ السؤال عما يجب اتخاذه لمواجهة ذلك الموقف؟ وقد انقسم الديوان حياله الى شطرين اساسيين : مساندى على والتقليديين لقد قرر على بصفته بايا ووريثا للعرش بأنه وبسند من والده يتحتم عليه ان يناضل من اجل العرش وان يحفظه من السقوط فى يد ابن اخيه المتمرد[15] وسانده بعض اعضاء الديوان مثل مصطفى قرجى وسليمان قربع ورئيس الوزارة نفسه محمد الدغيس وكان معارضا لعلى بعض من التقليديين مثل الشيخ القاضى النائب[16] الذى يبدو انه جادل بانه اذا ما نصب على كباشا فى حين لم يتم تخلى والده عن العرش فان ذلك سيقود الى تشجيع تمرد آخر . وفى النهاية وبعد حوالى اسبوعين من نقاش حاد واتصالات ومفاوضات سرية تم تقديم حل ليوسف باشا ـ ليتنازل على العرش طوعا ويعين على الوريث كخليفته المباشر[17] ووافق عن طيب نفس على التنازل وعقد فى 16 اغسطس 1832 اجتماع موسع للديوان ليشهد احتفال مهيب ومؤثر وعند مثول على امامه اعلن الباشا وعيناه مغرورقتان بالدموع : ابنى العزيز وخليفتى الآن ازيل العبء الثقيل الذى حملته على كتفى والتى به عليك مفضلا ان احيا فى سكينة لاراك على عرشى اوصيك ان تعمل بحماس للقيام بما يأمر به قرآننا الكريم ونبينا ولا تحكم وفقا للاهواء لان سقوط وخطيئة حكومتى انما حدثتا بسبب ذلك[18] . ثم طلب من على بعد ذلك ، ان يحب جميع اخوته الذين امروا على التناقب بأن يطيعوه بأخلاص وولاء . وقدم له المفتى مصحفا و«كتبا

---

15 ـ لم اتمكن من ايجاد دليل يؤيد وجهة نظر وارنجتون فى مراسلته بتاريخ 4 سبتمبر عام 1832 ، الى جودريتش، F.O 76/32، بانه كان فى نية على الثورة ضد والده ، فى يوم 26 يوليو .

16 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 23 August 1832, encl. 4: Dickson to Warrington, 22 August 1832.

على الرغم من أن احد رجال الديوان البارزين ، الشيخ القاضى النائب ، لم يكن له على ما يبدو منصباً ، ومع هذا كان محترماً نظراً لسنه وتجربته .

17 F.O. 76/36, Letters from the Bashaw to William, King of England, a Memo? 1833.

18 ـ المصدر السابق .

للسنة» ثم قام يوسف باشا بأداء يمين التخلى عن السلطة وتبعه على بأعلانه تكريس جهوده للمصلحة العامة ورخاء رعاياه وبأن يظل وفيا للقوانين . وختمت مراسم اداء القسم، بأن قام اعضاء الاسرة الحاكمة والديوان باداء اليمين ايضا ، ثم قلد الباشا الجديد ، فى النهاية ، قفطانا وسيفا وهما الشارة التقليدية للسلطة من السلطان العثمانى . وقام بتعيين بعض من موظفيه وعين اخاه المباشر ، سيدى ابراهيم بايا ، اما اخواه الاخران ، سيدى مصطفى وسيدى عمر ، فقد اعطيت لهما قيادة مشتركة للقوات ، واحتفظ محمد الدغيس بمنصبه كرئيس للوزراء ([19]) . وبهذا الاحتفال ، تخلى يوسف باشا القرمانلى عن نصيبه فى صنع تاريخ طرابلس لانه ومنذ نهاية الحركة ، وفى الحقيقة حتى موته ، فى سنة 1838 ([20]) ظل باشا اسميا بعيدا عن الانظار متأملا بألم الانهيار السريع للاسرة القرمانلية الذى رفع رأسها الى قمته اثناء العقدين الاولين لحكمه .

وتمت الموافقة على اختيار على كباشا ، من قبل غالبية اعضاء الديوان ، للاسباب الأتية :-

الاول كونه أكبر ابناء يوسف باشا الاحياء وطبقا لحق البكورة فى وراثة العرش على الاساس التى أقيمت عليه الاسرة من قبل مؤسسها احمد الكبير، فقد كان اختياره شرعيا .

([21]) . الثانى اصبح يوسف نفسه طاعنا فى السن ، وفاقد للحسم والسيطرة على مقاليد الامور التى تميزت بها السنوات السابقة من عهده فى حين تتطلب المشاكل الاقتصادية والسياسة الراهنة للبلاد ، روح المبادرة والحزم والقوة . وتتوفر هذه الصفات فى على الذى اظهرها خلال الفترة التى امضاها واليا ، حيث شهدت على سبيل المثال ، الطريقة الناجحة التى ادار بها حملة اخضاع ثورات غريان ، فى سنة 1826 وسنة 1831 ([22]) وعلاوة على ذلك ، فقد كان على يتمتع

---

19 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 23 August 1832.

20 F.O. 101/2, Warrington to Palmerston, 4 August 1838.

«كان الشعور بالاسى واضحا فى كل ملامح ودموع الاسف التى تبدو على كل وجه»
اما عن تركة يوسف باشا عند وفاته ، انظر : وثيقة رقم 46 بتاريخ 4 شعبان 1200 هـ / 13 اكتوبر 1839 ، فى : عمر على بن اسماعيل ، انهيار الاسرة القرمانلية صفحات 484 ـ 486 .

21 F.O. 76/36, Letters from the Bashaw to William, King of England, a Memo? 1833.

22 ـ انظر : الفصل الخامس اعلاه .

ـهرة تعليمـه الجيد وقدراته الفائقة على الحكم « [23] » .
ـد صعد الصراع من خلال تعيين باشا بين متصارعين وحكومتين
ـعارضتين ، الاولى فى المدينة والاخرى فى المنشية وخاصة منذ حوالى
ـتصف شهر اغسطس 1832 وذلك من اجل كسب السيطرة
ـسياسية على طرابلس ، وتميز هذا الصراع بمظهرين أستمرا حتى
ـايته فى سنة 1835 .
فكان الجانبان يناضلان من اجل توسيع قاعدة شعبيتهما داخليا
كسب الاعتراف من الدول وخاصة من السلطان العثمانى خارجيا .
ـذا من ناحية ومن الناحية الاخرى واجه الطرفان الصراع المسلح
ـن البر والبحر .
ـا نيما يتعلق بمكسب الدعم الخارجى ، فجماعة على عموما كانت
كثر توفيقا من زمرة محمد ذلك ان عليا أرسل فور توليه مباشرة وفدا
ـرئاسة اثنين من موظفيه البارزين محمد التركى وعمر الشلى الذين
خدما مع والده ، ليقوما بزيارة القناصل الاوروبية ويعلنا عن التغير
لاخير فى هذه الحكومة ([24]) ولينشدا اعترافهم به باشا شرعيا
وكتب فى نفس الوقت ، الى كافة الدول الاوربية ، من خلال قناصلها
لمقيمة ، لينبئهم على حد قوله "بتولينا السعيد حكم هذه المملكة"
([25]) واعطى فى رسالته الخاصة للحكومة البريطانية ، تفصيلا
كاملا عن كيف ان انذار ضباط البحرية البريطانية ، الذين ارسلوا فى
طلب تسوية للادعاءات البريطانية ، قادت والده الى فرض ضرائب
عالية على السكان ، وكيف ان ذلك الاجراء قد جلب عليه اهتياجا
عاما، تبع بتمرد ابن اخيه وتخلى والده عن العرش واستمر هذا
التمرد فى الاستحواذ على مصادر واهتمامه الكامل مؤكدا بانه بعد
اخماده سيتم تصفية جميع الديون البريطانية ، وعلى هذا ، التمس
ان يرفع العلم البريطانى كعلامة على اعادة العلاقات الدبلوماسية .
وذكر الحكومة بالعلاقات الطيبة التى أستمرت لوقت طويل ، بين

---

[23] F.O. 76/36, Letters from the Bashaw to William, King of England, a Memo?
1833. Also Dodument 7, dated 1248/1832-2, Ismāᶜīl, op. cit., pp. 391-3,
وال نسخة لرسالة من يوسف باشا الى السلطان العثمانى محمود الثانى . يعلن فيها تنازله لصالح ابنه
على ابن هـ عيها عن امله فى استصدار فرمان لتولية على فى طرابلس .

[24] F.O.76/32,Warrington to Goderich, 23 August 1832.

[25] المصدر السابق 1832 , Warrington to Goderich, encl. I: ᶜAlī Pāshā to Warrington, 16 August
الترجمة العربية والايطالية حول النسخة الفرنسية انظر المحتويات فى AFF.ET.B[1], C.C.T.B. Tome 37.

بريطانيا والاسرة القرمانلية ، وبنيتـه الخالصة فى المحافظة عليها ، عن طريق الالتزام المخلص بالاتفاقية القائمة بين الدولتين (26) . وتبعث رسالة على برسالة أخرى من والده ، الباشا السابق ، مشيرا فيها الى تنازله عن العرش والى تنصيب ابنه « بتدخل ومصادقة ديواننا . وسكاننا المخلصين ابننا العزيز ، سيدى على [تم تنصيبه] كخليفة لهذه المملكة » (27) .

كما أنه عزز وعد على فى المحافظة على التفاهم الجيد « بين بريطانيا وطرابلس » وعلاوة على ذلك ، وخلال شهر واحد ارسل رئيس الوزراء محمد الدغيس ، فى مهمة دبيلوماسية ، ليكسب دعم الادارة البريطانية والسلطات البحرية فى مالطا . وهناك وبطريقة مقنعة ، عرض مسألة على عن طريق الاشارة الى قانونية تنازل يوسف وطبقا لحق البكورةفى تولى العرش ، والتى تبرر حق على فى الباشوية وليضمن تحقيق مطلبه وتعهد نيابة عن الباشا بدفع جميع المطالبات البريطانية حال نهاية الحركة (28) .

وسرعان ما حدث جماعة المنشية حذو المدينة وحاولت الحصول على اعتراف الدول الاوروبية . وحاول محمد فى رسالته الخاصة الى الحكومة البريطانية ، فى شهر سبتمبر عام 1832 (29) تبرير ادعائه فى العرش على اساس حق والده الطبيعى لكونه ابن الباشا الاول ، والذى انتقل اليه بموت والده ، وان عمله هذا استجابة للدعوة العامة فى انقاد طرابلس من حكم قمعى واعادة الرخاء الاقتصادى . ثم التمس بعد ذلك معونة بحرية ووعد بدفع جميع الديون البريطانية بعد ان يضمن توليه العرش . واعقب ذلك برسالة مماثلة الى الاميرال ورئيس اركان اسطول البحر المتوسط ، هنرى هوثمان (30) .

---

[26] F.O. 76/32: cAlī Pāshā to William IV, King of England, 17 August 1832.

27 ـ المصدر السابق . كما هو فى المرفق الثانى ، لمراسله وارنجتون الى جود رتش ، 23 اغسطس 1832 . انظر أيضا رسالته ، بدون تاريخ ، سائلا فيها خليل رفعت باشا Khalil Rifa Pasha رايس البحر ، للتوسط لدى السلطان من أجل الحصول على اعتراف بعلى فى : عمر على بن اسماعيل ، انهيار الاسرة القرمانلية ، صفحات 444 ـ 446 ، الوثيقة 30 .

Yusuf Bashaw Caramanli to King William IV, 16 August 1832 as

[28] F.O. 76/36: Letters from the Bashaw to William, King of England, a Memo?
1833. Also AFF.ET.B1: Schwebel to Sebastiani, 17 September 1832 in
C.C.T.B.2 Tome 37.

[29] F.O. 76/3: Warrington to Goderich, 11 September 1832, encl. 3: Mohd.
Bashaw to King WilliamIV, King of England, 8 September 1832.

30 ـ المصدر السابق ، وارنجتون الى جودرتش ، المرفق الثانى .

ماذا كان رد الفعل اذن على التماس المجموعتين المتصارعتين الدعم
من اجل السيطرة على السياسة فى طرابلس ؟ كان الاتجاه الرسمى
للحكومات الاوروبية ، وعلى الاخص الحكومة البريطانية (31)
مراقبة مسار الحركة والبقاء على الحياد حتى يتمكن احد الفريقين
من كسب السيطرة الكاملة ، او يمنح السلطان العثمانى اعترافه
ومصادقته على احدهما فى تولى العرش ، بيد ان القناصل المقيمين
اتخذوا مواقف تحيز فتورطوا محليا ، فعلى سبيل المثال فى حين اظهر
القنصل الامريكى والتوسكانى تعاطفهما مع محمد فإن قناصل
هولندا والسويد ونابولى واسبانيا ايدوا عليا (32) اما القنصلان
اللذان لعبا دورا متحيزا فهما البريطانى والفرنسى حيث هيمن
تنافسهما على الجانب الخارجى للحركة ومرد صراعهما كان لاسباب
شخصية حيث صنع القنصل البريطانى العقيد وارنجتون من نفسه
شخصا مكروها من قبل (شوبيل) القنصل الفرنسى وكذلك من قبل
القناصل الاخرين وذلك لغطرسته المصطنعة واستخفافه وأحيانا
لغته البذيئة وتصرفاته بوجه عام والدليل على ذلك ما عبر عنه
اللورد ابردين « بمشاحناته غير اللائقة » (33) .
واذا وضعنا المسألة الشخصية جانبا ، فإن ما زاد فى التنافر بين
القنصلين ايضا يرجع الى الصراع الدولى بين الدولتين اللتين
يمثلانهما . كان الصراع الانجلو - فرنسى (34) على أشده فى الهند
وأميكا والبحر المتوسط وخلال منتصف القرن الثامن عشر وازداد
ذلك التنافس حدة اثناء سنوات الحروب النابوليونية .
ويبد لوارنجتون من خلال الحدث الاخير - الاستعمار الفرنسى

---

31 F.O. 76/40, Downing Street No. 8 to Warrington, 4 September 1832. Copy also in F.O. 76/32.

32 F.O. 76/32, Warrington to R. W. Hay, 18 October 1832; F.O. 76/37, Same to same, 11 July 1834.

33 F.O. 101/14, Lord Aberdeen to Warrington, ? April. 1846. For a long time the European powers had complained to the British Government about Warrington's conduct towards their consuls in Tripoli. The last complaint

لقد شكت الحكومات الاوروبية ولوقت طويل ، للحكومة البريطانية حول تصرفات وارنجتون تجاه قناصلهم
فى طرابلس ، وجاءت الشكوى الاخيرة من نابولى الذى اهين قنصلها عن طريقة . وأنب اللورد ابردين القنصل
وارنجتون ونصحه بان «يعقد عزمه على التقاعد الذى سوف لا يكون باقل فائدة لراحته فى المستقبل من فائدته
لخدمة صاحب الجلالة » .

34 - تتوفر المعلومات حول هذا ، فى جميع الكتب التى تتناول الاوروبيين وتاريخ الاستعمار البريطانى . ومن
اجل مصدر سريع ، انظر :

Competition for Empire 1740–1763 (New York and London, 1940), Chap. VI; and also Geoffrey Bruun, *Europe and the French Imperialism*, 1799-1814. Walter L. Bor,

للجزائر (1830) (35) بأن جميع النشاطات الفرنسية فى طرابلس ، كانت موجهة الى ما يؤدى فى النهاية الى اقامة مستعمرة فرنسية اخرى فى شمال افريقيا . وقد حذر فى شهر سبتمبر عام 1832 حكومته بقوله :

اذا ما نجح على ، فإن هذا المكان سيكون أكثر من مستعمرة فرنسية ، اذ ستحقق [فرنسا] امتيازات لها دون دفع ابسط ثمن (36)

وأشار فى اوائل سنة 1833، ولو ان ذلك كان بدون دليل قاطع بان علياً قد تخلى عن طرابلس لفرنسا «مقابل دخل سنوى سيتلقاه مدى الحياة». 37 .

ومع هذا فمثلما خاف وارنجتون بأن الفرنسيين كانوا مولعين بتدبير المكايد لانشاء قاعدة استعمارية فى طرابلس شك الفرنسيون بدورهم ، بأن للبريطانيين نفس النوايا فبدأو يتابعون التحركات البريطانية بأرتياب شديد خاصة عند رسو فرقاطتين بريطانيتين قبالة ساحل طرابلس بعد اندلاع الاحداث بحجة حماية الارواح والممتلكات البريطانية ، فروجت الدوائر الفرنسية الشائعات بأن السفينتين كانت خطوة اولى نحو احتلال بريطانى للمدينة وواجه وارنجتون متاعب كبير فى محاولاته لتبديدها (39) ونشرت مجلة التايمز الفرنسية فى يوم 29 ابريل مقالة تنتقد فيها بقسوة شديدة سياسة القنصل البريطانى تجاه الحركة فى طرابلس ، لان تلك السياسة قد افسحت المجال امام وجهة النظر بأن :

.... للبريطانيين خطة سرية ، بدايتها قلب وارياك يليه احتلال للايالة (40) .

وظهرت وجهة النظر هذه اسوة بالاشاعة التى راجت فى طرابلس عام 1832 من الدوائر الفرنسية .

كان بين القنصلين منذ سنة 1825 تنافس محلى الى جانب التنافس الدولى حول من سيكون له مكانة أكبر لدى الباشا . لقد كانت مكانة العقيد وارنجتون عند يوسف باشا قبل ذلك ، كبيرة جدا .

---

35 - انظر : الفصل الخامس اعلاه .

36 F.O. 76/32 Warrington to Goderich, 4 September 1832.
37 F.O. 76/34, Warrington to Goderich, 3 June 1833.
38 F.O. 76/32, R. S. Dundas to Warrington, 1 October 1832.
39 F.O.76/32, Warrington to Goderich, 23 August 1832.
40 *The Times* (London), 29 April 1834.

ولكن مع وصول البارون روسو كقنصل لفرنسا ، فى سنة 1825 وتولى
حسونة الدغيس رئاسة الوزراء بعد ذلك بوقت قصير بدأت تلك المكانة
فى الزوال فى الوقت الذى علت فيه مكانة القنصل الفرنسى . واستاء
وارنجتون ، بدرجة كبيرة من ذلك التغير الذى اعترى مركزه فى «بلاط»
طرابلس والذى رده الى صداقة روسو مع حسونة الدغيس عقب
اختلافاتهم المبدئية فى سنة 1826 (41) . وازدادات الحالة سوء
بعد حادثة لاينج خلال سنة 1827 - 1829 والتى اتهم فيها
وارنجتون زميله الفرنسى بالتآمر مع حسونه الدغيس لاغتيال ذلك
المستكشف البريطانى التعيس واختطاف مذكراته فى تمبكتو (42)
وعلى هذا ، فقد رأى ورانجتون عقب اندلاع الحركة فى سنة 1832
فرصة لابطال تأثير عدوه عن طريق تأييد ومساندة الجانب الذى
يعارض عائلة الدغيس ، والذى كان ايضا مضاداً للفرنسيين .
حاول وارنجتون ان يبرر دعمه لفريق محمد طبقا لأسس متعددة .
أولا رجح بأن محمداً سيقوم حال تمركزه فى السلطة ، بتسوية
المطالبات البريطانية وانه يوثق فى وعده اكثر من وعد على . وليعزز
ذلك الادعاء تعمد تشويه حقيقة تنازل يوسف باشا لصالح على ،
على اساس ان ذلك التنازل كما وضحه فى سبتمبر عام 1832 انما تم
من أجل التملص من دفع الديون البريطانية (43) ثانيا ، حاول
وارنتجون اقناع حكومته بأنه اذا ما نجح على ، فإن التأثير
البريطانى «سيفقد الى الابد فى هذا المكان» (44) فى حين اذا ما
تولى محمد ... «فإننا سنكسب هيمنة ستدوم لصالحنا لمئة سنة
قادمة» . (45) وسيكون هذا التأثير ذا اهمية بالغة لبريطانيا ،
حيث :
سيكون شمال افريقيا بأكمله تحت سيطرة صاحب الجلالة لصالح
توسعها جغرافيا ولصالح التجارة الداخلية ولصالح ابطال تجارة

---

41. انظر : الفصل الخامس اعلاه . وكذلك :

AFF.ET.B[1],
Rousseau to Baron de Damas, 20 August 1825; and same to same, 25 May and 23 November 1827, in C.C.T.B. Tome 35.

42. انظر : الفصل الخامس أعلاه

43 F.O.76/32, Warrington to Goderich, 13 September 1832.

44. المصدر السابق
Warrington to Goderich, 18 October 1832.

45. المصدر السابق
Warrington to Goderich, 4 September 1832.

الرقيق الاسود ولصالح الحضارة عموما (46) .

وأوصى حكومته بحماس بأستخدام القوة ضد على [47] لتحقيق تلك الاهداف وهو الاجراء الذى من شأنه أن يساعد محمد بطريقة غير مباشرة لتولى العرش . ولكن الحكومة لم تكن مستعدة بأية حال من الاحوال لاستخدام القوة ضد على فتتورط فى الصراع الداخلى بطرابلس وهى خطوة قد تقود الى تعقيدات دولية مع القسطنطينية . ولذا استمرت فى اصدار الاوامر لقنصلها للمحافظة على الحياد التام . غير أن وارنجتون «قد تقيد بالاقوال وليس بالافعال» [48] اذ أستمر محليا فى تقديم دعمه الكامل لفريق محمد وذلك أولا بنقل اقامته الى منزله الريفى بالمنشية مركز الحركة وظل مقيما هناك مع المتمردين حتى أواخر عام 1834 [49] وشجع بتصرفاته تلك ، العديد من الرعايا البريطانيين ، فى معظهم المالطيين ، على الانتقال بمصالحهم التجارية الى المنشية [50] فتمتع فريق المنشية نتيجة لذلك بدعم معنوى ، اذ كان يحدوه الامل فى أن استمرار العلاقات الدبلوماسية والتجارية البريطانية ، ستجر بريطانيا فى النهاية الى الاعتراف به ومن ثم تساعده فى الوصول الى السلطة .

ثانيا ، كان أحد المظاهر الهامة لدعم وارنجتون المعنوى ، أنه استمر كداعية لفريق المنشية مدافعا عن قضيته بحماس ومبالغا فى قاعدة دعمه وفى فرص نجاحه فى حين كان يحاول وعلى النقيض من ذلك الانتقاص من أهمية كل ما يتعلق بفريق على ، وكان يذكر محمد بأنه « معبود الجماهير » و « منقذهم » [51] . فى حين كان على « المغتصب » والعدو الحقود والدمية فى أيدى العميل الاجنبى الذى يهدف بسياسته الى القضاء على جميع التأثير البريطانى [52] .

46 F.O. 76/34, Warrington to R. W. Hay, 11 April 1833.
57 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 18 October 1832, and 12 November 1832.
48 F.O. 76/36, Letters from the Bashaw to William IV, 5 July 1833.
49 F.O. 76/37, Warrington to Hay, 31 October 1834; L. C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, p. 354.
50 F.O. 76/37, Warrington to S. Rice, 8 October 1834; F.O. 76/32, Same to Goderich, 4 September 1832.
51 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 24 August and 3 October 1832.
52 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 3 October 1832; and F.O. 76/37, same to R. W. Hay, 11 August 1834.

ثالثا ، أتخذت مساندة وارنجتون لفريق محمد اضافة لذلك طرقا عملية متعددة خلال جميع مراحل الحرب الاهلية ، فعمل وسيط بين محمد وحلفائه من الاعراب وخاصة عبدالجليل . وحاول على نحو منتظم در السلاح والعتاد من مالطا وعلى وجه الخصوص عن طريق شركة هنتروروسى التى كان يمتلك فيها بعض الاسهم . علاوة على ذلك ربما كان له دور فى وضع استراتيجية المتمردين وعلى وجه العموم فقد ظل كما اشتكى على للحكومة البريطانية فى سنة 1832 بأنه كان مرشدهم وآمرهم ومساندهم فى مقاومة سلطاننا [54] .

رابعا ، عمل وارنجتون أيضا الى جانب مساعدته المعنوية والعملية ، بطريقة غير مباشرة لانجاح فريق المنشية وذلك عندما أصدر علي باشا أمره اثر اندلاع الحركة بوقت قصير بأن ساحل المنشية منطقة محاصرة ، وأعلم جميع القناصل الأوروبيين بذلك الاجراء ، فى الرسالة التى عممها بتاريخ 5 سبتمبر عام 1832 [55] ورفض وارنجتون الاعتراف لعلي بذلك القرار محتجا بأن فيه خرقا للاتفاقية بين بريطانيا وطرابلس والتى تضمن حرية التجارة لجميع الرعايا البريطانيين ، ولم يكن دافعه الحقيقى الا مساعدة فريق المنشية فى الحصول على السلاح بأنتظام . ففى شهر مارس عام 1833 على سبيل المثال ، تجاهلت سفينة تحت قيادة القبطان سانتورى سارفيو عليها العلم البريطانى أمر الحصار وكانت على وشك انزال حمولتها بالمنشية ، عندما اعترضتها السلطات الطرابلسية واجبرتها على الخضوع للتفتيش وتم اخلاء سبيلها فيما بعد غير أن وارنجتون احتج ضد التفتيش بشدة واعلن ان ذلك اهانة للعلم البريطانى [56] وخرقت سفينة اخرى من مالطا خلال الشهر التالى ، أمر الحصار لتنزل حمولتها من البارود فى المنشية ، فى حين

---

[53] F.O. 76/34, Warrington to Stanley, 25 June, 1833, esp. encl. 1: Warrington to G. Grey, 23 June 1833. Also F. O. 76/32, Warrington to S. Rice 18, August 1834.

[54] F.O. 76/32, cAli to Secretary of State, 18 September 1832.

وأيضا ـ الوثيقة رقم 44 بتاريخ 26 شوال 1250 / 25 فبراير 1835 ، فى كتاب : عمر على بن اسماعيل ، انهيار الاسرة القرمانلية ، صفحات 480 ـ 481 ، حول رسالة الى السلطان العثمانى محمود الثانى من على باشا يبلغه فيها بثورة محمد باى ودور القنصل البريطانى وارنجتون فيها .

[55] F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 17 December 1832, encl. 1: cAli to all the consuls, 5 September 1832.

[56] F. O. 76/34, Warrington to Goderich, 17 March 1833.

كانت احدى السفن الحربية البريطانية ، بالقرب من ساحل طرابلس موفرة لها الحماية ، ثم رجعت السفينة الى ميناء طرابلس لانزال بعض حملها المتبقى الا أن الحراس منعوها من ذلك عن طريق التهديد بالهجوم عليها ، وكان ذلك مبررا لاحتجاج آخر من القنصل البريطانى [57].

أرسل علي باشا فى يونية سنة 1833 تقريرا حول هذه الاحداث ودور القنصل وارنجتون الى الحكومة البريطانية . واستنكرت الحكومة تصرفات قنصلها ، وساندت حق علي [58] فى تفتيش جميع السفن التى تعمل بين الفريقين المتحاربين ، لكى تمنعها من تزويد عدوه بالأسلحة وعلى الرغم من ذلك القرار فان وارنجتون استمر فى معاكساته حتى نهاية الحركة وبذلك ضمن للمتمردين امدادات السلاح على نحو منتظم ، فكان ذلك أكبر عون فى تقوية معنوياتهم ودعم مقاومتهم .

ومهما كان الدعم الذى قدمه العقيد وارنجتون لفريق محمد ، فإن ذلك الذى قدمه القنصل الفرنسى لعلي أكبر بكثير من مجرد موازن له . فلم يكن عمل القنصل الفرنسى مقتصرا على تقديم تقارير الى حكومة باريس محابية لقضية علي بل كداعية لفريق المدينة ، اتسعت دائرة تقاريره من خلال العملاء لتشمل العالم كله عن طريق الصحافة بمالطا وباريس ولندن . فعلى سبيل المثال ، وفى مقالة تحت عنوان « الجديد فى طرابلس » فى صحيفة الدستور الصادرة فى 28 سبتمبر عام 1832 وصف علي بأنه رجل ذو متانة فى الخلق ويتحلى بمبادىء معتدلة وغير متعصبة ، وأن ادارته الجديدة فعالة ولها خطط للنظام والاقتصاد بالبلاد . واختتمت المقالة بشجب وارنجتون لمساندته لفريق محمد [59] كما فضحت أيضا ، فى باريس صحيفة (جالينيانس مسنجر) الصادرة فى يوم 15 و 16 مايو عام 1834 [60] صفقة الاسلحة التى تمت بمباركة القنصل البريطانى ، بين شركة هنتر وروسى والمنشية . كما أشارت أيضا الى أن قرضا لصالح قضية علي يروج له فى باريس وبدعم كامل من القسطنطينية وروسيا ، وعلاوة

---

57 ـ المصدر السابق Warrington to Goderich, 7 April 1833.

58 F.O. 76/40, Goderich to Warrington, 24 July 1833.

59 *Le Constitutionel*, Paris.28, 1832 (Nat. Bib.).

60 ـ توجد نسخة فى المكتبة الملكية بمالطا

على ذلك فقد أمر السلطان العثمانى باى تونس بتقديم جميع المساعدات لعلي حتى يتمكن من دحر المتمردين الذين يثيرون الشغب بالاقاليم داخل حكومة الباشا . [61] وتناولت صحيفة التايمز اللندنية ، على نحو مشابه فى عددها الصادر فى 29 أبريل عام 1834 وبتفصيل كبير جدا الاسباب المباشرة للثورة وتخلى يوسف باشا عن العرش . كما أنها شجبت بقسوة أيضا سياسية القنصل البريطانى فى طرابلس :

> ... الدعم الاعمى الذى تقدمه الحكومة البريطانية الى عميل (يعنى القنصل) والمفروض الا يؤتمن اطلاقا على قوة وشرف بريطانيا العظمى [62]

ويساعد القنصل الفرنسى عليا أيضا ، بغض النظر عن هذا النشاط الصحفى المكثف فى كسب مساندة القسطنطينية . اذ بذل جهدا كبيرا مع المبعوث العثمانى الذى وصل طرابلس لتقصى الحقائق فى شهر أغسطس 1833 الى جانب علي [63] . وبكل تأكيد ساعد تقرير ذلك المبعوث فى التأثير على قرار السلطان حيال الاعتراف بعلي ومنحه فرمانا فى سنة 1834 ، كما سيرى فيما بعد [64] . كما أستمرت محاولات القنصل الفرنسى ، فيما بين سنتى 1833 ـ 1834 مع سفيرى النمسا وفرنسا لدى القسطنطينية للعمل لصالح قضية علي [65] .

وبالاضافة الى الدعاية الفعالة التى قام بها القنصل الفرنسى لصالح علي فى القسطنطينية وأوروبا فإنه عمل أيضا على توسيع قاعدة علي الداخلية بين الاعراب ، ففى بداية اندلاع الحركة طلب شوميل كما فعل ورانجتون ، من حكومته التدخل المسلح لصالح علي والذى كان يرى فى نجاحه ضمانا لاستمرار التجارة الاوروبية وعلى

---

61 ـ رسل جاجليناني Gaglinani ، 16 مايو 1834 ، مقتبسة من رسالة خاصة من ليجبورن Legborn .

62 *The Times* (London), 29 April 1834.

63 F.O. 76/34, Warrington to Stanley, 4 September 1833.

64 ـ انظر : نهاية هذا الفصل .

65 F.O. 76/34, Warrington to R. W. Hay, 26 November 1833; F.O. 76/37, Same to Rice, 14 December 1834.

وجه الخصوص الفرنسية مع طرابلس ومانعا دون دمار البلاد أو احتلالها من قبل تركيا (66) ولكن دى بروليه وزير الشئون الخارجية الفرنسى رفض اقتراح شوميل وطلب منه بدلا من ذلك أن يختار الوقت المناسب للاعتراف بحكم علي، كما طلب منه أيضا، أن يساهم فى تضييق شقة الخلاف بين علي ومحمد (67) ولذلك ومع بداية عام 1833 أقنع شوميل علي بالموافقة على التفاوض من أجل الوصول الى تسوية يتولى بموجبها محمد الحكم فى بنغازى ودرنة. ولكن محمدا رفض هذا العرض ومع ذلك واصل شوميل نداءاته فى ذلك المجال وربما ما أشيع من أن عليا يتمتع بدعم الحكومة الفرنسية كان له أثره على اغلبية شيوخ القبائل والذين بدأوا منذ ذلك الوقت يميلون الى جانب علي (68).

لقد ساعد الدعم الفرنسى بالاضافة الى ذلك أيضا، فى أن يكسب عليٌّ حليفا مهما من القبائل العربية فى المنطقة التى تقع الى الغرب من طرابلس. ذلك أن عليا أرسل عقب توليه مباشرة فى أغسطس عام 1832 أخويه سيدى ابراهيم وسيدى مصطفى، بهدايا من الاموال والخيول والملابس الخ ... لكسب دعم شيوخ القبائل فى منطقتى الزاوية وزوارة وكللت المهمة بالنجاح اذ مع نهاية السنة، أعلن الشيخ جمعة بن خليفة بن عون الذى كان يمارس أكبر سيطرة سياسية على منطقة جبل نفوسة بأكملها، دعمه ومساندته لعلي (69) ولكن ومنذ حوالى منتصف السنة التالية 1833 بدأ بعض السكان فى ذلك الاقليم يصغون الى عروض من عبدالجليل حليف محمد. ولذا دعت الحاجة الى بعثة أخرى نسب نجاحها الى حد كبير الى المساعدة الفرنسية فقد أبحرت البعثة الذى يرأسها محمد الدغيس رئيس الوزراء يوم 25 يونية عام 1833 على ظهر سفينة حربية فرنسية ومعها نائب القنصل الفرنسى بطرابلس وكتابه وبعض من ضباط

---

66 AFF. ET. B[1] Schwebel to Ministère des Affaires Étrangères, ? August 1832, in C.C.T.B. Tome 37.

67 - المصدر السابق ____, Duc de Broglie to Schwebel, 26 November 1832, in C.C.T.B. Tome 37, L. C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, p. 356.

68 F.O. 76/34, Warrington to Goderich, 26 January 1833; F.O. 76/37, Warrington to Stanley, 5 July 1834.

69 F.O. 76/32, 23 August 1832; F.O. 76/34, 17 March 1833, especially enclosures 1-3.

البحرية وطبيب واستقبل الشيخ جمعة البعثة فى مرسى ديلة الصغير وواكبهم الى الزاوية وضمن الضباط الفرنسيين أثناء المفاوضات جميع الوعود الذى تقدم بها الدغيس للقادة العرب نيابة عن الباشا ، كما أعلنوا أيضا بأن الحكومة الفرنسية تساند عليا وستستمر فى دعمه ماليا وعسكريا وبحريا [70] وقرر الشيخ جمعة والشيوخ العرب الاخرون بالنظر الى هذا الضمان أن يجددوا مساندتهم لعلي واستفاد على من هذا الدعم الذى ضمن له استمرار طاعة وولاء ومساندة القبائل التى أمدته بالجنود بأنتظام ومكنته أيضا من مراقبة أى تحرك قد يعتزم عبدالجليل (حليف محمد) القيام به فى ذلك الاتجاه .

وكما نجح فريق علي ، نتيجة للمساعدة الفرنسية فى الحصول على تأييد أكثر فيما بين سنتى 1832 و 1833 كذلك نجح محمد أيضا فلقد أرسل قادة الحركة عقب أعلانها مباشرة مبعوثين الى المشايخ والقبائل فى مختلف مراكز البلاد وكانت دعايتهم الاساسية تتبلور فى أن الدعم لمحمد يعنى نهاية الظلم والضرائب الاستبدادية التى تميز بها عهد يوسف باشا .

ولقد كللت مساعيهم بالنجاح وخاصة بين أهالى الساحل وجنزور وتاجوراء الخ ... والذين تمت استمالتهم فوريا [71] وعند مطلع السنة التالية 1833 صعدت الحملة وذلك من أجل الحصول على دعم كبير فأرسل على نظيف الى ورشفانة وسيدى أحمد ولد الباى أحمد الى ترهونة وآخرون الى مصراتة وكللت تلك البعثات بالنجاح . حيث أن أهالى تلك المناطق وسكان غريان أيدوا الحركة فأضافوا بذلك الى فريق المنشية قوة قتال جديدة تتكون من حوالى 20,000 جندى [72] .

على أن أعظم حملة ناجحة استهدفت توسيع قاعدة الحركة انما جاءت نتيجة لتعاون عبدالجليل . ذلك لان حركته احرزت نجاحا كبيرا وشملت منطقة واسعة امتدت من بنى وليد الى فزان وسيطرة

---

70 F.O. 76/34, Warrington to Stanley, 25 June 1833, encl. 7: Mohamed Turkey to Warrington, 25 June 1833, and also his letter of 28 June, forming encl. 1 in Warrington to Stanley, 3 July 1833, in ibid. Also, L. C. Féraud, op. cit., p. 357.

71 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 1 August and 18 October 1832; F.O. 76/37, Warrington to Stanley, 5 July 1834.

72 F.O. 76/34, Warrington to Goderich, 15 January 1833, and R. W. Hay, 6 February 1833.

على موارد اقتصادية هامة [73] ومن ثم كان عبدالجليل عاملا قويا لم يفت فريق محمد فرصة اكتسابه ، وهذا ما يفسر مصادقة محمد فى أغسطس عام 1832 وبدون تردد على تعيينه بايا على فزان [74].

أما عبدالجليل فرحب هو الاخر بهذه الدعوة اذ اعتقد بأن الفرصة اصبحت متاحة له للمساومة بنجاح عن طريق ذلك الشاب القرمانلى الذى يعمل للوصول الى السلطة من خلال تلك الحركة .. فقد يكون قادرا على سبيل المثال أن يطلب ويتحصل على تخفيض فى الضرائب السنوية التى تجمع من فزان أو من غيرها من الاقاليم أو المقاطعات التى تقع ضمن سيطرته [75] كما وسيتمكن من تحقيق اللامركزية السياسية التى كانت النقطة الرئيسية فى معارضة قبيلته التقليدية للحكم القرمانلى .

وعلى أى حال فبعد الاتصال المبدئى خلال شهر أغسطس عام 1832 أستمرت الحركتان فى العمل منفصلتين ولكن فيما بعد عندما أتضح أن بعض الاهالى يلوحون بتأييدهم لمحمد ، رأى عبد الجليل أنه من الانسب لكى يستمر فى ممارسة سلطاته على أولئك الاهالى أن ينقل قاعدته من فزان الى موقع قرب مركز حملة محمد ، وعلى ، ولذا نقل مركز قيادته العسكرية ، الى بنى وليد ومنها أرسل المبعوثين الى المشائخ المجاورين فى مصراته وزليتن والساحل وترهونة وغريان ، حاثا اياهم على تنظيم أنفسهم ، ومده بمساهاماتهم العسكرية من أجل قضية محمد [76] وأخيرا ، وفى اجتماع بينه وبين محمد عقد فى شهر يونيه 1833 تم الاتفاق على اقامة تحالف يهدف الى الاطاحة بعلى واستبداله بمحمد ليكون الباشا على طرابلس .

ولكن التحالف فشل فى امالة التوازن العسكرى لصالح فريق محمد ، كما سيبدو واضحا من خلال نظرة وجيزة الى مسار الحركة .

لقد تميزت المرحلة الاولى من الحركة من يوليه الى نهاية سنة 1832 تقريبا بالنشاط والمبادرة من جانب فريق المنشية (77) وادت هجماتهم

73 ـ انظر : الفصل الخامس اعلاه

74 ـ انظر : الفصل الخامس ، الحاشية رقم 12 .

75 ـ انظر : الفصل الخامس اعلاه .

76 F.O. 76/34, Warrington to Stanley, 25 June 1833, enclosures 4 and 5.

77 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 23 August 1832, enclosure 4; Dickson to Warrington, 22nd August 1832; also Warrington to Goderich, 2 and 17 December 1832.

المتقطعة على المدينة مع مواصلة حصارها الى اشاعة الذعر بين سكانها . وازدادت الهجمات بالقدر الذى أضطر معظم القناصل الاوروبيين الى ترحيل عائلاتهم الى مالطا (78) وموانى البحر المتوسط الاخرى مثل ليفورن .

وهزت هذه الهجومات المدينة ولكنها لم تحقق اسقاط نظام الحكم فيها . وحافظ فريق علي على مركزه بنجاح واستطاع الدفاع عنها بطريقة جيدة (79) . فقد كانت تحصيناتها منيعة ومدعمة بحوالى 180 مدفعا وزعت على نحو يكفل تغطية جميع مشارفها وشكلت حامية منظمة ومدربة تدريبا جيدا ، قوامها حوالى 500 الى 600 جندى يمثل الجزء الرئيسى من القوات المسلحة . وبذلك صدت بجرأة جميع غارات العدو التى حدثت مابين يوليه وديسمبر عام1832 .

وربماكان الفشل فى الاستيلاء على المدينة ، بعد ستة أشهر من الحصار وعدد من الغارات قد دفع فريق المنشية مع مطلع سنة 1833 الى اتخاذ القرار بمحاولة زيادة فى القوة العددية لقواتهم المسلحة ، عن طريق كسب حلفاء أكثر من بين الاهالى كما أشير الى ذلك أعلاه (80) ومع ذلك فإن تلك الخطوة لم تغير الوضع كثيرا ، حيث تكبدت قوات محمد فيما بين يناير وفبراير عام 1833 اثناء المواجهات العسكرية بينها وبين قوات على فى منطقة الزاوية وزوارة خسائر فادحة . وعندما حاول محمد التعويض فى شهر أبريل عن طريق مهاجمة المدينة من جديد صدت قواته مرة أخرى (81) .

ومما زاد الحال سؤ بعد تلك النكسة فيما يبدو تضاؤل المساعدات التى كان يتلقاها من حلفائه من الاهالى نتيجة لمشاحناتهم الداخلية وفشلهم فى تنظيم عملياتهم (82) وعلى الرغم من أن التحاق قوات عبد الجليل، فى شهر يونيه بفريق المنشية، قد نفخ روحا جديدة فى الحركة فأنه لم يقرب الحركة قيد أنملة من أية نهاية موفقة ، ومن ثم وبنهاية السنة، راجع القادة

---

78 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 23 August 1832.
79 F.O. 76/32, Warrington to Goderich, 4 September 1832; F.O. 76/34, Same to same, 24 February 1834; AFF. ET. B[I], Schwebel to Sebastiani, 2 October 1832, in C.C.T.B. Tome 37.

80 - انظر : الفصل الخامس اعلاه .

81 F.O. 76/34, Warrington to R.W. Hay, 6 and 24 February 1833; and same to Goderich, 17 April 1833.
82 AFF. ET. B[I], Schwebel to Sebastiani, 2 October 1832, in C.C.T.B. Tome 37.

العسكريون بالمنشية استراتيجيتهم مرة أخرى واتفقوا على أن تفويض دفاعات المدينة من شأنه أن يتطلب ذخيرة حربية ثقيلة مثل مدافع الهاون والقذائف والمدافع الثقيلة الخ ...

وتم بالفعل شراء تلك المعدات بفضل جهود الحاج محمد بيت المال الذى ذهب من أجلها الى مالطا ومع ذلك فإن استخدامها لم يحسم فى الامر شيئاً اذ أثناء الاشتباكات الفورية التى اعقبت احضارها، فى ديسمبر (1833) كان لفريق على اليد العليا بدرجة مكنته من الاستيلاء على معظم تلك المعدات (83) .

على أن فشل فريق محمد لم يكن بسبب القوة العددية ، ولا بسبب قصور فى استخدام المدافع التى حصلوا عليها حديثا بل ان التفسير الاساسى لذلك الفشل يكمن أساسا فى تغيير المواقف بين بعض قادة الحركة

فبعد سنة تقريبا ظهر جليا تردد أولئك القادة فنجاح الثورة يعنى تولى محمد العرش وتولية مؤيديه البارزين السلطة ومع النجاح ، ستثار مسألة إلايفاء بوعد محمد الذى قطعه على نفسه للقنصل البريطانى ، فى مقابل دعمه الا وهو تسوية الديون البريطانية . وستضيف التسوية عبئاً ماليا جديدا الى تكاليف الحرب . ومن المحتمل ان يجر الى فرض ضرائب عامة ، وهو الاجراء ذاته الذى اتخذه يوسف وأشعل فتيل الحركة. ولذا ولتفادى ذلك الوضع كان لزاما على الحركة أن تسير بأقل فاعلية .

لقد أصبح هذا الموقف المتغير واضحا فى سبتمبر عام 1833 عندما كان محمد نفسه بعيدا فى محاولة التسوية الخلافات بين بعض حلفائه المشاغبين (84) وعملت آثار ذلك الموقف على التقليل من الحماس للقضية . وأصبح الامر جليا ، فى سبتمبر عام 1834 عندما فشلت الخطط لارسال حملة الى بنغازى «لعدم وجود الرغبة لذى مؤيدى محمد فى إنهاء الحرب »(85) .

ففى حين فقد فريق محمد حماسه بالتدريج من حوالى سبتمبر 1833 ، أصبح مؤيدو على أكثر جسارة فى سياستهم الدفاعية بل وسرعان مابدأو

---

83 F.O. 76/34, Warrington to Stanley, 13 December 1833, and 30 January 1834. Cf. AFF. ET. B[1], Schwebel to Broglie, 2 August 1834, in C.C.T.B. Tome 37.

84 AFF. ET. B[1], Schwebel to Sebastiani, 2 October 1832, in C.C.T.B. Tome 37; also F.O. 76/34, Warrington to Stanley, 24 September 1833.

85 FO. 76/37, Capt. Mundy to Rear Admiral Sir Thomas Briggs, 20 September 1834.

الهجوم وفى ابريل 1834 صدوا بكل فخر هجمة أخرى قام بها عدوهم . (86) ثم ومنذ ذلك الشهر وحتى يوليه أصبحت المنشية تحت رحمة نيرانهم، وعلى نحو متواصل وفى شهر يونيه على وجه التحديد كثفوا هجماتهم لدرجة افقدت فريق المنشية الثقة، على مايبدو، فى دفاعه فقرر البحث عن حماية خارجية . وقاده ذلك الى محاولة يائسة للبحث عن حل سياسى والذى اذا قدر له النجاح لغير مجرى تاريخ طرابلس السياسى وذلك بتحويلها الى مستعمرة بريطانية فى شمال أفريقيا .

وقد اشار القنصل وارنجتون ، فى يوم 7 يونية ، الى أن الحل الذى حاول فريق محمد الوصول اليه فيما يأتى :

لقد كان عزم الباشا محمد والمشايخ
نيابة عن السكان، أن يكتبوا لى رسالة
يقترحون فيها وضع أنفسهم تحت الحكومة
البريطانية ، وأن يقبلوا بجميع الوجوه
رغبات صاحب الجلالة ، شريطة أن ينهى
جلالته هذا الصراع لصالحهم (88) .

وكتب وارنجتون بعد مرور شهرين استجابة لطلب حكومته تفصيلات إضافية جاء فيها، أن السكان يرغبون طواعية فى أن يصبحوا مستعمرة بريطانية (89) وبالنظر الى أن بريطانيا لم تكن راغبة فى ضم طرابلس فى ذلك الوقت ، لذلك لم توافق على التدخل الخارجى الذى طلبه فريق المنشية . وعندما جاء ذلك التدخل ، فى نهاية الامر ، لم يأت لانهاء ذلك الصراع لصالحهم ولم يأت من بريطانيا وانما جاء من القسطنطينية .

كان موقف القسطنطينية من الصراع على السلطة فى طرابلس يتمثل فى مراقبة الاحداث عن كثب . ولكن عندما طال أمد التنافس لم يجد السلطان العثمانى بدا من التدخل فكان تدخله بادىء الامر فى عام 1833 فى اساسه

---

[86] F.O. 76/37, Warrington to Stanley, 25 April 1834.
[87] F.O. 76/37, Warrington to Stanley, 25 April 1834.

تقرير القبطان مندى Captain Mundy بتاريخ 20 يونيه 1834 الى الامبرالية . وانظر ايضا : ج يونج G. Young الى نائب الاميرال السير ا . رولى Sir . I . Rowley بتاريخ 29 يونيه 1834 ، على ظهر سفينة صاحب الجلالة ، روفر Rover بالقرب من شاطىء طرابلس فى حين اشار القنصل البريطانى بسبب تحيزه لفريق محمد ، الى أن العمليات فى صالح (أعنى ، تقرير بتاريخ 29 أغسطس 1834 الى ت اميوت) T. Amyot هؤلاء الضباط البحريين . وقدم القبطان مندى ويونج صورة صادقة للوضع .

88 ـ المصدر السابق Warrington to Hay, 7 June 1834.
89 ـ المصدر السابق Warrington to Hay, 27 August 1834.

من اجل استجلاء حقيقة الوضع قبل اتخاذ أى اجراء محدد ولذا، أرسل باشا محمد شاكر باى أفندى كمبعوث خاص لدراسة الوضع السياسى بعناية والتحقيق فى ادعاءات الطرفين المتصارعين وتقييم التأييد النسبى لكل فريق منهما .

كان وصول المبعوث من حظ على ، ذلك أن منافسه محمد كان فى تلك الفترة متغيبا فى الدواخل من أجل تسوية بعض الخلافات المحلية بين بعض من حلفائه (90) وبادر المبعوث بأصدار أمر بأسم الباب العالى، بوقف كامل لاطلاق النار ، فنفذ ذلك الامر . ثم طلب حضور ممثلين عن الجانبين لشرح قضيتهم . فحاول فريق المنشية فى البداية مقاطعة الاجتماع بحجة ان مكان إقامة الدعوى لم يكن محايدا، إلا أنه تراجع فيما بعد وغير رأيه .

وقد مثل على كل من محمد الدغيس رئيس الوزراء ومصطفى قرجى وسليمان قربع وأقاموا ادعاء على بناء على حق الوراثة وشرحوا بأن تنازل يوسف باشا كان طواعية . ثم ختموا بمدح حكم على نظرا لـ«عدله وانسانيته وشفقته» (91) وفند فريق المنشية ، الذى قاده الحاج محمد بيت المال ، حق على فى الوراثة وأعلن بأن محمداً « هو الباشا الشرعى » (92) هذا وقد أشارت التقارير الى النشاط الملحوظ الذى أبداه القنصل الفرنسى أثناء المناقشات العلنية والسرية، فى محاولة للتأثير على مبعوث السلطان وكسبه لصالح على (93) .

وبصرف النظر عن مدى أهمية الدور الذى لعبه القنصل الفرنسى ، فإن مبعوث السلطان العثمانى ربما كان قد انحاز لصالح قضية على ، لاعلى أساس الأحقية الوراثية فقط ولكن إيضا نتيجة لحقيقة واضحة برزت اثناء القيام بالتحقيق وهى أن فريق على نجح فى الظهور بمظهر المتماسك المتكاثف فى حين كان فريق محمد على حالة من الفوضى والتشتت التى سبق ان اشير اليها اعلاه (94) وهكذا ظهر فريق المنشية فيما يبدو مفتقراً الى الحماس لقضيته فى حين وجد فريق المدينة واثقا ومصمما فلا غرابة اذن ان تكون توصية المبعوث لصالح على .

وبعد رحيل الغو صى استأنف الفريقان اعمالهم العدائية وكانوا فى نفس

---

90 - انظر : الفصل الخامس اعلاه

91 F.O. 76/34, Warrington to Hay, 4 September 1833.

92 - المصدر السابق .

93 - المصدر السابق . Warrington to Hay, 26 August 1833.

94 - انظر : الفصل الخامس اعلاه .

الوقت ينتظرون قرار السلطان ولكن لم يسمع شيء من القسطنطينية طوال تلك السنة ومع هذا ومنذ بداية حوالى شهر ابريل 1834 راجت الشائعات بأن فرمانا سلطانيا فى طريقه الى طرابلس وفى الشهر اللاحق اى فى مايو أشعرت الحكومة البريطانية قنصلها «بان يبدأ الاتصالات الرسمية مع على حالما يقدم اليه الفرمان».

وظهرت سفينة تركية حربية ، يوم 18 سبتمبر عام 1834 وعلى متنها مبعوث السلطان ، أمام شاطىء طرابلس. وتمت معرفة مهمته فى اليوم التالى، حيث أحضر مراسلات من السلطان العثمانى لكل من على ومحمد. وكانت مهمة المبعوث تسوية الخلاف الاسرى وبالتالى انهاء الصراع السياسى فى البلاد (96) وبقى خلال الاربعة أيام التالية على ظهر سفينته ومنها بعث بمراسلة السلطان لمحمد كما عقد على السفينة سلسلة من الاجتماعات مع الحاج محمد بيت المال محاولا بذلك اقناع فريق محمد بالتخلى عن التمرد وبأن يطيع أمر السلطان . وعلى أية حال فمنذ نزل فيه المبعوث يوم 23 سبتمبر ، كان من المعلوم جيدا ، بأن عليا سيعطى الفرمان وتم ذلك بالفعل بعد يومين لاحقين ، فى اجتماع كبير حضره موظفو الديوان والعلماء والشيوخ وأعضاء من السلك الدبلوماسى.

وقد صادق الفرمان على تنازل يوسف باشا وعلى تسمية على، الذى «كانت مقدرته ومؤهلاته محققة» وخلع عليه الفرمان أيضا :

الشرف الرفيع والسلطة كممثل لملكيتنا
الزاهرة بأن خلعنا عليكم ، بهذا الفرمان
السلطانى، لقب بايلارباى (أى باشا)
والامير الحاكم لايالة طرابلس الغرب المذكورة .

وأمر الباشا بأن :

يتبع احكام شريعتنا السمحاء ويكون
نزيها فى تطبيق العدالة والمساواة وأن يحكم البلاد برباطة جأش وعناية .
والذى يتحتم عليه دائما أن يدافع عنها ويحميها . وأخيرا قدم اليه

---

95 F.O. 76/41, Stanley to Warrington, 30 May 1834.
96 F.O. 76/37, Warrington to Hay, 24 September 1834, L. C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, p. 360.

قفطانا وحزاما وسيفا كرمز للسلطة وكعلامة لرغبتنا السامية وقرارنا الكريم (97)

لقد أثار الفرمان رد فعل عدائى من جانب فريق المنشية ، الذى رفض ، خلال الاسبوع التالى الاعتراف بمراسلة السلطان . وفى 5 اكتوبر ، وهو اليوم الذى تقرر أن يقدم فيه على علناً الى الجمهور رفضوا بأن يقرأ عليهم الفرمان. وفى حين حاول المبعوث أن يشق طريقه بصعوبة هتف التجمع الغاضب «يحفظ الله السلطان ومحمد» (98) وحدث بعض الشجار بين بعض أفراد القوة المرافقة للمبعوث ومجموعة من الفرسان العرب. وأعقبت هذه المظاهرة برسالة احتجاج، أعلنوا فيها بأن محمد هو اختيارهم الوحيد، ومن الممكن أن يقبلوا بأى حاكم الا عليا الذين هم على استعداد لاراقة دمائهم، فى سبيل معارضة حكمه. واختتموا رسالتهم بتجديد ولائهم للسلطان العثمانى (99) .

منح المبعوث مهلة 6 أيام لفريق المنشية ، للخضوع لطاعة السلطان[100] وانتهى الانذار ولكنهم ظلوا مصممين على معارضتهم الاعتراف بعلىّ ، وأجبر الوضع الجديد المبعوث الى تأخير موعد رحيله وخلال الثلاثة أيام التالية ، وفى محاولاته فى أن يحصل على اعتراف المنشية بعلى ، تراوحت سياسته بين التهديد بالقوة والاقناع .

وفى خطوة عملية أعلن أن المنشية تحت الحصار واشتركت سفينته وسفن على باشا[101] فى تنفيذ ذلك الاجراء ولكن تلك الخطوة لم يكتب لها النجاح مرة أخرى ، وكما فى سنة 1832 بسبب اعتراض القنصل البريطانى للعوامل التالية[102] أولا لعدم وجود قوة بحرية كافية للقيام بالحصار على نحو فعال وعلى هذا لا يمكن الاعتراف به

---

97 F.O. 76/37, Warrington to Hay, 24 September 1834. ibid., Same to S. Rice, 1 October 1834, enclosing copy of *firmān* in Arabic, which V. Salami, the Government Interpreter, rendered into English on 24 November 1834. A French translation of the same *firmān* obtained from AFF FT B[I], C.C.T.B. Tome 37, is also available in L.C. Féraud, op. cit., pp. 360–1.

98 F.O. 76/37, Warrington to S. Rice, 10 October 1834, encl. 3. : Emhamed to Warrington, Mescia, 5 October 1834,

99 ـ المصدر السابق . المرفق رقم 1 وبه نسخة لرسالة من «اعيان المنشية ورجال القانون الى مبعوث الباب العالى ، اصل الرسالة له باللغة العربية . انظر ايضا نسخة من رسالة الثوار يبررون فيها تمردهم ضد على ، فى كتاب عمر على بن اسماعيل ، المصدر السابق ، وثيقة رقم 59 ، صفحات 510 ـ 511 .

100 F.O. 76/37, Warrington to Rice, 10 October 1834, enclosure 1.

101 F.O. 76/37, Warrington to Rice, 10 October 1834, enclosure 2.

102 ـ المصدر السابق Warrington to Rice, 25 October 1834.

من قبل حكومته . ثانيا سيكون رد فعل عكسى على الاهداف التجارية للرعايا البريطانيين وستتوقف تجارة مالطا على وجه الخصوص . ثالثا أنه من حق على باشا وليس من حق المبعوث فرض مثل ذلك الحصار . رابعا لم يعط اشعار كاف . اذ يتطلب اجراءات الحصار حوالى 20 يوما لاخطار الاميرال البريطانى فى مالطا ، وللحصول على تعليماته . ورفض مبعوث السلطان تلك الاجراءات رادا بقوله :

> ان الحاحية مثل ذلك الاجراء والتى لا يمكن الاعتراض على قانونيتها ، لا تسمح بالمناقشة ولا بالتأخير[103] .

ومع ذلك فإن وارنجتون لم يأبه لذلك واستمر فى تشجيع فريق المنشية على كسر الحصار مثلما فعل فى سنة 1832 ـ 1833 والى جانب تلك الاختراقات ومن أجل تأكيد حقوقهم فى فرض حصار على المدينة استمر فريق المنشية فى مهاجمة جميع السفن القادمة لميناء طرابلس[104] ومع استمرار مقاومة المنشية وازدياد مصاعب على باشا فى توفير المال الضرورى لتكاليف الحرب بدأ مبعوث السلطان يشك فى امكانية القوة المتوفرة فى انهاء التمرد على نحو سريع . فقرر أن يقنع الجانب المعارض بتسوية سلمية ، ثم يعود لتقديم تقريره للسلطان[105] ولتحقيق تلك الغاية ، حاول الحصول على تعاون القنصل البريطانى نظرا لتأثير الاخير على فريق محمد . ثم عقد سلسلة من الاجتماعات مع محمد بيت المال والقادة الآخرين وكشف النقاب عن نتيجة المفاوضات ، يوم 21 نوفمبر فى صيغة سلام تقدم الى الجانبين .

ووفقا لبنود مسودة " المؤتمر "[106] كان لابد أن يتم وقف اطلاق نار كامل . ثانيا : لابد أن تظل بوابات المدينة مفتوحة وأن يسمح بحرية

---

103 ـ المصدر السابق . Warrington to Hay, 1 January 1835,

104 ـ هجمت المنشية عبى سبيل المثال فى 2 نوفمبر على سفينة بالرغم من انها تحمل العلم العثمانى ـ F.O. 76/37, Warrington to Rice, November1834 ، حول هجوم على سفينة اخرى ، انظر ادناه .

105 F.O. 76/37, Warrington to Rice, 23 November 1834, enclosure 1: Diary entry dated 13 November; F.O. 76/38, Warrington to Hay, 1 January 1835, enclosure 1: Diary for December 1834.

106 F.O. 76/37, Warrington to Rice, 23 November 1834, enclosure 1: Diary. But the French consul was not party to this 'Convention' as he had been recalled by his Government in September 1834—AFF. ET. B[1], Rigny to Schwebel, 26 September 1834, in C.C.T.B. Tome 37.

الحركة بين المدينة والمنشية . ثالثا : يتوجب على كل من محمد وعلى سحب قواتهما من الدواخل . رابعا : لا يتم الاعتراف الآن لا بعلى ولا بمحمد كباشا ويجب عليهما أن يظلا كمواطنين عاديين ، أحدهما فى المدينة والآخر فى المنشية . خامسا : تنصب جماعة حاكمة من عشرة الى اثنى عشر عضوا من كل جانب ، لادارة شئون البلاد من مقر مؤقت للحكومة سيقام بين المدينة والمنشية ، يجب تقديم هذه البنود ، بعد المصادقة عليها من الجانبين ، عن طريق المبعوث الى السلطان العثمانى .

لقد رفض فريق على تلك الاقتراحات ، نظرا لانها تمثل ابطالا للفرمان ، الذى اعترف بحق على فى الباشوية[107] وكانت خطوة المبعوث التالية ، كيف يمكن جعل المنشية توافق على هدنة من جانب واحد ، حتى يتمكن من اقناع السلطان بأعادة النظر فى المسألة بكاملها . وشكت المنشية فى أصالة هذا الاقتراح والذى من الممكن أن ينطوى على قبولهم بالفرمان ، وهى نقطة طالما أكد لهم عليها المبعوث بأستمرار[108] وفشلت المفاوضات ، بفقدان الثقة على نحو جلىّ فى المبعوث كوسيط بين الطرفين . وكان من الواضع ، بحلول الوقت الذى رحل فيه مع نهاية السنة ، بأن مهمته قد فشلت فى انهاء الصراع السياسى فى طرابلس . وكان لعلى الفرمان العثمانى وأستمر فى حكم المدينة غير أن محمدا ومؤيديه تجاهلوا الفرمان واستمروا فى المقاومة .

وعقب رحيل المبعوث مباشرة ، فى يوم 31 ديسمبر عام 1834 استؤنفت الاعمال العدائية بين الجانبين[109] ولكن مرة أخرى ، كما حدث من قبل ، لم يتمكن فريق المنشية من الاستيلاء على المدينة ، نظرا لدفاعاتها القوية . أما بالنسبة لفريق على فقد عاد لسياسته الدفاعية . وعلى هذا استمرت الحالة السياسية فى التأزم من يناير عام 1835 حتى مايو من السنة ذاتها عندما جاء التدخل التالى من القسطنطينية .

---

107 F.O. 76/38, Warrington to Rice, 14 December 1834, Diary entry dated

108 ـ حث المبعوث على الاعتراف بالفرمان حتى ولو ليوم واحد ـ F.O 76/37 Warringtor to Rice, 141834 Decmber

109 F.O. 76/38, Warrington to Hay, 1 January 1835; L. C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, p. 362.

وربما دفع تقرير المبعوث ، السلطان العثمانى الى التدخل ولو أنه لا يتوفر الا ملخص لذلك التقرير[110] ولا يلقى بالتالى كثيرا من الضوء على إجراء السلطان اللاحق الا أنه من الممكن أن الاقتراحات التالية قد قدمت للسلطان ضمن التقرير الشفوى للمبعوث :

اولا : ربما كان واضحا للمبعوث بأنه لا على ولا محمد يمكن أن يكسب نصرا كاملا وسريعا فعلى ظل قويا داخل المدينة ولكن مصادره المالية كانت غاية فى الاجهاد فعلى سبيل المثال فإن رواتب جنده ، قد تأخر دفعها عند نهاية سنة 1834 [111] ومن جهة أخرى فأن لمحمد دعما كبيرا من الدواخل ، نظرا لتحالفه مع عبد الجليل ولكن مقابل هذه الميزة وهى الاكثرية العددية الواضحة كانت هناك خلافات بين حلفائه عليه تسويتها ، فضلا عما ذكر عن مؤيديه الذين يرون أن النجاح سيضطرهم فى النهاية الى قبول تسوية ديون أجنبية ضخمة . كما يجب الا ننسى بأن اطالة فترة التأزم كانت أيضا نتيجة للتدخل الاوروبى المحلى ، حيث كان القنصل الانجليزى مع محمد والفرنسى مع على .

ثانيا : ربما أشار المبعوث أيضا الى الاشاعات الدائرة والتى مفادها بأن تونس ومصر ستتدخلان فى طرابلس[112] . ولم تكن العلاقات بين تونس وطرابلس على ما يرام ، قبيل وصول المبعوث الى طرابلس . حيث قام يهودى تونسى مقيم فى طرابلس ، عند نهاية شهر مايو عام 1834 بضرب كميات كبيرة من العملة التونسية وحدث ذلك بموافقة رئيس الوزارة محمد الدغيس[113] وبناء عليه فلابد أن العلاقات المتوترة ربما ترتبت ولو جزئيا عن الاشاعة التى سمعها مبعوث السلطان نفسه ، عندما كان فى طرابلس والتى تفيد بأن «الباى يتمنى بأن تكون طرابلس له وحده»[114] .

أما فيما يتعلق بمصر فإن الاشاعات الاولى المتعلقة بمطامع محمد على فى طرابلس تم صرف النظر عنها من قبل الحكومة

110 ـ انظر : عمر على بن اسماعيل ، المصدر السابق ، وثيقة رقم 45 ، صفحات 482 ـ 483 ، حول ملخص تقرير بتاريخ 1250 / 1834 ـ 1835 اعده محمد شاكر الى محمود الثانى .

111 F.O. 76/38, Warrington to Hay, 12 February 1835.
112 F. O. 76/37, Warrington to Stanley, 28 May 1834.
113 F.O. 76/37, Warrington to Stanley, 28 May 1834.

114 ـ المصدر السابق Warrington to Rice, 14 December 1834.

البريطانية ، فى مطلع سنة 1834[115] ومع هذا فقد أشير فيما بين سبتمبر وديسمبر ، وخاصة فى الشهر الاخير ، الى أن فريق المنشية ربما دعا محمد على للاستيلاء على البلاد[116] ومع أن رد الفعل تجاه تلك المناشدة لم يتبين بعد الا أن ما عرف عن اطماعه الاستعمارية فى السودان وسوريا ، على سبيل المثال كافٍ فى حد ذاته بأن يجعل المبعوث ... يميل للاعتقاد بأن محمد على يرغب فى احتلال طرابلس[117] .

ثالثا ، الى جانب الاشاعات حول نوايا تونس ومصر ، هناك مسألة فرنسا . لقد أخطر القنصل البريطانى حكومته يوم 19 نوفمبر عام 1834 بأن هناك «تصميما مدبرا لايجاد ذريعة لاحتلال هذه المدينة من قبل الجيوش الفرنسية»[118] وظهر هذا الشك من حادثة تورط فيها ضابط بحرية فرنسى القبطان (ڤيرموت) وتتلخص الحادثة فى اطلاق النيران من المنشية على سفينة تجارية نمساوية عليها العلم الفرنسى بقصد منعها من تفريغ حمولتها بميناء المدينة فقام ڤيرموت كرد على ذلك بأطلاق النيران من السفينة «پاليمور» التى كانت بجوار شاطىء طرابلس على المنشية وحوالى 200 طلقة على القرية المجاورة[119] وكان مصمما على مواصلة الهجوم لولا اشارة اعتذار من المنشية . وبالنظر الى أن الرد الانتقامى الفرنسى قد تجاوز فى حجمه وقوته مستوى الاستفزاز الذى استثاره ، لذلك ساد الاعتقاد بأن الفرنسيين كانوا يبحثون عن مجرد ذريعة . وشهد هذه الحادثة مبعوث السلطان ، والذى وافق مثل وارنجتون مع القنصل الدانماركى بأن :

... لدى الفرنسيين أوامر أكيدة ، بأنه
ازاء أبسط شىء يحدث قد يتحول الى اهانة ،
عليهم بأستخدام القوة والهجوم على البلاد[120] .

115 - المصدر السابق F.O. to C.O., 8 January and 17 April 1834.
116 - المصدر السابق Warrington to Rice, 15 December 1834.
117 - فيما يتعلق بتهديد محمد على لطرابلس انظر : الفصل الخامس اعلاه .
119 - المصدر السابق Warrington to Rice, 9 November 1834.
120 - المصدر السابق
118 F.O. 76/37, Warrington to Rice, 11 November 1834.

ربما استنتج المبعوث أن الاستيلاء الفرنسى على المنشية سيكون خطوة مبدئية نحو احتلال كامل لطرابلس بأكملها . أما الاشاعات المتعلقة بتونس ومصر وفرنسا فإنها لا تقوم على أساس قوى فى الغالب ولكن بالنظر الى انها تتعلق بسيادة الامبراطورية العثمانية ووحدة أرضها فلا مناص اذن للمبعوث العثمانى من اخذها فى الاعتبار .

وبالنظر الى كل تلك الاعتبارات ، ربما قرر السلطان منع تكرر حادثة الجزائر التى حرمته من أحد اقاليمه فى شمال افريقيا ، لذلك قرر التدخل فى طرابلس لا من أجل أى طرف من الاطراف المتنافسة ولكن لصالحه هو شخصيا .[121]

لقد أشيع على نطاق واسع فى أبريل عام 1835 فى شمال افريقيا وفى بعض مناطق من أوروبا بأن السلطان العثمانى يهيىء الاسطول من أجل القيام بمهمة[122] بالرغم من التكتم الشديد الذى أحيط به بأعداد الاسطول وبوجهته . لقد قيل بأنه ربما يتوجه الى تونس لاجبار الباى على تسوية بعض المطالبات النمساوية ، والتى قدمت بصددها الشكاوى للسلطان[123] أما السلطات البحرية البريطانية فى مالطا فإن تخمينها بأن وجهة الاسطول كانت نحو طرابلس كان صحيحا إلا أن نواياه الحقيقية لم تكن واضحة لديها ، أما فى طرابلس فإنهم ظنوا خطأً بأن هدفه كان احضار بعثة أخرى لاعادة الاعتراف بعلى باشا فى تولى العرش ويدعمه اذا دعت الضرورة بقوة اضافية[124] .

ولم تصب طرابلس بذعر نتيجة لذلك الاعتقاد عندما ظهر الاسطول يوم 25 مايو عام 1835 فى ميناء طرابلس وكان مكونا من 22 سفينة ويحمل جنودا أتراكا ولكن بعد يومين ساد الرعب ، عندما أنزلت القوات التركية التى تقدر بـ 400 جندى ، مدافع الميدان ، وأمرت السكان بعدم حمل أى سلاح . وفى يوم 28 ، صدر أمر ثان يمنع تداول العملة الطرابلسية والتى حلت محلها العملة التركية . كما

121 ـ انظر : عمر على بن اسماعيل ، وثيقة رقم 60 و 61 وكلاهما بتاريخ 1250 / 1834 ـ 1835 ، صفحات 512 ـ 516 ، حول خطة الصدر الاعظم Grand Vizir لاحتلال طرابلس ، وموافقة السلطان عليها .

122 F.O. 76/38, Warrington to Aberdeen, 16 April 1835; L. C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, p. 366.

123 ـ المصدر السابق Warrington to Hay, 14 May 1835.

124 F.O. 76/38, Warrington to Aberdeen, 16 April 1835.

أحتلت المساجد والمواقع الاستراتيجية فى المدينة من قبل القوات التركية ، ثم نادى مصطفى نجيب باشا ، قائد الحملة ، على باشا لمقابلته على متن أحدى السفن حيث أحتجزه فيها وأخيرا دخل مصطفى بعد ذلك القلعة ، وأعلن بأنه استولى على مقاليد الامور فى البلاد نيابة عن السلطان العثمانى وأمر بفتح بوابات المدينة وعادت الحياة الى مجراها الطبيعى ، وفى اليوم الثانى من يونيه تم اعلام جميع القناصل الاوروبيين عن طريق تعميم رسالة دورية تفيد بأن السلطان العثانى قد استعاد السيطرة المباشرة على البلاد[125] .

وأنهارت الثورة فى المنشية قبل هذا الاعلان بيومين . وتم اكتساب بعض من قادتها الى جانب مصطفى نجيب حيث اقنعوا بأن يحولوا ولاءهم عن على . وأعلن ذلك للقوات المقاتلة بأن محمداً قد تخلى عنهم ، ولذا سلم الجنود اسلحتهم وسرعان ما وصلت أخبار الاستسلام الى محمد والى مؤيديه من الذين مازالوا يكنون له الولاء ، وبذلك نجحت خطة مصطفى نجيب الحربية . وهرب رئيس وزراء الحركة محمد بيت المال وكذلك الباى أحمد الى مالطا فى حين أتجه محمد الى مصر غير أنه انتحر فى منتصف الطريق ، فى الصحراء يوم 6 يونيه .[126]

لم يعن احتلال مدينة طرابلس وسقوط الثورة بالمنشية نهاية الهيجان السياسى فى البلاد حيث أن عبد الجليل استمر الى أن توفى فى مايو 1842[127] فى مقاومة الاتراك يُسنده المشائخ الآخرون وفى مقدمتهم آغا مصراتة . ولقد كان للعملية البيضاء التى قادها مصطفى نجيب ، فى أواخر شهر مايو ومطلع يونيه عام 1835 اثار هامة للغاية فى تاريخ طرابلس السياسى . فهى تعنى إنهاء حكم الاسرة القرمانلية التى حكمت البلاد حكما ذاتيا منفصلا بالفعل عن السلطان العثمانى ، منذ سنة 1711 . والاطاحة بالاسرة القرمانلية يعنى أيضا ، بداية الحكم العثمانى الثانى لطرابلس ، وهو الاحتلال الذى أستمر حتى سنة 1911 عندما حل الايطاليون محل الاتراك كحكام استعماريين للبلاد .

125 – المصدر السابق, 6 June 1835; AFF. ET. B¹, Bourboulon to Broglie, 31 May, 3 June and 10 June 1835, in C.C.T.B. Tome 37. Also L.C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, pp. 367–70.

126 F.O. 76/38, Warrington to Aberdeen, 6 June 1835.

127 F.O. 84/427, Warrington to Aberdeen, 1 June 1842.

ربما استنتج المبعوث أن الاستيلاء الفرنسى على المنشية سيكون خطوة مبدئية نحو احتلال كامل لطرابلس بأكملها . أما الاشاعات المتعلقة بتونس ومصر وفرنسا فإنها لا تقوم على أساس قوى فى الغالب ولكن بالنظر الى انها تتعلق بسيادة الامبراطورية العثمانية ووحدة أرضها فلا مناص اذن للمبعوث العثمانى من اخذها فى الاعتبار .

وبالنظر الى كل تلك الاعتبارات ، ربما قرر السلطان منع تكرر حادثة الجزائر التى حرمته من أحد اقاليمه فى شمال افريقيا ، لذلك قرر التدخل فى طرابلس لا من أجل أى طرف من الاطراف المتنافسة ولكن لصالحه هو شخصيا .[121]

لقد أشيع على نطاق واسع فى أبريل عام 1835 فى شمال افريقيا وفى بعض مناطق من أوروبا بأن السلطان العثمانى يهيىء الاسطول من أجل القيام بمهمة[122] بالرغم من التكتم الشديد الذى أحيط به بأعداد الاسطول وبوجهته . لقد قيل بأنه ربما يتوجه الى تونس لاجبار الباى على تسوية بعض المطالبات النمساوية ، والتى قدمت بصددها الشكاوى للسلطان[123] أما السلطات البحرية البريطانية فى مالطا فإن تخمينها بأن وجهة الاسطول كانت نحو طرابلس كان صحيحا إلا أن نواياه الحقيقية لم تكن واضحة لديها ، أما فى طرابلس فإنهم ظنوا خطأً بأن هدفه كان احضار بعثة أخرى لاعادة الاعتراف بعلى باشا فى تولى العرش وبدعمه اذا دعت الضرورة بقوة اضافية[124] .

ولم تصب طرابلس بذعر نتيجة لذلك الاعتقاد عندما ظهر الاسطول يوم 25 مايو عام 1835 فى ميناء طرابلس وكان مكونا من 22 سفينة ويحمل جنودا أتراكا ولكن بعد يومين ساد الرعب ، عندما أنزلت القوات التركية التي تقدر بـ 400 جندى ، مدافع الميدان ، وأمرت السكان بعدم حمل أى سلاح . وفى يوم 28 ، صدر أمر ثان يمنع تداول العملة الطرابلسية والتى حلت محلها العملة التركية . كما

121 ـ أنظر : عمر على بن اسماعيل ، وثيقة رقم 60 و 61 وكلاهما بتاريخ 1250 / 1834 ـ 1835 ، صفحات 512 ـ 516 ، حول خطة الصدر الاعظم Grand Vizir لاحتلال طرابلس ، وموافقة السلطان عليها .

122 F.O. 76/38, Warrington to Aberdeen, 16 April 1835; L. C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, p. 366.

123 ـ المصدر السابق

Warrington to Hay, 14 May 1835.

124 F.O. 76/38, Warrington to Aberdeen, 16 April 1835.

أحتلت المساجد والمواقع الاستراتيجية فى المدينة من قبل القوات اتركية ، ثم نادى مصطفى نجيب باشا ، قائد الحملة ، على باشا لمايلته على متن أحدى السفن حيث أحتجزه فيها وأخيرا دخل مصطفى بعد ذلك القلعة ، وأعلن بأنه استولى على مقاليد الامور فى ابلاد نيابة عن السلطان العثمانى وأمر بفتح بوابات المدينة وعادت الحياة الى مجراها الطبيعى ، وفى اليوم الثانى من يونيه تم اعلام جميع القناصل الاوروبيين عن طريق تعميم رسالة دورية تفيد بأن السلطان العثانى قد استعاد السيطرة المباشرة على البلاد[125] .

وأنهارت الثورة فى المنشية قبل هذا الاعلان بيومين . وتم اكتساب بعض من قادتها الى جانب مصطفى نجيب حيث اقنعوا بأن يحولوا ولاءهم عن على . وأعلن ذلك للقوات المقاتلة بأن محمدا قد تخلى عنهم ، ولذا سلم الجنود اسلحتهم وسرعان ما وصلت أخبار لاستسلام الى محمد والى مؤيديه من الذين مازالوا يكنون له الولاء ، وبذلك نجحت خطة مصطفى نجيب الحربية . وهرب رئيس وزراء الحركة محمد بيت المال وكذلك الباى أحمد الى مالطا فى حين أتجه محمد الى مصر غير أنه انتحر فى منتصف الطريق ، فى الصحراء يوم 6 يونيه .[126]

لم يعن احتلال مدينة طرابلس وسقوط الثورة بالمنشية نهاية الهيجان السياسى فى البلاد حيث أن عبد الجليل استمر الى أن توفى فى مايو 1842[127] فى مقاومة الاتراك يُسنده المشائخ الآخرون وفى مقدمتهم آغا مصراتة . ولقد كان للعملية البيضاء التى قادها مصطفى نجيب ، فى أواخر شهر مايو ومطلع يونيه عام 1835 اثار هامة للغاية فى تاريخ طرابلس السياسى . فهى تعنى إنهاء حكم الاسرة القرمانلية التى حكمت البلاد حكما ذاتيا منفصلا بالفعل عن السلطان العثماني ، منذ سنة 1711 . والاطاحة بالاسرة القرمانلية يعنى أيضا ، بداية الحكم العثمانى الثانى لطرابلس ، وهو الاحتلال الذى أستمر حتى سنة 1911 عندما حل الايطاليون محل الاتراك كحكام استعماريين للبلاد .

---

125 - المصدر السابق ., 6 June 1835; AFF. ET. B[1], Bourboulon to Broglie, 31 May, 3 June and 10 June 1835, in C.C.T.B. Tome 37. Also L.C. Féraud, *Annales Tripolitaines*, pp. 367-70.

126 F.O. 76/38, Warrington to Aberdeen, 6 June 1835.

127 F.O. 84/427, Warrington to Aberdeen, 1 June 1842.

الملحق الأول

معاهدة محمد القرمانلى مع انجلترا
29 شوال ١١٦٤/١٧٥١

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا وسيدنا محمد وصحبه وسلم . بين ايالة طرابلس المنصورة ودولة انجلترا لتأكيد الحب والولاء والصفاء من قديم الازمان بينهما بحضور والى محروسة طرابلس المؤيد محمد باشاقره مانلى وسر العسكر ابنه على بك واغا الانكشارية والامراء وجناب قنصل الدولة المشار اليها - وبتراضى الطرفين وموافقة الجانبين حررت المعاهدة المباركة الآتية فى سجل خاص من المواد الآتية :

مادة 1 : يؤذن للسفن الحكومية الانجليزية بشراء الحنطة والشعير وغيرها من المؤن المتنوعة بأثمانها المقررة وحملها الى جزيرة ماهون .

مادة 2 : اذا صادفت سفن بحارة طرابلس السفن الانجليزية فى عرض البحار فلها حق التفتيش على جوازات المرور والسماح لها بالسير عند التحقق من صحتها مع التسليم على بعضهم سلام الاصدقاء وتحيتهم . واذا صدر من بحارة طرابلس مايخالف ذلك رغم صحة تلك الجوازات فتتعهد حكومة طرابلس بتأديب الربان المعتدى وكذلك الحال بالنسبة للبحارة الانجليز اذا اعتدوا فيكاتب الوالى ملك انجلترا لعقاب المعتدى .

مادة 3 : عندرسو السفن الانجليزية بميناء طرابلس تتحفظ الحكومة على الاسرى خوفا من هروبهم الى السفن الانجليزية - وفى

حالة فرار أحدهم ولجوئه الى تلك السفن فليس من حق حكومة طرابلس طلب ارجاعه .

مادة 4 : لتجار رعايا انجلترا فى طرابلس حق بيع البضاعة الواردة من الخارج فى دار القنصلية ويحصل القنصل الضرائب منهم .

مادة 5 : عند دخول سفينة انجليزية الى ميناء طرابلس ـ تضرب لها احدى وعشرون طلقة مدفع من القلعة كتحية وترد عليها السفن الانجليزية بالمثل .

مادة 6 : يسمح لترجمان وسمسار القنصل بمرافقته اذا سافر برا أو بحرا وله حق عزلهما وتعيين غيرهما ـ وله حق رفع العلم البريطانى على الزورق الذى يركبه الى السفن الانجليزية .

مادة 7 : فى حالة وقوع حرب بين انجلترا وطرابلس تتعهد حكومة طرابلس بعدم التعدى على القنصل وزملائه ورعايا انجلترا ولاتمانع فى سفرهم الى المكان الذى يريدونه خارج البلاد .

مادة 8 : يتعهد بحارة الطرفين بعدم الاعتداء على رعايا الطرف الآخر أو اموالهم اذا وجدوا فى سفن الاعداء بل تؤمن حياتهم ويوصلون الى المكان الذى يرغبونه أو الى أى مكان مأمون ، أما اذا وجدوا يعملون كبحارة فى تلك السفن المعادية فيعاملون معاملة الأسرى .

مادة 9 : عند افلاس أحد التجار الانجليز فى طرابلس وفراره لايضمن القنصل دفع ماعليه من ديون وكذلك التجار الانجليز بالبلاد .

مادة 10 : عندما تخرج احدى السفن الليبية أو عدة سفن من ميناء طرابلس لجولة بحرية لايسمح لأى سفينة فى الميناء من جنسية أخرى بالخروج إلا بعد ثمانية أيام.

مادة 11 : اذا حدث نزاع فى عرض البحر بين سفن الجانبين عند تلاقيهما وتبادلهما الاشارات يصير التحقيق فى ذلك بمعرفة هيئة تحكيم من الطرفين بعد ابلاغ ذلك الى الجهات المختصة .

مادة 12 : لما كانت انجلترا هى البادئة بطلب الصلح من ايالة طرابلس فإن قنصلها ورعاياها يقدمون على غيرهم فى المعاملة .

مادة 13 : لاتحصل رسوم جمركية عن البضائع التى يحضرها التجار الانجليز لبيعها فى طرابلس والتى يكون لها منفعة عامة للبلاد مثل المدافع والبنادق والمسدسات والحراب والسيوف والبارود والقنابل والرصاص والحديد وحبال السفن والكبريت واخشاب السفن واعمدتها واقمشة الشراع والكوريك والقمح والشعير والمسكت* والبنادق الصغيرة .

مادة 14 : الغنائم التى تأخذها سفن الانجليز من اعدائها وتأتى لبيعها فى طرابلس لاتأخذ الحكومة عليها عوائد .

مادة 15 : يكون لقنصل انجلترا حق الدخول قبل غيره من القناصل لتهنئة الوالى فى الاعياد والمواسم الأسلامية .

مادة 16 : تعامل سفن طرابلس سفن جزيرة ماهون الحاملة للعلم البريطانى والتى تحمل جواز مرور انجليزى نفس معاملة السفن الانجليزية واظهاراً للاحترام الخاص لهذه الجزيرة لاتعتدى سفن طرابلس على سفن الاعداء فى المياه الاقليمية لهذه الجزيرة .

مادة 17 : اذا أراد أحد رعايا الانجليز اعتناق الدين الاسلامى يرسل الى القنصل الانجليزى بصحبة مندوب خاص ويبقى ثلاثة أيام عند القنصل ليستمع الى نصائحه ونصائح راهبه وبعد الثلاثة ايام اذا أصر يقبل اسلامه ويبدأ تلقينه الدين الاسلامى سواء أكان أسيراً أم غير أسير .

مادة 18 : اذا حدث نزاع بين اثنين من رعايا انجلترا يبلغ القنصل ليفصل بينهما وعندما يكون أحد المتنازعين مسلماً فتكون المحاكمة أمام محاكم الايالة .

مادة 19 : اذا قتل أحد رعايا الانجليز مسلماً عمداً يصير القصاص شرعا بمعرفة الوالى دون مراجعة القنصل وفى حالة فرار المجرم لايكون القنصل مسئولا - وتبحث عنه السلطات المحلية ويعدم بحضور القنصل .

مادة 20 : فى حالة وقوع حرب بين انجلترا والجزائر أو تونس تبقى طرابلس على الحياد ولاتقدم لأى منهما مساعدة .

مادة 21 : يحظر على طرابلس شراء أموال الغنائم والاسرى الانجليز الذين تأسرهم تونس والجزائر ويأتون لبيعها فى طرابلس .

مادة 22 : فى حالة وفاة أحد رعايا انجلترا لاتتدخل حكومة طرابلس فى تركته ويقوم القنصل بحصر التركة وبيعها .

مادة 23 : لاتتعرض سفن انجلترا وطرابلس لبعضها اذا تلاقوا فى البحر بل يودعون بعضهم بمحبة .

مادة 24 : اذا غرقت أحد السفن الانجليزية أو تحطمت قضاء وقدراً فى موانىء ايالة طرابلس أو بالقرب من سواحلها تحفظ حمولتها من الضياع وتتعهد حكومة طرابلس بالمحافظة على بحارتها وتسليتهم وتسليم البحارة والبضاعة الى القنصل ورد الاموال التى يغتصبها الناس - ويوضع البحارة والبضاعة فى مكان مأمون حتى يسافروا الى بلادهم .

مادة 25 : اذا صادف بحارة طرابلس سفنا تحمل العلم البريطانى فى البحر يوقفونها وينزل شخصان من أصحاب الدراية

(الرئيس وترجمانه) فى قارب ويصعدان الى السفينة ويجريان تفتيشا ثم يسمحان لها بالسير أو يصادرانها .

مادة 26 : لجميع السفن الانجليزية حق المتاجرة والدخول الى موانىء طرابلس كلها سواء أكانت تلك السفن ملكا للحكومة أو الشركات وتحصل السلطات الطرابلسية 3 ٪ رسوما جمركية من قيمة حمولة تلك السفن .

مادة 27 : الاشياء التى تأتى بها السفن الانجليزية ولايتم بيعها وتحملها السفن لارجاعها لاتحصل عليها ضريبة .

مادة 28 : اذا تلاقت سفن الطرفين فى بعض الموانىء ، فعليهم تبادل التحية واقامة حفلات لتقوية المحبة وتجديد الألفة وحسن الضيافة واظهار الولاء .

خاتمة : ويحسن احترام الطرفين وصدق اخلاص الجانبين ختمت هذه المعاهدة القوية ويتعهد الطرفان برعايتها واحترامها وعدم الاخلال بها وصيانتها مع تبادل الوثائق فى الحال .

---

* أنظر : *British and Foreign State Papers*, 1812-1814, Vol. 1, Part I, pp. 725-30

** عمر على بن اسماعيل ، انهيار حكم الاسرة القرمانلية فى ليبيا، 1795 ـ 1835 ، طرابلس ، مكتبة الفرجانى ، بيروت 1966 ، صفحات 374 ـ 380 .

يوجد أصل هذه المعاهدة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهى باللغة التركية وهذه المعاهدة منشورة أيضا فى الملحق المذيل به كتاب ميكاكى « طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلى » من ص 8 الى ص 12 ، جمع كمال الدين الخربوطلى .

* نوع من القنابل .

الملحق الثانى

معاهدة السلام والصادقة المبرمة بين الولايات المتحدة الامريكية وطرابلس 1796

المادة الاولى

رغبة فى السلام والصداقة بين الولايات المتحدة الامريكية والباى واهالى طرابلس ، اتفق الطرفان على اقامة سلام دائم بينهما ، بضمانة من داى وايالة الجزائر .

المادة الثانية

اذا شحن أحد الطرفين بضائع لحكومة أخرى وكان الطرف الأخر فى حالة حرب معها فان هذه البضائع ستعبر بسلام دون اى محاولة لاعتراضها او احتجازها .

المادة الثالثة

اذا صودرت سفينة للعدو وبها مواطنين او رعايا او بضائع لأحد الطرفين ، يطلق سراحهم وترد البضائع لاصحابها .

المادة الرابعة

يتعين على سفن الطرفين حمل جوازت المرور المناسبة ، ونظرا لبعد المسافة بين البلدين يمنح ثمانية عشر شهراً من تاريخ توقيع المعاهدة

• أنظـر :

Treaties and Other International Acts of the United States of America , ed . by H . Miller , Vol . 2 , pp . 364 – 367 .

لتدبر هذه الجوازات ، وتعتبر الاوراق الحالية الخاصة بهذه السفن كافية لحمايتها خلال هذه الفترة .

المادة الخامسة

تعتبر شهادة المصادرة او سند البيع جواز مرور كاف لأى سفينة مصادرة من قبل أحد الطرفين او من قبل حكومة أخرى فى حالة قيام احد رعايا او مواطنى الطرف الآخر بشرائها لمدة سنة ، وهذا يعتبر وقتا مناسبا للقيام بتدبر جوازت المرور الملائمة

المادة السادسة

اذا دخلت سفينة احد الطرفين الى موانىء الطرف الآخر لطلب المؤن والزاد أو غيرها من اللوازم يسمح لها بشراء ذلك بالاسعار المقررة ، واذا اضطرت الى الرسو لاصلاحها فيجب تقديم المساعدة اللازمة لها ، واذا انزلت حمولتها على الرصيف اثناء الاصلاح فلا يؤخد منها مقابل ذلك رسوم ، ولايجبر اصحابها بأى حال من الاحوال على بيع حمولتها .

المادة السابعة

اذا غرقت سفينة لأحد الطرفين فى موانىء الطرف الآخر أو فى مياهيه الاقليمية يحافظ على ارواح ربانها وبحارتها واموالهم حتى تتخد التسهيلات والمساعدات اللازمة لارجاعهم الى اوطانهم سالمين .

المادة الثامنة

اذا تعرضت سفينة أحد الطرفين لاعتداء أجنبى وكانت على مسافة من مرمى مدافع سفن الطرف الآخر فيجب عليها أن تنجدها حالاً

بكل حماس وان تعمل على تخليصها ، واذا وجدت سفينة لأحد الطرفين فى ميناء الطرف الآخر وبه سفينة معادية لها فلا يسمح للسفينة المعادية بمغادرة الميناء لمطاردتها بعد سفرها الا بعد مرور اربع وعشرين ساعة من اقلاعها .

المادة التاسعة

ستكون التجارة بين الولايات المتحدة وطرابلس - الحماية التى ستقدم للتجار والربابنة والبحارة-وتأمين إقامة القنصليات لدى كل من الطرفين ، بحيث يتمتع كل من الطرفين بجميع الامتيازات والتسهيلات على قدم المساواة مع غيره من الدول التى تربطها علاقات بالطرف الآخر .

المادة العاشرة

يعترف الباشا باستلامه جميع الاموال والهدايا التى طلبها كاملة وفى حالة جيدة طبقا لما قرره وما تنص عنه معاهدة السلام والصداقة المبرمة بين الطرفين قبل توقيعه عليها طبقا للايصال المرفق ، عدا الجزء الخاص الذى وعدت به الولايات المتحدة من جانبها حيث سيتم تسليمه عند وصول قنصلها الى طرابلس حسب المذكرة المرفقة ايضا . وسوف لن يكون هناك اى ادعاء بدفع اى اتاوات اضافية من أحدى الطرفين للآخر

المادة الحادية عشر

وحيث ان حكومة الولايات المتحدة لم تقم على اساس الديانة المسيحية باى شكل من الاشكال - وكما هى بطبيعتها ليست ضد الدين الاسلامى وشرائعه - وحيث ان حكومة الولايات المتحدة لم تدخل حرب ضد اية دولة اسلامية ، يعلن الطرفان بانه لن يعكر صفو العلاقات بينهما اى خلاف نتيجة للمعتقدات الدينية .

المادة الثانية عشر

اذا وقع خلاف او مخالفة لما جاء فى بنود هذه المعاهدة فلا يلجأ احد الطرفين لاستخدام القوة بل يبادر القنصل المقيم بتسوية الخلاف بالطرق السليمة ، واذا لم يصل الى نتيجة عندئذ يعود الطرفان الى داى الجزائر الصديق المشترك ويتعهد الطرفان بالرضوخ لقراره ، كما يتعهد الداى وفقا لتوقيعه على هذه المعاهدة على نفسه وخلفائه على ايالة الجزائر بالفصل فى القضية عدلًا طبقا لما تنص عليه بنود المعاهدة ، وان يستخدم كل ما بوسعه لتطبقها على الطرفين .
وقعت وختمت فى طرابلس يوم 3 جماد الاخرة سنة 1211هـ الموافق ليوم 4 نوفمبر 1796م .

يوسف باشا محمد باى
محمد – الخزانة
احمد – وزير البحرية
احمد ـ الياور
على – رئيس الديوان
سليمان – الكيخيا
خليل – رئيس الجند
محمد – حرس المدينة
محمد – الأمين

وقعت وختمت فى الجزائر يوم 4 رجب 1211 هـ . الموافق ليوم 3 يناير 1797م .
حسن باشا داى
كما وقع عليها مبعوث الولايات المتحدة الامريكية

(ختم) جويل بارلو
Goel Barlow

ملحق الاتفاقية
الايصال

الحمد لله

لقد قمت بتحرير هذا الايصال بنفسى للقبطان الامريكى اوبريان O Brienكدليل على انه سلم الينا أربعين الف دولار اسبانى - ثلاثة عشر ساعة يد فضية و خمسة خواتم : منها ثلاثة من الماس ، وواحد من الياقوت الازرق ، وآخر بها ساعة - ومائة وأربعون قطعة من القماش القطنى ، وأربع قفطاين من القماش المطرز - وهذه جميعا على اساس معاهدة الصداقة التى تمت مع الامريكيين .

سلمت فى طرابلس يوم 20 من جماد سنة 1211هـ . الموافق ليوم 21 نوفمبر 1796

(امضاء) يوسف باشا - الباى
أيده الله

نسخة مطابقة من الايصال السابق الذى منحه يوسف باشا - باى طرابلس

(امضاء) حسن باشا - داى الجزائر

ترجمة حرفية عن اللغة العربية للايصال

جويل بالو



ملحق الاتفاقية
المذكرة

يتحتم على قنصل الولايات المتحدة حال وصوله الى طرابلس ان يسلم يوسف باشا باى :
اثنى عشر الف دولار اسبانى .

خمسة مدافع - 8 بوصات .

ثلاثة كوابل - 10 بوصات .

خمسة وعشرين برميلا من القار .

خمسة وعشرين برميلًا من الزفت .

عشرة براميل من مواد الطلاء .

خمسمائة من الواح خشب الصنوبر .

خمسمائة من الواح خشب البلوط .

عشر سوار (لم يحدد القياس ، يفترض انها للسفن من 200 الى 300 طن) .

اثنتى عشرة عارضة شراع .

خمسين لفافة من قماش القنب .

عدد اربع مراس

وعند الايفاء بهذه الالتزامات تكون الولايات المتحدة قد نفذت جميع طلبات الباشا او خلفائه من بعهده كما وردت فى المادة العاشرةمن بنود هذه الاتفاقية ، وسوف لن يطلب منها أية ضرائب اضافية او هدايا او دفعات أخرى .
ترجمت من اللغة العربية كما وردت فى الصحفة المقابلة ، ووقعها وختمها حسن باشا داى الجزائر يوم 4 رجب 1211هـ . الموافق يوم 3 يناير 1797 - من قبل -

جويل بارلو

الملحق الثالث
* معاهد يوسف باشا القرمانلى مع فرنسا
11 اغسطس 1830 **

لازالة الاحوال التى اضطرت قنصل فرنسا الى مغادرة البلاد لسوء التفاهم الذى حدث بينه وبين يوسف باشا والى طرابلس ولأنهاء تلك الحالة ولمنع الحالات التى توجب دائما سوء التفاهم بين ايالة طرابلس والدول الاخرى ولحفظ الأمن فى البحر المتوسط الى الأبد ـ تم الاتفاق بين المسيو بارون روزامل ـ الاميرال الثانى لبحرية فرنسا ، الحامل لنيشان سان لوى العسكرى ، والحامل لرتبة كوماندوز فرقة الشرف والحائز لنيشان فارس من فردناند ملك اسبانيا ـ مندوبا عن ملك فرنسا ـ وبين سيدى الحاج محمد بيت المال ناظر امور خارجية دولة يوسف باشا مندوبا عن طرابلس ـ ونظرا لما لهذين المندوبين من دراية وتمتع بثقة دولهم فهما ينوبان عن دولهم فى توقيع المعاهدات ويطلبون من الله التوفيق فى وضع هذه المعاهدة وتطبيقها .

مادة 1 : يعتذر والى طرابلس لقنصل فرنسا ويأسف للأراجيف والمفتريات التى قيلت فى حقه ويوجه رسالة الى ملك فرنسا يذكر فيها المحبة الصافية التى توجد بين الدولتين ويعطى صورة منها الى الاميرال المذكور وعندما يتسلم القنصل عمله من جديد يرسل الباشا أحد اولاده او اصهاره اليه ليطلب العفو عما صدر منه ويوفى بالترضية اللازمة .

مادة 2 : لاتعطى حكومة طرابلس رخصة لسفنها او لسفن رعاياها للقرصنة وكل سفينة تتجاسر على القرصنة ضد السفن التجارية فان جميع دول أوروبا قد اتفقت على ضبطها ومصادرتها .

مادة 3 : تلغى بعد اليوم مسألة الأسر ويعتق جميع الاسرى الموجودين الآن واذا كان يوجد أسرى لدى الوالى يحررهم ويرسلهم الى بلادهم ـ وعند وقوع حرب بين طرابلس ودولة اجنبية فان الاسرى الذين يؤسرون فى البر والبحر لايعاملون معاملة سيئة وانما يعاملون حسب قوانين اوروبا ويوضعون فى اماكن مناسبة ويتم تبادلهم عقب انتهاء الحرب ويطلق سراحهم .

مادة 4 : لايسمح لحكومة طرابلس ان تزيد اسطولها الحالى او تضيف اليه أية قطعة حربية اخرى وتشكل لجنة لحصر عدد السفن الحالية وتوضع قائمة تبيّن عدد السفن وحالاتها ومقدار تسليحها اما السفينة التى يصيبها تلف او تبلى فيمكن تجديدها ولكن بنفس الحجم والمواصفات ـ ولايجوز تسليح السفن التجارية الحالية وتحويلها الى سفن حربية .

مادة 5 : تساعد الحكومة السفن التى تلجأ الى السواحل نتيجة الرياح وتعمل على رفعها من رمال الشاطىء اذا كانت قد اصطدمت بها وتحرس ركابها وتحافظ على بضائعها ـ واذا غرقت احد السفن يحافظ عليها من النهب والسلب واذا نهبت تتعهد الحكومة بدفع كل مانهب منها ـ كذلك يجازى كل من يقتل أحد هؤلاء الركاب طبقا لقوانين البلاد وتدفع تعويضات لأهل القتيل .

مادة 6 : اذا حدث النهب من ثائرين على الامير فلا يجبر الامير برد مانهب او القبض على القاتل او دفع تعويضات .

مادة 7 : للدول الأجنبية الحق فى تعيين ممثلين تجاريين فى أية بقعة من الايالة وتلغى عادة الهدايا التى نصت عليها المعاهدات ولو كانت تحت اى اسم من الاسماء ولايمكن تجديد هذه المعاهدات دون دفع الرسوم الجمركية .

مادة 8 : اذا دفع الرعايا الأجانب الرسوم اللازمة فهم احرار فى التجارة الداخلية والخارجية ولاتطلب فرنسا امتيازا زائدا عن الاجانب الآخرين ـ ولكنها تتمتع بكل الامتيازات والتسهيلات التى تتمتع بها الدول الاخرى .

مادة 9 : يحرر الوالى تعهدا بدفع 800 الف فرنك كمصاريف عسكرية لفرنسا ازاء ارسالها اسطولها ولتسهيل تسوية دين الرعايا الفرنسيين بدفع نصف الدين فى 16 اغسطس ونصفة الباقى فى ديسمبر سنة 1830 .

مادة 10 : تبقى المعاهدات والاتفاقات التى تمت قبل ذلك بين فرنسا والدولة العلية او بينها وبين ايطاليا دون تغيير عدا مانصت عليه هذه المعاهدة .

مادة 11 : تنشر هذه المعاهدة يوم الخميس 12 اغسطس فى طرابلس وفى يوم 17 فى المدن القريبة وفى يوم 23 فى المقاطعات وفى مدة لاتتعدى 12 سبتمبر فى ابعد مكان من الولاية :

خاتمة : نسخت هذه المعاهدة من نسختين على ظهر السفينة الملكية الراسية فى ميناء طرابلس وأجرى فى الحال تبادل الوثائق وتعهد الطرفان بتنفيذ احكامها .

تحرير فى 11 أغسطس 1830/1246هـ .

هامش:

** عمر على بن اسماعيل ، انهيار حكم الاسرة القرمانلية فى ليبيا ، صفحات 448 ـ 452 .

يوجد اصل هذه المعاهدة بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ، وهى باللغة التركية .

وهذه المعاهدة منشورة ايضا فى الملحق المذيّل به كتاب ميكاكى « طرابس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلى » من ص 53 الى ص 56 ، جمع كمال الدين الخربوطلى .

ثبت المراجع Bibliography

تعتبر المواد غير المنشورة بـ The Public Record Office بلنـــدن ، وNationales Les Archives بباريس ، المصادر الاساسية لهذا العمل . و استعملت المصادر الاصلية والمواد الاخرى الموجودة فى Bibliotheca Melitensis Regia بمالطا ودار المحفوظات التاريخية ، كما استخدمت ايضا الوثائق الرسمية للحكومة الامريكية .

ويتكون مكتب السجل العام بلندن ، والمحفوظات الفرنسية ، فى الغالب ، من المراسلات المتبادلة بين القناصل المقيمين فى طرابلس ، وحكوماتهم او مع الادارات المختلفة التابعين لها . ويضم مكتب السجل العام بلندن ، مجموعات . (F . O ., C . O, W . O Adm ., etc .) وكانت عموما ذات فائدة لى لعدة اسباب . الاول ، وجدت سجلات القناصل البريطانية ، فى طرابلس ، وخاصة من القرن الثامن عشر كاملة ، ومنتظمة وبدون فجوات . وفى الواقع كان انتظام وتناسق هذه الوثائق ، مضمونا نظراً لان احد كتابها ، القنصل وارنجتون ، ظل محتفظا بمنصبه فى طرابلس لاكثر من ثلاثين سنة ، حتى استقالته فى سنة 1846 . الثانى ، كان القنصل البريطانى ، وكنتيجة للهيمنة البريطانية فى البحر المتوسط ، فى تلك الفترة ، غالبا مايقوم بدور القنصل لكثير من الدول الاوروبية الاخرى فعلى سبيل المثال ، قام القنصل وارنجتون ، فيما بين سنة 1814 و1826 ، بدور قنصل النمسا ، هانوفر ، البرتغال ، سردينيا ، الصقليتين ، هولندا ، الدانمارك ، توسكانى والسويد . ان معاملات هذه الدول مع طرابلس قد اصبحت من ضمن نطاق سلطة القنصل البريطانى ، والذى يمكن

الآن الرجوع الى مراسلاته على نحو مفيد ، من اجل معلومات حول هذه المسائل . الثالث ، قدمت طرابلس فرصة الإستكشافات البريطانية داخل افريقيا ، منذ اواخر القرن الثامن عشر (سايمون لوكاس Simon Lucas ، 1788) الى منتصف العشرينات (بعثه برنو ولاينح) وتم الحصول على وفرة من المعلومات ، من تقارير هؤلاء المستكشفين ، وليس من مذكراتهم ويومياتهم المنشورة فحسب ، وانما من مراسلاتهم الرسمية (والخاصة احيانا) والتى قامت القنصلية البريطانية حيالها بدور المقاصة .

وتبقى الاشارة ، مع هذا ، الى ان القضايا التى كانت رهناً بالمراسلات الرسمية والشخصية بين الحكومات الاوروبية ـ وخاصة البريطانية والفرنسية وقناصلها فى طرابلس ، لم تكن مصممة ، فى الاساس ، لاستخراج معلومات على علاقات طرابلس مع هذه الحكومات ، حيث لم يكن الهدف الاساسى من هذه الدراسة سياسة طرابلس الخارجية ، فى ذاتها ، وانما الاوضاع السياسية والاقتصادية فى طرابلس ، اثناء الفترة التى يتناولها البحث ، وعلى نحو مطابق ، استخدمت تقارير المستكشفين المختلفين حول تقدم الاستكشاف البريطانى ـ والتى تناولها ادو بوهين Adu Boahen على نحو واف ـ ولكن معلوماتهم الوافرة حول المجتمعات والسياسات المحلية ، وحالة التجارة الداخلية والخارجية ، بالاضافة الى الزراعة ، ومعلومات عن التاريخ الحضارى (راجع : رتش وليون Ritchie And Lyon حول فزان فى الفصل الثالث ، وبعثه برنو وبارث حول تاريخ برنو فى الفصل الرابع)

ان المصادر الاساسية المستخدمة فى هذه الدراسة ، محللة بالتفصيل ، فيما بعد ، فى قسمين : اصلية وثانوية .

1ـ المصادر الاصلية

(أ) المصادر القائمة فى مكتب السجل العام بلندن :

توجد اهم الوثائق عن طرابلس ، فى سلسلة F . O . 76 من سنة

1756 و F . O . 101 بعد سنة 1837 : وتشتمل على مراسلات من القناصل البريطانية المختلفة ونواب القناصل ، بالاضافة الى تقارير ضباط البحرية الذين ارسلوا فى مهمات خاصة الى طرابلس . وتشتمل هذه المراسلات ايضا على مذكرات لاحداث يومية فى طرابلس ، وكذلك عن العائدات التجارية . وتصنف F . O .76/28 وF . O .76/30 (1830 و1831 على التوالى) ببساطة مثلا « منوعات وعائدات التجارة » ويتطلب احيانا من اجل نسخ مطابقة او لسد الثغرات ، الرجوع الى المصادر التالية ، التى وجدت ذات فائدة :

F . O . 160 : 'Tripoli (Libya) : Letter Books and Correspondence' From 1752 to 1871 .
F . O . 161 : 'Tripoli' , From 1742 onwards,
W . O . 1 : 'Correspondence : In – Letters' and
W . O . 38 : 'Reports and Miscellaneous Papers' .

وعلى الرغم من ان بعض من مراسلات المستكشف البريطانى منذ اواخر القرن الثامن عشر ، توجد فى سلسلة F . O .76 اعلاه ، الا انه بالامكان ايجاد مجموعة مراسلاتهم فى :

C . O . 2 Series : 'Exploration' etc ., Originl Correspondence' , and
C . O . 392 : 'Exploration, Entry Books' .

وتحتوى سلسلة F . O .8 ، 1809 - 1836 على « تعليمات للقناصل » بالاضافة الى « رسائل محلية » اى بين ادارة واخرى او من الحكومة الى افراد او شركات .

(ب) مصادر توجد بـ Rhode House باكسفورد :

لقد استخدمت اوراق الجمعية الانجليزية ومقاومة الرق

الخارجية ، والمسلسلة تحت Br . Emp . Mss عموما حول تجارة العبيد عبر الصحراء عن طريق طرابلس ، ولكن خلال اربعينات القرن التاسع عشر .

(ج) مصادر توجد بباريس :

ان اهم مايوجد بها المراسلات القنصلية ، وهى مقسمة الى مجموعتين : حتى سنة 1793 تحت قائمة Marine B 7 بالارشيف الوطنى ، كما توجد سلسلة AFF . ET . B[i] ـ « المراسلات القنصلية ، طرابلس » (او C . C . T . B . من 1893 الى 1901 . بوزارة الشئون الخارجية .

ولدعم المواد الموجودة بـ AFF . ET . B[i] توجد سلسلة AF . ETR . B,[II] خاصة مفردتى 220 و221 : « Correspondence De L'agent Du Ministere des Relations Exterieurs a Marseilles 1806 – 1826 » وتضم مفردة 322 من نفس السلسلة نسخ من المعاهدات الفرنسية مع طرابلس منذ القرن السابع عشر وتحتوى مفردة 17 . AFF على مواد (Dossie 3 : Pays Barbareques) حول العلاقات الفرنسية الطرابلسية عموما خلال بداية القرن التاسع عشر .

(د) مصادر توجد بمالطا :

ان سجلات نائب اميرالية البحر المقيمة بـ (. Merchants St) Valletta Superior Courts Of Justice ، لاتتناول بنحو محدد طرابلس . بيد انها ذات فائدة عموما فيما يتعلق بالمعلومات حول الاجراء القانونى الخاص بالاستيلاء على السفن بالبحر المتوسط ، وتبدأ السجلات من 1531 غير ان الملفات التى رجعت اليها كانت لفترة 1804 ـ 1816 .

كما استخدمت الوثائق التالية الموجودة بالمكتبة الملكية بفاليتا :

R . M . L . 385 : وهى مجموعة من الرسائل والملاحظات 1812 ـ 1835 .
R . M . I . 406 : الولاة ورؤساء اركان البحرية 1792 ـ 1814 .
R . M . L . 616 : رسائل الى الكس جى . بول Alex J . Ball 1802 ـ 1803 .
R . M .L . 324 : كتاب الالتماسات 1826 ـ 1854 (مفيد للادارة المحلية فقط)
R . M . L . 1126
Georg Greuquot, Project Sur Les Iles dee Malte, Malta –
« وان طرابلس منحت الى الفرسان فى سنة 1530 الى جانب الجزر المالطية ، ويجب ان تشكل مرة اخرى جزء من الاراضى التابعة لها » 1848 .
R . M . L . 1224 : ملامح من تاريخ مالطا . بقلم ؟ غير انه قدم من قبل اللواء السير جون بونسونبى Ponsonby Major – General Sir John ، بتاريخ 27 يونية 1938 . استخدم من اجل فحص عائدات المواشى 1835 ، دخول السفن، 1834 ، والواردات والصادرات (بما فيها تلك الخاصة بطرابلس) 1833 ـ 1834 .
R . M . L . , D . O .D . 27 Ext . 113 : التقارير القنصلية والدييلوماسية عن التجارة والمالية بطرابلس 1893 . تحتوى على الاحصائيات التجارية .

2ـ الوثائق التى نشرت من قبل حكومات :

(أ) الحكومة الامريكية :

(1) الوثائق البحرية ذات العلاقة بحروب الولايات المتحدة الامريكية مع دول شمال افريقيا 1805 ـ 1807 واشنطن : 1931 مجلدات I – IV مع مجلد آخر عن « احصائيات بالاشخاص والسفن » (Govt . Printing Office, Washington, 1931)

وتحتوى على نسخ منشورة للمراسلات المتبادلة مع الحكومة الامريكية وقناصلها المختلفين، نواب القناصل، ضباط البحرية، السفراء، الخ، فى شمال افريقيا، وفى بعض الحالات فى اوروبا.

(2) وثائق الحكومة الامريكية : وثائق، تشريعات واجراءات كونجرس الولايات المتحدة، من مارس 1789 الى 3 مارس 1815، تحرير ولتر لوير Walter Lowier وماثيو سانت كلير كلاركى Mathew St. Clair Clarke، واشنطن 1832.

ولقد استخدمت من هذه السلسلة، فى الغالب، الفئة الاولى : العلاقات الخارجية، المجلدات، او النسخ من المراسلات بين الحكومة الامريكية وباشا طرابلس. بعض المراسلات فى الوثائق البحرية ... مكررة احيانا فى هذه المجلدات.

(3) المعاهدات والاجراءات الدولية الاخرى للولايات المتحدة الامريكية. تحرير هنتر ميللر Hunter Miller المجلد الثانى. (Gov Printing Office Washington, 1931) ويحتوى على نسخ طبق الاصل لجميع المعاهدات الطرابلسية ـ الامريكية، مع تراجم وحواشى تفسيرية مفيدة.

ملاحظة : ان هذه المطبوعات (من 1 الى 3) موجودة بـ Institute Of Historical Research, London

(ب) الحكومة الانجليزية :

(1) وثائق انجلترا والدول الاجنبية، مجلدات 1 ـ3، 1812 ـ 1816، وتشتمل على المعاهدات الانجلو ـ طرابلسية من القرن الثامن عشر.

(2) الكتاب الازرق 1832 : وثائق شرح الظروف التى اتهم فيها سيدى حسونه الدغيس من قبل باشا طرابلس بأنه سرق اوراق الرائد لاينج الراحل.

وتعتبر هذه الوثائق الشكل المطبوع لوثائق F. O. 76/33 بنفس العنوان.

الوثائق البرلمانية

(3) تقرير عن تجارة الرقيق، 1789 .
(4) 1847 - 1848 (273، 366، 536 و623) اربعة تقارير للجان مختارة عن تجارة الرقيق .

3 - تقارير الجمعيات المنشورة :

(أ) الوقائع والمحاضر الرسمية للجمعية الافريقية ، مجلدان ، لندن 1810 .
(ب) التقارير السنوية للجمعية البريطانية ومقاومة الرق الخارجية .



SMYTH, W. H. (1854) *The Mediterranean*. London.

TILHO, (1917) *Documents Scientiques de la Mission Tilho* Vol. 2. Paris, 1911.

Times, The London 1834.

TRIMINGHAM, J. S. (1962) *A History of Islam in West Africa*, Oxford, 1962

TULLY, Miss *Letters Written During a Ten Years' Residence at the Court of Tripoli* London, 1816. See the 1957 edition under S. Dearden.

ᶜUMAR ᶜALĪ B. ISMĀᶜIL (1966) *Inhiyār hukm al-usra al-Qaramānlīya fi Libiya 1795–1835*. Tripoli and Beirut.

URVOY, Y. *Histoire de l'Empire du Bornu in Memoires I.F.A.N.* (Paris). VII (1949).

VADALA, R. (1919) 'L'Histoire des Karamanli's in *Revue de l'Histoire des Colonies Francaises* VIIa.

VILLARD, H. S. *Libya: The New Arab Kingdom of North Africa* Ithaca, New York, 1956. Contains some historical information on Tripoli-American relations in the late eighteenth to early nineteenth centuries.

WALDAM, M. F. (1965) 'The Fulani jihād- a Reassessment' in *Journal of African History* VI, 3.

WILLIMOT, S. G. & CLARKE, J. I. (1960) *Field Studies in Libya*' Research Paper No. 4 of the Department of Geography, University of Durham, Durham.

WRIGHT, L. B. & MACLEOD, J. H. (1945) *The First Americans in North Africa*. Princeton, New Jesey.

ZAMMIT, T. T. (1926) *Malta, the Islands and their History*. Malta.

ZIADEH, A. *Sanusiyah: a Study of A Revivalist Movement in Islam*. Leiden, 1958.

II. UNPUBLISHED THESES

BOAHEN, A. A. (1959) *British Penetration of the Sahara and Western Sudan, 1788–1861*. London, Ph.D.,

LEE, H. I. (1949) '*Malta as a British Colony 1824–1851*' London, M.A.

PETERS, S. M. *A Study of Bedouin (Cyrenaican) Bait* Oxford, B.Lit. 1952. Available at the Institute of Social Anthropology, Oxford. Appears to have been based entirely on field investigation, it has no bibliography.

MURABET, M. (1959) *A Bibliography of Libya*, Valletta, Malta.
——(1964) *Some Facts about Libya*. Tripoli, 1964.

NEWBURY, C. W. (1966) 'North African and Western Sudan Trade in the Nineteenth Century: a Re-evaluation' in *Journal of African History* II.

NICHOLAS, N. H. (eds.) (1844–6) *The Despatches and letters of Vice-Admiral Lord Nelson*. 3 vols. London.

PALMER, H. R. (1936) *Bornu, Sahara and Sudan*. London.
——*Sudanese Memoirs*. London, 1928. 3 vols. (Frank Cass reprint 1967 has the 3 vols. in one.)

PLAYFAIR, R. L. (1889). *The Bibliography of Barbary States. Part I—Tripoli and Cyrenaica* Royal Geographical Society Supplement Papers (1889) Vol. II. Part 4—Libya. London,

PRITCHARD, E. E. (1949) *The Sanusi of Cyrenaica*, Oxford.

Quarterly Review, *The* London, 1809–Consulted Vols. XXVI (1821-2), XLII (1830). Useful as a secondary source of information on British exploration into the interior of Africa through Tripoli.

RICHARDSON, JAMES *Travels in the Great Desert of Sahara*. 2 vols. London, 1848.
——(1853) *Narrative of a Mission to Central Africa*. 2 vols. London.
——(1841) 'British Policy with Regard to Northern Africa' Republished with Notes from The Malta Times.' Valletta, Malta, 1841 (in R.M.L.).

RODD, F. R. (1926) *People of the Veil*. London,
——(1933) *General William Eaton*. London.
——(1948) *British Military Administration of Occupied Territories in Africa during the years 1941–1947* H.M.S.O., 1948.

ROSSI, ETTORE. (1969) *Storia di Tripoli e della Tripolitania dalla conquista araba al 1911*. Roma, 1968. See review by J. Wanbrough in *Bulletin, School of Oriental and African Studies*. 32.

Royal Institute of International Affairs. *Libya: A Brief Political and Economic Survey*. Chatham House Memorandum. Oxford, 1957.

RUSSEL, REV. M. (1835) *History and Present Condition of the Barbary States*. 2nd edn. Edinburgh,

SMITH, H. F. C. (1962) 'A Neglected Theme of West African History: The Islamic Revolutions of the 19th Century' in *Historians in Tropical Africa. Proceedings of the Leverhulme Inter-Collegiate History Conference held at the University College of Rhodesia and Nyasaland, 1960*, Salisbury, Southern Rhodesia.

IRWIN, R. W. *The Diplomatic Relations of the United States with the Barbary Powers*, 1776–1816. Durham, North Carolina, 1931. An indispensable source for Tripoli-American relations, 1796–1805.

JANSON, W. *A View of the Present Condition of the States of Barbary*. London, 1816. Copy found in R. M. L., Malta.

JOHNSON, H. A. S. (1967) *The Fulani Empire of Sokoto* London. (*Note:* This work and the other references cited elsewhere on Nigerian history have been used mainly for Hausaland and Bornu in Chap. IV of this book).

JULIEN, C. A. (1951) *Histoire de l'Afrique du Nord*. Paris, 1951.

LAST, D. M. (1967) *The Sokoto Caliphate*. London.

LAST, D. M. & AL-HAJJ, M. A. (1965) 'Attempts at Defining a Muslim in Nineteenth-Century Hausaland and Bornu' in *Journal of the Historical Society of Nigeria*. III. 2 (Dec. 1965).

LEO, AFRICANUS. (1896) *The History and Description of Africa done into English* by John Pory. 3 vols. London,

LEWIS, B. (1968) *The Emergence of Modern Turkey*, 2nd edn. Oxford University Press.

LEWIS, G. (1965) *Turkey*. 3rd edn. London.

LYON, Capt. G. F. *A Narrative of Travels in Northern Africa*, 1818 1819 and 1820 London, (1821).

L'ÉTOILE, 1827. Published in Paris. The issue of 2 May 1827 carried a report of Laing's death.

Malta Times, The Or *Broad Sheet of the Mediterranean* (formerly known in the late 1830s as *The Harlequin* or *Broad Sheet of the Mediterranean*. Valletta, Malta, 1840–55. Some of the issues contain historical information on Tripoli and Malta (e.g. James Richardson's article on 1 May 1841: 'British Policy with Regard to Northern Africa'.

MACIVER, D. R. & WILKIN, A. *Libyan Notes*. London, 1901. Anthropological Work.

MARTIN, B. G. (1962) 'Five Letters from the Tripoli Archives' in *Journal of the Historical Society of Nigeria* II, 3, (Dec. 1962.)

——(1969) 'Kanem, Bornu and the Fazzān: Notes on the Political History of a Trade Route' in *Journal of African History* X, 1.

MILL, H. R. (1933) *The Records of the Royal Geographical Society*. London. 1933.

MINNIGERODE, M. (1925) 'William Eaton' in *Lives and Times*. New York and London, 1925.

Dictionary of American Biography. New York and London, 1928–Relevant vols. consulted for biographical sketches on the American officials connected with negotiations with Tripoli. 1796–1805.

DODWELL, H. (1931) *The Founder of Modern Egypt. A Study of Muhammad ᶜAli*. Cambridge.

DOUTTE, E. (1900) *Notes sur l'Islam maghribin, Les Marabouts*. Paris.

Encyclopaedia of Islam. vols. I-IV. Leiden & London, 1913–34. Also new edition. Leiden and London, 1960–. Vols. I & II for various articles as cited in the relevant footnotes (e.g. by Ettore Rossi, Rene Basset, R. Brunschvig, etc.)

FÉRAUD, L. C. (1927) *Annales Tripolitaines*, Paris.

FISHER, G. *Barbary Legend: War, Trade and Piracy in North Africa*, 1415–1830. Oxford. 1957.

Galignani Messenger Various dates, 1834. Published in Paris, but widely distributed along the Mediterranean ports such as Leghorn, Malta, etc.

GALLAGHER, C. F. (1963) *The United States and North Africa*. Cambridge, Mass.,

GRANDIN, LE CAPITAINE. (1951) 'Notes sur l'industrie et le commerce du sel au Kawar et en Agram' in *Bulletin de l'Institute Francaise de l'Afrique Noire* XIII.

HASSANEIM BEY, A. M. (1925) *The Lost Oasis*. London.

GIBB, H. (SIR) & BOWEN, H. (1967) *Islamic Society and the West: Study of the Impact of Western Civilisation on Moslem Culture in the Near East*. London reprint.

HILL, R. W., (1959) *A Bibliography of Libya*. Durham University, Department of Geography Research Paper No. 1.

HODGKIN, T. L. (1960) *Nigerian Perspectives*. Oxford.

HOGBEN, S. J. (1966) *The Muhammadan Emirates of Nigeria*. London 1930. There is a new edition, with A. H. M. Kirk-Greene.

HOLT, P. M. (1966) *Egypt and the Fertile Crescent 1516–1922: a Political History*. London, 1966.

HORNEMANN, F. (1802) *The Journal of Friedrich Hornemann's Travels from Cairo to Murzuk, the Capital of the Kingdom of Fezzan, in Africa in the Years 1797–8*. London, 1802. See edited version under Bovill, E. W.

BLAQUIERE, E. (1813) *Letters from the Mediterranean*. 2 vols. London.

BLUNSUM, T. (1968) *Libya: the Country and its People*. London.

BOAHEN, A. ADU (1964) *Britain, the Sahara and the Western Sudan* 1788–1861. Oxford.

BOVILL, E. W. (1933) *The Caravans of the old Sahara*. London.

——(1958) *The Golden Trade of the Moors*, London

——ed. *Missions to the Niger*. 4 vols. London, 1964–66. The series is an edited version of the journals of Hernemann, and Major Laing (Vol. I), and of Oudney-Denham-Clapperton or the Bornu Mission, Vols. II-IV.

——(1969) *The Niger Explored*. Oxford 1968. See my review of this in *Journal of the International Institute* XXXIX, (July 1969).

BRIGGS, L. C. (1960) *Tribes of the Sahara*. London.

BROWN, L. C., (ed.) (1960) *State and Society in Independent North Africa*, Ithaca, New York.

BROWN, R. (1892–5) *The Story of Africa and its Explorers*, 4 vols. London.

BUXTON, T. F. (1967) *The African Slave Trade and its Remedy*. London.

CACHIA, MAJOR A. J. (1945) *Libya under the Second Ottoman Occupation 1835–1911*. Tripoli.

CALLIÉ, R. (1826) *Travels through Central Africa to Timbuctoo and across the Great Desert to Morocco, performed in the years 1824–1828* (London.)

Cambridge Expedition to Cyrenaica. *Report*, 1960.

CATHCART, J.B. (1901) *Tripoli. First War with the United States. Inner History. Letter Book by James Leander Cathcart, First Consul to Tripoli, and Last Letters from Tunis*. La Porte Indiana.

CLAPPERTON, H. '1st Journey'. See under Denham.

——(1829) *Journal of a Second Expedition into the Interior of Africa*. London.

CELLA, P. D. *Narrative of an Expedition from Tripoli in Barbary to the Western Frontier of Egypt in 1817 by the Bey of Tripoli* Translated from the Italian by Anthony Aufrer. London, 1822.

Constitutionel, Le 1832. Published in Paris.

DEARDEN, S. (ed.). (1957) Miss Tully's *Letters Written during a Ten Years' Residence at the Court of Tripoli*. London.

DENHAM, MAJOR D., & CLAPPERTON, CAPT. H. (1826) *Narrative of Travels and Discoveries in Northern and Central Africa in the Years 1822, 1823, 1824*. London.

SECONDARY SOURCES

I. PUBLISHED WORKS

AGOSTINI, E. DI *La popolazioni della Tripolitania.* Tripoli, 1917. (Copy found in the Taylor Library of Social Anthropology, Oxford). Useful for the location of towns, districts, etc., and for ethnic distribution generally.

ALLEN, G. W., (1965) *Our Navy and the Barbary Corsairs.* Hamden, Connecticut.

ᶜALI, BEY EL-ABBASSI (pseud. for DOMINGO BADIA-Y-LEYBLICH) *Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria and Turkey, between the years 1803 and 1807* (translated from the French). 2 vols. London, 1816. The French edition is dated 1814.

ANDERSON, R. C., (1952) *Naval Wars in the Levant 1559-1853.* Liverpool.

ANDERSON, M. S. (1966) *The Eastern Question 1774–1923.* London.

BARNBY, H. G., (1963) *The Prisoners of Algiers.* Oxford, 1966. See my review in *Journal of the Historical Society of Nigeria* v (Dec. 1969).

BARTH, H. *Travels and Discoveries in North and Central Africa.* London, 1857–8 5 vol..

BATES, O. (1914) *The Eastern Libyans.* London.

BEECHEY, CAPT. F. W. & BEECHEY, H. W. (1828) *Proceedings of the Expedition to Explore the Northern Coast of Africa.* London.

BELLO, M. (1951) *Infāq al-maisūr.* Translated by E. J. Arnet, 1922. An indispensable source for the history of the Fulānī jihad. There is a new edition added by C.E.J. Whitting. London.

BENTON, P. A. (1913) *The Sultanate of Bornu. Translated from the German of Dr A. Schultze.* London.

Notes on some Languages of the Western Sudan. London, 1912. There is a second edition under the title *The Languages and peoples of Bornu: Being a collection of the writings of P.A. Benton, with an introduction by A.H.M. Kirk-Greene.* 2 vol. London, 1968.

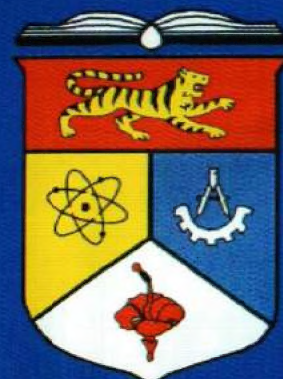
BIVAR, A. D. H. (1959) 'Arabic Documents of Northern Nigeria' in *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.* XXII.

BLAKE, G. H. (1968) *Misurata: a Market Town in Tripolitania.* University of Durham, Dept. of Geography, Research Paper No. 9 Durham.

Tripoli
During the Reign of
Yūsuf Pāshā Qaramānlī

KỌLA FỌLAYAN, Ph.D.

Senior Lecturer in the
Department of History
University of Ife
Ile-Ife





UNIVERSITY OF IFE PRESS
ILE-IFE · NIGERIA

1979

قطاع الورق والطباعة - مطابع الثورة العربية / طرابلس

قطاع الورق والطباعة - مطابع الثورة العربية / طرابلس